

Logo of the National Library of Alexandria
Bibliotheca Alexandrina
0212686

جامعة طنطا

كلية الآداب

قسم التاريخ

المدارس الإسلامية في مصر في العصر الأيوبي ودورها في نشر المذهب السني

رسالة مقدمة من

الباحث / أيمن تشارين سلام

للحصول على درجة الدكتوراة الفلسفة في الآداب شعبة التاريخ
الإسلامي من قسم التاريخ كلية الآداب - جامعة طنطا

إشراف

الأستاذ الدكتور / أحمد عبد الحميد خفاجي

أستاذ التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية

بكلية الآداب - جامعة طنطا

١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
«ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالطَّوَعِظَةِ الْحَسَنَةِ
وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَجْسَدُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ
بِمَنْ خَلَقَ مِنْهُمْ سَبِيلَهُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ»

صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ

(سورة النحل)

آية رقم (١٢٥)

إهداء

إلى عيون أعيانها عيون

تنقيح وتقدير

السيد الأستاذ الدكتور / أحمد عبد الحميد خفاجي أستاذ التاريخ الإسلامي
والحضارة الإسلامية بكلية الآداب جامعة طنطا ..

فلقد فكرت في نفسي في أموركم وأدركت فكري في أحوالكم فوجدتكم سعداء
في الدنيا والآخرة فما قدمتكم فله وما أخرتكم، وما أردتكم من العالمين جزاءاً ولا
شكراً وما قصرتكم ..

فعمسى الله أن يرحم ضعفي وقلة حيلتي وعساه أن يحمل عني إليكم
حسن الثواب بمادمت وما دمتكم، ويوم القيامة تحشرون مع الذين صبروا
وصابروا وصابطوا واتقوا الله وأحسنوا إن الله لا يضيع أجر المحسنين ..

إلى أبي الحبيب وأمي الغالية

أنتما نور عيني وشمس قمرى في نهاري وليلى فلكم أنا وعملى وكل أملى
أن ترضيان عني ..

الطالب

**المدارس الإسلامية في مصر في العصر الأيوبي
ودورها في نشر المذهب السني**

في الفترة من (٥٦٧هـ: ٦٤٨هـ - ١١٧٢م: ١٢٥١م)

الطلاب / أيمن تـتـاهـين سلام

المقدمة

المقدمة

المقدمة

فى الوقت الذى ظن فيه الجميع بأن الفكر الشيعى فى العالم الإسلامى قد سار إلى انحسار شديد ينبئ عن قرب نهاية، وذلك فى منتصف القرن الرابع الهجرى/ العاشر الميلادى، جاءت الأحداث التالية لتفصح لنا عن إحانة الوقت لبداية حقيقية لدولة التشيع، التى أعلنت عن نفسها بكل ما تحمله من معانى وأفكار، عندما استولى الفاطميون على مصر فى سنة (٣٥٨هـ - ٩٦٩م) وأزاحوا الستار عن أول خلافة شيعية فى العالم الإسلامى.

وكان من الطبيعى فى تلك المرة أن يكثف الشيعة كل خبرات السنين الماضية الأليمة، التى كان العامل الأول فيها هو سوء فهمهم لطبيعة الأحداث التاريخية الجارية من حولهم، والتى من شأنها تسهيل مهمة جماعة كهؤلاء، للوقوف على كيفية ناجحة لتحقيق هدفهم الأول الذى لم يقف عند حد الاستقلال بالحكم فى ولاية من الولايات الإسلامية، بل تعداه إلى محاولة إعلاء كلمة التشيع باعتبار أن ذلك هو المبدأ الأول والرئيسى الذى ينبغى أن يكون عليه العالم الإسلامى بأثره، فعلى الرغم من أن العلويين فى بداية أمرهم قد استضعفوا من الجانب الأخرى، وهو الأمر الذى جعلهم بعد ذلك يدخلون دور الستر، إلا أنهم ومع ذلك تناسوا أن القوة التى كان مصدرها الأول فى تلك الأثناء ما يسمى بالعصبية، كانت تحتاج فى الوقت نفسه إلى كسب الأتباع بكافة الطرق والوسائل، بشرط أن يكون ذلك نابعاً من هؤلاء الأتباع الراغبين فى الاستفادة من تلك القوة؛ فى الوقت الذى لا يدركون معه بدقة أهمية الدور الذى يلعبونه لصالحها، إلا أن العلويين قد اندفعوا وراء كسب الأتباع عن طريق الدعوة والإقناع، مما أدى بهم بالضرورة إلى إجتياز العالم الإسلامى كله للبحث عن أفضل نقطة للانطلاق.

المقدمة

وعلى الرغم من أن الفرصة قد لاحت أمامهم فى سنة (٢٩٦هـ-٩٠٩م) ... ببلاد المغرب، إلا أنهم ومع ذلك لم يغيروا من قاعدة ملكهم، وهو ما نتج عنه فشل زواج بعد ستة عقود لا غير منذ بداية إعلانهم الخلافة الفاطمية ببلاد المغرب، لذا فإننا قد وجدناهم بمصر بعد ذلك، قد عدلوا عن تلك النظرة فى سياستهم وحاولوا أولاً أن يثبتوا أن أحقيتهم فى الملك لم تكن نابعة من نسبهم الشريف بأكثر ما كان ذلك نابعاً من قدرة عسكرية تكفل لهم السيطرة على مجريات الحكم فى البلاد، وعلى الرغم من أن التشيع بمصر لم يسبق الفاطميين إليها، إلا أنهم قد استطاعوا بتلك الرؤية الجديدة مواصلة السير بها زهاء أكثر من قرنين واستطاعوا خلال تلك المدة نشر مذهبهم بين المصريين بصورة واضحة وفعالة وهو الأمر الذى زاد من صعوبة المهمة أمام الأيوبيين السنيين، الذين خلفوا الفاطميين على حكم مصر بصورة أهدأ مما كان ينبغى أن تكون عليه الأحداث ساعد على ذلك مجموعة من العوامل التى تبعد كل البعد عن التشكيك فى انتماءات المصريين للفاطميين من الناحية المذهبية والسياسية ولعل ثورات المصريين المتعددة طوال العصر الأيوبي والتى تركزت كلها فى محاولة إعادة الحكم الفاطمى لأكبر دليل على ذلك.

وكان من الطبيعى على رجل كصلاح الدين الأيوبي الوقوف على أبعاد تلك المشكلة وكيفية التعامل معها، وذلك أثناء وزارته للعاضد آخر خلفائهم من سنة (٥٦٥هـ: ٥٦٧هـ- ١١٦٩م: ١١٧١م) خصوصاً، وإذا كانت أحلامه لم تكن تتوقف عند حد إعادة مصر إلى أحضان الخلافة العباسية ببغداد، بل أنها قد تعدت إلى مواجهة أطماع الصليبيين فى العالم الإسلامى بأثره، وكان لزاماً عليه فى سبيل النهوض بذلك العمل، التركيز على إعادة وحدة البناء الإسلامى بين مصر وغيرها من الولايات الإسلامية من الناحية الدينية والثقافية؛ وذلك بقصد الوصول إلى وحدة الهدف، لاسيما وإذا كانت المشكلة الرئيسية فى مصر أمام صلاح الدين، هى

المقدمة

إحياء المذهب السننى بها من جديد، وأن تلك المشكلة قد سبق التعامل معها بأساليب ناجحة من قبل أهل السنة بفارس والعراق خلال القرنين الرابع والخامس الهجريين العاشر والحادى عشر الميلاديين، وكان من الطبيعى أن يلجأ صلاح الدين إلى الاستعانة بتلك الأساليب فى سياسته القادمة بمصر، والتي كان من أهمها إنشاء المؤسسات التعليمية المختلفة المعروفة بالمدارس، وهى التى خصصت لدراسة مذاهب أهل السنة الأربعة المعروفة، والحق أن تلك المؤسسات قد أخذت فى الظهور بمصر قبيل العصر الأيوبي بصورة ضعيفة، وقد تركزت كلها بمدينة الإسكندرية، إلا أن صلاح الدين وخلفاءه من بعده قد أكثروا من تلك المدارس فى كافة أنحاء البلاد المصرية، وقد حاول بعض الباحثين أن يتناولوا تلك المؤسسات بالدراسة والبحث خلال دراساتهم التى أجريت عن الحركة الفكرية والعلمية بمصر خلال تاريخها، ومن أهم تلك الأبحاث:-

١- دراسة أعدها الباحث صلاح السيد، بكلية التربية جامعة الزقازيق، فرع بنها، لنيل درجة الماجستير فى التاريخ، وموضوعها:- نشأة المدارس وتطورها فى العالم الإسلامى، وقد تناول الباحث خلالها مدارس مصر والشام فى العصرين الأيوبي والمملوكى.

٢- دراسة أعدها الباحث أحمد عزت عثمان، بكلية التربية جامعة أسيوط، لنيل درجة الدكتوراة فى التاريخ، وموضوعها:- التربية والمجتمع المصرى فى العصر الأيوبي، وقد تناول الباحث فى أحد فصولها مدارس مصر فى ذلك العصر.

٣- دراسة أعدتها الباحثة ماجدة محمد حسن، بكلية التربية بجامعة المنيا، لنيل درجة الماجستير، فى التاريخ وموضوعها:- الثقافة والتربية فى مصر على عهد بنى أيوب، وقد تناولت الباحثة بعض مدارس مصر فى ذلك العهد بالدرس والبحث.

المقدمة

٤- دراسة أعدها الباحث عبد الغنى محمود عبد العاطى، وموضوعها :- التعليم فى مصر زمن الأيوبيين والمماليك، تناول فى أحد فصولها مدارس مصر فى ذلك العصر.

٥- بحث أعدته الدكتورة عفاف محمد صبرة، ضمن أبحاث ندوة المدارس فى مصر الإسلامية، وموضوعه :- مدارس مصر فى العصر الأيوبي.

٦- دراسة أعدها أ.د/ أحمد فكرى، ضمن سلسلة أبحاثه الثلاثة عن مساجد مصر ومدارسها، والذي خصص قسمها الثانى لدراسة مساجد مصر ومدارسها فى العصر الأيوبي.

ويلاحظ على تلك الدراسات أنها جاءت متطابقة بعضها مع البعض الآخر، فى إيجاز شديد ناقص، لانستطيع من خلاله تكوين صورة حقيقية وشاملة عن ذلك الموضوع، وهو الأمر الذى دفع الباحث إلى أن يخصص دراسته لذلك الموضوع، والتركيز على دور تلك المدارس فى إحياء علوم أهل السنة ومذاهبهم فى ذلك العصر، وقد واجهت الباحث مجموعة من المشكلات التى إعترضته فى سبيل إعداد ذلك البحث، كان أولها وأهمها هو افتقاد ذلك الموضوع للوثائق التاريخية، والتى من شأنها إتاحة الفرصة أمام الباحثين للتأكد من المعلومات التاريخية الواردة فى المصادر التاريخية المختلفة عن ذلك الموضوع، والذي عان الباحث أشد المعاناة فى جمع مادته نظراً لضعف الإشارات الواردة فى تلك المصادر، والتى حاولنا جمع شتاتها لمعالجة ذلك الدرس، والذي قسمناه إلى تمهيد، وأربعة فصول، وخاتمة، وقد تناول الباحث فى التمهيد نشأة المدارس وتطورها فى العالم الإسلامى، وذلك لكى يقف الدارسون على الأسباب والظروف التى ساعدت على ظهور ذلك النوع من المؤسسات.

وقد حاول الباحث فى سبيل الوصول إلى تلك الأسباب والظروف متابعة التطور الذى طرأ على شكل المؤسسات التعليمية، التى سبقت المدارس فى الظهور،

المقدمة

ومن المعروف أن المسجد كان أقدمها على الإطلاق، فقد كان وبحق المركز الأول للمسلمين من الناحية السياسية والحضارية، ثم أنه حينما تعقدت الآداة الحكومية بدأت تنسلخ عنه كثير من المهام لتستقل بكل واحدة منها دور ومؤسسات يمكنها القيام بتلك المهام، بصورة أفضل مما كانت عليه، ومن تلك المهام التعليم.

فقد بدأت تظهر لنا فى الأفق مجموعة من الدور، التى أقيمت وبصفة خاصة لمزاولة النشاط العلمى بها، كدور الكتب التى أنشأها أصحابها لراغبى الاطلاع، ولما كانت تلك الدور تفتقد إلى النظام والتخصص، وجدنا دوراً أخرى أخذت فى الظهور، حاولت سد ذلك العجز ووفرت لروادها فوق ما كانت توفره دور الكتب فقد وفرت لهم المعلمين والقاعات التى خصصت كل واحدة منها لدراسة فن من الفنون، وهى الدور التى أصطلح على تسميتها بدور العلم، ولم يتوقف المسلمون عند ذلك الحد إذ وجدوا أنه من الضرورى أن يلحقوا بتلك المؤسسات مساكن للدارسين، ليكون ذلك معيناً لهم على مواصلة الدرس والبحث، فجاءت تلك المؤسسات التعليمية التى عرفت بالخانات محققة لذلك الغرض، والتى خصص كل واحد منها لطائفة من طوائف فقهاء المذاهب السنية، ثم أن مؤسسات أخرى قد تلت تلك الخانات فى الظهور، وهى الخوانق والتى أعدها الباحث بحق المرحلة الأخيرة فى التطور، الذى طرأ على شكل المؤسسة التعليمية قبل ظهور المدارس، لذا فإننا وجدنا كثيراً من أوجه الشبه بينهما، إلا أن المدارس جاءت لتحقيق للمؤسسة التعليمية اكتمالها فى كافة النواحي، بحيث يكفل لها ذلك إثبات فعاليتها فى المجتمع الإسلامى، ولما كان ذلك من صنيع أهل السنة جاءت تلك المدارس لتركز على دراساتهم بقصد مناهضة الفكر الشيعى، وقد نجحت تلك المؤسسات نجاحاً ملحوظاً فى القيام بذلك الدور خلال القرنين الرابع والخامس الهجريين العاشر والحادى عشر الميلاديين، وذلك فى الوقت الذى كانت فيه مصر بأيدي الفاطميين الشيعة، وهو

المقدمة

الأمر الذى يتوقع معه صعوبة ملاحقة مصر لذلك التطور، والذى بدأت رغم ذلك تظهر آثاره الأولى بمصر مع نهاية ذلك العصر، لذا فقد جاء الفصل الأول لدراسة نشأة المدارس بمصر فى العصر الفاطمى، ومناقشة الظروف والأسباب التى أدت إلى تأخيرها، وظهورها فيما بعد ذلك خصوصاً فى الإسكندرية، التى أفصحت لنا المصادر التاريخية عن ثلاثة مدارس، تم إنشاءها فى ذلك العصر، وهى مدرسة أبو بكر الطرطوشى، ومدرسة ابن عوف، والمدرسة السلفية، وبالطبع فإن ذلك لم يكن كافياً، ومؤثراً، بأكثر ما كان بداية لفجر يوم جديد.

ولاشك أن صلاح الدين وخلفاءه على مصر هم الذين أكثروا من تلك المدارس إيماناً منهم بأهميتها فى إحياء المذاهب السنية، لذلك فإن الباحث خصص الفصل الثانى لدراسة المدارس، التى أنشأها الأيوبيون بمصر مصنفة على حسب المذهب، الذى خصصت من أجله كل مدرسة منها على حده، وهى على النحو التالى :-

١- مدارس خصصت لتدريس المذهب الشافعى، وهم ستة عشر مدرسة، ثلاثة منها بالفيوم، وواحدة بأسوان، وأخرى بأسسوط، أما الإحدى عشرة الباقية فبالقاهرة.

٢- مدارس خصصت لتدريس المذهب المالكى، وهم احدى عشر مدرسة، اثنتان منها بالفيوم، وواحدة بقوص ورابعة بمنية بنى الخصيب، واثنتان بالإسكندرية، أما الخمسة الباقية فبالقاهرة.

٣- مدارس خصصت لتدريس المذهب الحنفى، وهم ستة مدارس، كلهم بالقاهرة.

٤- مدارس خصصت لتدريس مذهبين معاً، وهى مدرسة واحدة بالقاهرة، أوقفها القاضي الفاضل، على دراسة فقهى مالك والشافعى.

٥- مدارس خصصت لتدريس المذاهب الأربعة مجتمعة، وهى مدرسة واحدة بالقاهرة، وهى التى أنشأها الملك الصالح نجم الدين أيوب.

المقدمة

٦- مدارس لم يهتدى إلى المذهب الذى خصصت من أجله، وهم أربعة مدارس، واحدة منهم بالإسكندرية، وثلاثة بالقاهرة.

وبالطبع فإننا قد حاولنا تتبع أخبار كل مدرسة من تلك المدارس على حدة، من ناحية موقعها وتاريخ إنشائها، وبعض من الذين تولوا مهمة التدريس، والإعادة بتلك المدارس.

وفى الفصل الثالث تناول الباحث التنظيمات المالية والإدارية لتلك المدارس، والتي عرض فيها للمصادر المالية التى كانت تنشأ بها المدارس، وكذلك الأوقاف التى أوقفها أصحابها، على تلك المؤسسات للصرف عليها؛ ثم انتقل الباحث بعد ذلك للكلام عن الفئات التى كانت تعيش فى تلك المدارس، وهى :-

١- المدرسون: وهم الأشخاص الذين أسندت إليهم مهمة تدريس الفقه، أو الحديث، أو التفسير، فى إحدى المدارس.

٢- المعيدون: وهم الذين اختصوا بإعادة إسماع الدرس للطلبة، إمعاناً فى الفائدة.

٣- الإمام: وهو الذى اختص بإمامة المقيمين بالمدرسة فى الصلاة.

٤- القارئ: وهو الذى اختص بقراءة القرآن بالمدرسة.

٥- المؤذن: وهو الذى اختص برفع الأذان للناس بالمدرسة فى أوقات الصلاة.

٦- الناظر: وهو الذى اختص بالإشراف الإدارى على مصالح الوقف.

٧- الخدم: وهم الذين خصصوا للإشراف على النظر فى مصالح المدرسين والطلبة وغيرهم من أهل المدارس.

٨- موظفوا المكتبة: وهم الذين اختصوا بالمكتبات، التى كانت ملحقة بالمدارس.

المقدمة

٩- طلاب المدارس: وهم الذين قسمهم الباحث إلى قسمين، وهم الطلاب المنتظمون، وغير المنتظمين.

ثم انتقل الباحث فى ذلك الفصل إلى الحديث عن الأقسام الرئيسية بتلك المدارس وهى:- قاعات الدرس، ومساكن المدرسة، والمكتبة، وبيت الصلاة، والحمام، والمارستان.

ثم انتقل الباحث فى الفصل الرابع، إلى الحديث عن الآثار العلمية، والثقافية، لتلك المؤسسات فى المجتمع المصرى فى العصر الأيوبي، التى كان من أهمها أن المدارس الأيوبية أصبحت مركزاً للإشعاع العلمى، الذى جذب انتباه كثيراً من كبار علماء أهل السنة خارج مصر، ومن جهة أخرى فقد حاول الباحث الاهتمام بعلوم أهل السنة، ودراسة ما إذا كان للمدارس الأيوبية أثر فى انتشارها، وإلى أى مدى كان ذلك التأثير.

وكان أهم ما إنتبه إليه الباحث فى ذلك الاتجاه من علوم أهل السنة علم الفقه باعتبار أن المدارس قد أنشئت خصيصاً لدراسته، وكذلك علم القراءات على اعتبار أن بعضاً من تلك المدارس قد خصص بها درس مستقل بذلك العلم، وعلم الحديث الذى خصصت من أجله المدرسة الكاملة، وكذلك علمى النحو، والتفسير، اللذين إهتمت بدراستهما بعضاً من تلك المدارس..، ثم انتقل الباحث فى نهاية ذلك الفصل إلى الآثار السياسية والاجتماعية لمدارس مصر فى ذلك العصر. ثم تلت تلك الفصول جميعاً الخاتمة، والتى اشتملت على نتائج البحث، وبعد فأنتنى أحمد الله العلى العظيم أن وفقنى إلى ذلك إنه على كل شىء قدير.

عرض لأهم المصادر

عرض لأهم المصادر

عرض لأهم المصادر

عرض لأهم مصادر البحث

تعتبر دراسة المصادر التي اعتمد عليها الباحث في دراسته جزءاً لا يتجزأ عن موضوع الدراسة لأنها تنطوي على مدى مصداقية البحث وجديته وأول ما يمكن الإشارة إليه في ذلك الصدد هو خلو ذلك البحث من أية وثيقة تاريخية تنتمي إلى العصر الذي نحن بصددده ولم يكن ذلك راجعاً إلى تقصير من الباحث الذي سعى قدر الاستطاعة من أجل الحصول على تلك الوثائق باعتبارها المصدر الأول للكتابة التاريخية ولكن دون جدوى ومع ذلك فقد توفر لدينا معلومات غزيرة وقيمة في كتابات الكثير من المؤرخين عن ذلك الموضوع تتضح أهميتها فيما يلي :-

أولاً: مجموعة الكتابات المعاصرة :

فقد حظى العصر الايوبي بكثير من الكتابات التاريخية التي عايش أصحابها أحداث ذلك العصر، ومنهم من عاين بعضها وقد دونوا ذلك كله في كتاباتهم التي وصلت إلينا معظمها، ومن هذه المؤلفات ما كتبه لنا ابن شداد المتوفى سنة (٦٣٢هـ - ١٢٣٤م) في مؤلفه المعروف (بالنوار السلطانية والمحاسن اليوسفية) والذي دون فيه معظم الحوادث التي وقعت بمصر والشام على عهد صلاح الدين، وإن كان ابن شداد لم يلتفت كثيراً إلى التغيرات الحضارية التي أحدثها صلاح الدين بمصر بالقدر الذي اهتم فيه بالأحداث السياسية والعمليات العسكرية شأنه في ذلك شأن كل من العماد الكاتب الأصفهاني المتوفى سنة (٥٩٧هـ - ١١٩٠م) في كتابه (الفتح القسى في الفتح القدسى)، وأبى شامة المتوفى سنة (٦٦٥هـ - ١٢٦٦م) في كتابه (الروضتين في أخبار الدولتين)، وكذلك ما نجده عند ابن واصل المتوفى سنة (٦٩٧هـ - ١٢٩٧م) في كتابه (مفرج الكروب في أخبار بني أيوب)، وبالطبع فإن ما أحدثه صلاح الدين وخلفاؤه من فتوحات وانتصارات

عرض لأهم المصادر

منقطعة النظر كانت السبب وراء ذلك، ويضاف إلى تلك المؤلفات مؤلفات أخرى كتبها أصحابها في التاريخ العام دونوا فيها كثيراً من أخبار بني أيوب، وتعود أهميتها في الواقع إلى معاصرة أصحابها لتلك الفترة ككتابي الكامل في التاريخ (والتاريخ الباهر في الدولة الأتابكية) لابن الأثير الجزري المتوفى سنة (٦٣٠هـ-١٢٣٢م)، وكتاب (مرآة الزمان في تاريخ الأعيان) لمؤلفه سبط ابن الجوزي المتوفى سنة (٦٥٤هـ-١٢٥٦م)، وهناك مجموعة أخرى من تلك الكتابات أكثر أهمية من التي سبقت لأن أصحابها في تلك المرة أفسحوا فيها المجال أمام الباحثين للاطلاع على كثير من نواحي النشاط العلمي والثقافي، وذلك من خلال ما أثبتوه في مؤلفاتهم من سير مشاهير العلماء ككتاب (التكملة لوفيات النقلة) لمؤلفه المنذرى المتوفى سنة (٦٥٦هـ-١٢٥٨م) والذي يعد ويحق من أهم المصادر التاريخية في ذلك الموضوع نظراً لأن المنذرى كان قد جلس للاستماع في كثير من مدارس مصر في ذلك العصر، وذلك بالإضافة إلى توليه التدريس بالمدرسة الكاملية طيلة عشرين عاماً وقد دون لنا ذلك كله في هذا المؤلف النادر، ويلى كتاب التكملة في الأهمية كتاب (تراجم رجال القرنين السادس والسابع الهجريين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين) لمؤلفه ابى شامة صاحب (كتاب الروضتين)، وكتاب (وفيات الاعيان) لصاحبه شمس الدين بن خلكان المتوفى سنة (٦٨١هـ-١٢٨٢م)، وكتاب (بغية الطلب في تاريخ حلب) لابن العديم المتوفى سنة (٦٦٠هـ-١٢٦١م)، وكذلك عن كتاب (تاريخ الواصلين) لمؤلفه ابن واصل صاحب كتاب (مفرج الكروب).

وهناك نوع آخر من المؤلفات التي لم تقل أهمية عن تلك التي سبقت، وهي كتب الرحلات التي تعد ويحق أوثق المصادر التاريخية لأن أصحابها قد دونوا ما شاهدوه وعاینوه بدقة من حيث المكان والزمان، ومن حسن الحظ أن لدينا مثلاً من لذلك النوع في العصر الأيوبي فقد زار ابن جبیر المتوفى سنة (٦١٤هـ-١٢١٧م)

عرض لأهم المصادر

مصر فى حدود السنة (٥٧٨هـ-١١٨٢م)، ودون كثيراً من مشاهداته فى تلك السنة فى مؤلفه الشهير برحلة ابن جبير ويندرج تحت ذلك النوع من الكتابات مؤلفات أخرى اعتنى أصحابها فيها بموضوعات أكثر خصوصية من التى سبق الإشارة إليها ككتابى (تاريخ الفيوم وبلاده)، وكتاب (لمع القوانين المضية فى دواوين الديار المصرية) لصاحبهما عثمان بن إبراهيم النابلسى المتوفى سنة (٦٦٠هـ-١٢٦١م).

ثانياً: كتابات اللاحقين :

ونقصد بها تلك التى عاش أصحابها فى العصر الايوبى، وهؤلاء كانوا قد عاصروا وسجلوا وفيات بعض من الذين عاشوا وترهبوا فى كنف الدولة الأيوبية، وامتد أجلهم إلى ما بعد سنة (٦٤٨هـ-١٢٥٠م)، وبالطبع فإنهم كتبوا عنهم الكثير من أخبارهم قبل تلك السنة، ومن هذه الكتابات كتاب (ذيل مرآة الزمان) لليونينى المتوفى سنة (٧٢٦هـ-١٣٢٥م)، ومن محاسن هذا الكتاب أنه جاء محدداً للمراحل التى عاشها من يكتب عنهم تحديداً زمنياً ساعد الباحث على أن يميز بين الحوادث التى وقعت لهؤلاء قبل السنة (٦٤٨هـ-١٢٥٠م) من التى وقعت لهم بعدها، ومن هذه المؤلفات أيضاً ما كتبه النويرى المتوفى سنة (٧٣٢هـ-١٣٣١م) فى مؤلفه الضخم المعروف (بنهاية الأرب فى فنون الأدب)، وما كتبه أبو الفدا المتوفى سنة (٧٣٢هـ-١٣٣١م) فى كتابه (المختصر فى أخبار البشر)، ويلى تلك المؤلفات فى الرتبة من ناحية المعاصرة مؤلفات أخرى، وإن كانت لا تقل أهمية من ناحية العمق وغزارة المعلومات واتساعها تلك التى ترجم فيها أصحابها لعلماء تلك الفترة وأدبائها، وكل من لهم صلة من قريب أو بعيد عن ذلك الموضوع، كمؤلفات الذهبى المتوفى سنة (٧٤٨هـ-١٣٤٧م) فى كل من كتاب (سير أعلام النبلاء)، وكتاب (تذكرة الحفاظ)، وكتاب (تاريخ الإسلام)، وكذلك ما كتبه

عرض لأهم المصادر

الإدقوى المتوفى سنة (٧٤٨هـ-١٣٤٧م) فى كتابه (الطالع السعيد)، وكذلك ما ألفه بعض المؤلفين فى طبقات فقهاء المذاهب المختلفة، كالسبكي المتوفى سنة (٧٧١هـ-١٣٦٩م) والإسنوى المتوفى سنة (٧٧٢هـ-١٣٧٠م) وابن كثير المتوفى سنة (٧٧٤هـ-١٣٧٢م) اللذين ألفوا فى طبقات الشافعية ثلاثة مؤلفات قيمة، وكابن أبى الوفاء القرشى المتوفى سنة (٧٧٥هـ-١٣٧٣م)، الذى ألف فى طبقات الحنفية كتاباً أسماه (الجواهر المضية فى طبقات الحنفية)، وكابن فرحون المتوفى سنة (٧٧٩هـ-١٣٥٧م) الذى ألف فى طبقات المالكية كتاباً أسماه (الديباج المذهب فى معرفة أعيان علماء المذهب)، وابن رجب الحنبلى المتوفى سنة (٧٩٥هـ-١٣٩٢م) فى كتاب (الذيل على طبقات الحنابلة)، وتعود أهمية هؤلاء المؤلفين إلى عنايتهم الشديدة بجمع كل ما يتعلق بتراجم هذه الطبقات نظراً لانتفاء هؤلاء إلى نفس المذهب الذى كتبوا فيه عن أصحابه، وقد أدى ذلك بهم إلى جمع أخبارهم من شتات الكتب التى وصلت إلينا، والتى منها لم تصل.

ثالثاً: كتابات متأخرة عن ذلك العصر :

وهى لمؤلفين عاشوا فى أواخر القرن الثامن وأوائل القرن التاسع الهجرى الخامس عشر الميلادى، وتعود أهمية هؤلاء المؤلفين - المؤرخين إلى غزارة معلوماتهم من الناحية التاريخية مقارنة بمن سبقوهم فى نفس التصانيف، ومن هؤلاء القلقشندى المتوفى سنة (٨٢١هـ-١٤٠٨م) فى كتابه (صبح الأعشى فى صناعة الإنشا) وابن الجزري المتوفى سنة (٨٣٣هـ-١٤٢٩م) فى كتابه (غاية النهاية فى طبقات القراء)، والمقرئى المتوفى سنة (٨٤٥هـ-١٤٤١م) فى كتابه (السلوك فى معرفة دول الملوك)، (المقفى الكبير)، ومنهم أيضاً ابن حجر العسقلانى المتوفى سنة (٨٥٢هـ-١٤٤٨م) فى كتابه (رفع الأصر عن قضاة مصر)، والعينى المتوفى

عرض لأهم المصادر

الإدقوى المتوفى سنة (٧٤٨هـ-١٣٤٧م) فى كتابه (الطالع السعيد)، وكذلك ما ألفه بعض المؤلفين فى طبقات فقهاء المذاهب المختلفة، كالسبكي المتوفى سنة (٧٧١هـ-١٣٦٩م) والإسنوى المتوفى سنة (٧٧٢هـ-١٣٧٠م) وابن كثير المتوفى سنة (٧٧٤هـ-١٣٧٢م) اللذين ألفوا فى طبقات الشافعية ثلاثة مؤلفات قيمة، وكابن أبى الوفاء القرشى المتوفى سنة (٧٧٥هـ-١٣٧٣م)، الذى ألف فى طبقات الحنفية كتاباً أسماه (الجواهر المضية فى طبقات الحنفية)، وكابن فرحون المتوفى سنة (٧٧٩هـ-١٣٥٧م) الذى ألف فى طبقات المالكية كتاباً أسماه (الديباج المذهب فى معرفة أعيان علماء المذهب)، وابن رجب الحنبلى المتوفى سنة (٧٩٥هـ-١٣٩٢م) فى كتاب (الذيل على طبقات الحنابلة)، وتعود أهمية هؤلاء المؤلفين إلى عنايتهم الشديدة بجمع كل ما يتعلق بتراجم هذه الطبقات نظراً لانتماء هؤلاء إلى نفس المذهب الذى كتبوا فيه عن أصحابه، وقد أدى ذلك بهم إلى جمع أخبارهم من شتات الكتب التى وصلت إلينا، والتى منها لم تصل.

ثالثاً: كتابات متأخرة عن ذلك العصر :

وهى لمؤلفين عاشوا فى أواخر القرن الثامن وأوائل القرن التاسع الهجرى الخامس عشر الميلادى، وتعود أهمية هؤلاء المؤلفين - المؤرخين إلى غزارة معلوماتهم من الناحية التاريخية مقارنة بمن سبقوهم فى نفس التصانيف، ومن هؤلاء القلقشندى المتوفى سنة (٨٢١هـ-١٤٠٨م) فى كتابه (صبح الأعشى فى صناعة الإنشا) وابن الجزري المتوفى سنة (٨٣٣هـ-١٤٢٩م) فى كتابه (غاية النهاية فى طبقات القراء)، والمقرئى المتوفى سنة (٨٤٥هـ-١٤٤١م) فى كتابيه (السلوك فى معرفة دول الملوك)، (المقفى الكبير)، ومنهم أيضاً ابن حجر العسقلانى المتوفى سنة (٨٥٢هـ-١٤٤٨م) فى كتابه (رفع الأصر عن قضاة مصر)، والعينى المتوفى

عرض لأهم المصادر

سنة (٨٥٢هـ-١٤٤٨م) فى كتابه (عقد الجمان فى تاريخ أهل زمان)، وأبو المحاسن ابن تغرى بردى المتوفى سنة (٨٧٤هـ-١٤٨٠م) فى كتابة (النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة).

رابعاً: كتابات ذات طبيعة خاصة :

ونقصد بها تلك التى وضعها أصحابها فى طبوغرافية مدينة القاهرة، ووصف عمائرها الدينية والمدنية، وبالطبع فإن الذى يهمنى من بين تلك العمائر، ما كتبه هؤلاء عن مدارس القاهرة التى يعود تاريخها للعصر الأيوبي ولم تزل قائمة إلى عصورهم، وقد شاهدوا منها ما دونوه فى مؤلفاتهم من ناحية وصف المبنى، وقراءة اللوحة التأسيسية التى على باب المدرسة، والتى توضح لنا تاريخ إنشائها، والتنبيه على مؤسسها، ولأى المذاهب خصصت، كما كانوا يقفون فى بعض الأحيان على حجج أوقافها، ويستمعون إلي بعض من أخبارها منذ نشأتها إلى أيامهم، ومن أهم تلك الكتب على الإطلاق كتاب (المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار) لمؤلفه المقرئ المتوفى سنة (٨٤٥هـ-١٤٤١م) الذى خصص فيه فصلاً كاملاً عن مدارس القاهرة، والحق أن المقرئ لم يكن أول من صنف فى ذلك الفن بل سبقه فى ذلك آخرون، وإن منهم من اعتمد عليه المقرئ نفسه فى إعداد ذلك المؤلف كابن عبد الظاهر المتوفى سنة (٦٩٢هـ-١٢٩٣م) فى كتابه (الروضة البهية الزاهرة فى خطط المعزية القاهرة)، ويندرج تحت ذلك النوع من المؤلفات كتاب (الانتصار لواسطة عقد الأمصار) لمؤلفه ابن دقماق المتوفى سنة (٨٠٩هـ-١٣٩٦م)، وكتاب (إعلام الساجد بأحكام المساجد) لمؤلفه الزركشى المتوفى سنة (٧٩٤هـ-١٣٩١م)، وكتاب (الكواكب السيارة فى ترتيب الزيارة) لابن الزيات المتوفى خلال القرن التاسع الهجرى الخامس عشر الميلادى.

عرض لأهم المصادر

خامساً: المراجع العربية والأجنبية :

ولاشك أن الباحث قد أستفاد كثيراً من الكتابات العربية والأجنبية الحديثة، وإن كانت كلها قد ركزت على جوانب محددة دارت حولها تلك المؤلفات جميعاً، وقد قسمها فيما بينها إلى ثلاثة أقسام :

١- الكتابات الأثرية: وهى تلك التى تهتم بالنواحى المعمارية للمنشآت الدينية والمدنية فى تاريخ مصر الإسلامية، والذى من بين عصوره العصر الأيوبي، ومن أهم تلك المؤلفات ما كتبه أحمد فكرى فى الجزء الثانى من كتابه (مساجد القاهرة ومدارسها)، وما كتبته سعاد ماهر فى كتابها (مساجد مصر وأولياؤها الصالحون) وما كتبه حسن عبد الوهاب فى كتابه (تاريخ المساجد الأثرية فى القاهرة)، وما كتبه كرسويل فى (كتابته العمائر الإسلامية فى مصر).

وبالطبع فإن تلك المؤلفات قد ركزت اهتماماتها على البقايا الأثرية لمدارس مصر فى العصر الأيوبي، والتى لم تتعد أكثر من موضعين لمدرستين أنشأتا فى أواخر ذلك العصر وهما المدرسة الكاملية، والمدرسة الصالحية، وأما بقية المدارس فقد اعتمد أصحاب تلك المؤلفات فى دراستهم لها على كتاب (خطط المقرئى)، ولذا فقد جاءت دراسات هؤلاء ناقصة لا توفى بالغرض المطلوب.

٢- الكتابات التربوية: وهى تلك التى قصد بها أصحابها إلقاء الضوء على الجوانب التربوية للمؤسسات التعليمية التى أسست فى العصر الأيوبي، والتى من بينها المدارس كتلك التى قام بها بعض الباحثين فى كليات التربية بالجامعات المصرية، فمن ذلك الدراسة التى أعدها أحمد عزت عثمان، لنيل درجة الدكتوراه من كلية التربية جامعة أسيوط، وعنوانها (التربية والمجتمع المصرى فى العصر الأيوبي)، والدراسة التى أعدتها ماجدة محمد حسن لنيل درجة الماجستير من كلية التربية جامعة المنيا، وموضوعها (الثقافة والتربية

عرض لأهم المصادر

فى مصر على عهد بنى أيوب)، والدراسة التى قام بها صلاح السيد فى كلية التربية جامعة الزقازيق فرع بنها، وذلك لنيل درجة الماجستير وموضوعها (نشأة المدارس وتطورها فى العالم الإسلامى).

وكان من المتوقع أن تأتى تلك الدراسات بفائدة أكبر من تلك التى استفاد منها الباحث فى دراسته، راجع ذلك إلى أن أحكامها جاءت عامة على كافة المؤسسات التعليمية من مساجد، ومدارس وخوانق، وزوايا، وربط، وكتاتيب وفى بعض الأحيان قد تعدت أحكامها حدود العصر الأيوبرى كما أنها جاءت من الناحية التاريخية أقل دقة.

٣- الكتابات التاريخية: وهى تلك التى ألفها بعض الذين تخصصوا فى كتابة التاريخ الإسلامى، كالأستاذ الدكتور/ جمال الدين الشيال، الذى إستفدت منه كثيراً فيما كتبه عن المدرسة الحافظية العوفية بالإسكندرية، وما كتبه كلا من أيمن فؤاد سيد عن مدارس مصر فى العصر الفاطمى، وعفاف صبرة عن مدارس مصر فى العصر الأيوبرى وذلك ضمن أبحاث ندوة المدارس فى مصر الإسلامية، وما كتبه عبد الغنى عبد العاطى فى كتابه (التعليم فى مصر زمن الأيوبيين والمماليك)، وعلى الرغم من قلة هذه الدراسات إلى أن الباحث قد استفاد منها كثيراً فى دراسته والتى نرجو من الله أن تكون مكملة لتلك الدراسات التى سبقتها فى ذلك المجال.

وبعد فإننى أقول دون أى مدافعة أن مادة ذلك الموضوع جاءت غير كافية فى المصادر والمراجع بالقدر الذى لم يسمح للباحث فى كثير من الأحيان بدراسة بعض جوانب الموضوع دراسة وافية خصوصاً إذا علمنا أن مدارس ذلك العصر جاءت قليلة فى العدد حديثة العهد بمصر، وهو الأمر الذى كان يؤدى فى بعض الأحيان لضعف الأسلوب، والصياغة، والذى حاولت جهد الإستبطاعة أن أتجنب الوقوع فيه وأن ألتزم بالمنهج العلمى فى كتابة ذلك الموضوع والله الموفق والمعين...

تمهيد

تمهيد

نشأة المدارس وتطورها في العالم الاسلامي

تمهيد

الفصل التمهيدي

نشأة المدارس وتطورها في العالم الإسلامي

يعتقد بعض الباحثين في تاريخ المدارس الإسلامية أنها ابتكار سني^(١)، ومنهم من يعتبرها بمثابة استحداثا شيعيا^(٢)، ولسنا هنا في معرض ترجيح أحد الرأيين على الآخر، بل أنه من الأولى أن نناقش ما اتفق عليه الفريقان، بأن المدرسة عمل مبتكر، ولسنا على إستعداد أن نتفق مع ذلك الرأي، لأن نظاماً معقداً، كالمدرسة لا يمكن أن يبتكر مرة واحدة، في أي مكان من الأرض^(٣) ولذا فقد ظل من الضروري عند التأريخ لنشأة المدارس في الإسلام، أن نحيط بأصلها من حيث كونها فكرة في المجتمع الإسلامي، ثم نظاماً تعليمياً من بعد ذلك.

وعندما نبحث في تاريخ المدارس الإسلامية، يجب أن نتجنب التعبيرات ذات المدلولات العامة غير المحدودة، وقد اعتاد بعض الكتاب المعاصرين في كتاباتهم عن تاريخ الإسلام وحضارته. أن يطلقوا كلمة مدرسة على كل معهد علمي^(٤)، فمن ذلك ما جاء في دائرة المعارف البريطانية أن أول مدرسة في الإسلام أنشأها الخليفة العباسي المأمون^(٥).

(١) أيمن فؤاد سيد، المدارس في مصر قبل العصر الأيوبي، أبحاث ندوة المدارس في مصر الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٢، ص ٨٩.

(٢) حسن أمين؛ المسجد المعهد الأول للتعليم عند المسلمين، مجلة كلية الآداب، جامعة الاسكندرية، العدد ٢٢، ١٩٦٨م، ص ٢٥.

(٣) خوليان ريبيرا، التربية الإسلامية في الأندلس أصولها الشرقية وتأثيراتها الغربية، ترجمة الطاهر أحمد مكي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨١م، ص ٢٥٧.

(٤) محمد عبد الرحيم غنيمة، تاريخ الجامعات الإسلامية الكبرى، دار الطباعة المغربية، تطوان سنة ١٩٥٣، ص ٦٦.

(٥) هو أبو العباس عبد الله المأمون ولد سنة ١٧٠هـ وكان الرشيد قد جعله ولياً للعهد بعد الأمين كما أسند إليه ولاية خراسان، وقد دار صراع مرير بين الأخوين الأمين والمأمون انتهى بتغلب المأمون في سنة ١٩٨هـ، فتولى المأمون الخلافة عقب ذلك ومن أبرز =

تقديم

فى خراسان^(١) وهو وال عليها من قبل والده الخليفة هارون الرشيد،^(٢) وعلى الرغم من أنه لم يعثر على أى مصدر عربى ذكر هذه المدرسة، إلا أننا وجدنا أحد الباحثين يميل إلى تأييد ذلك الخبر وإعتبره أمراً ليس بغريب، (فالمأمون) رجل كانت له اهتماماته العلمية، ذلك من ناحية، ومن ناحية أخرى فالمدارس الأولى فى الاسلام، إنما أنشئت فى نيسابور^(٣) عاصمة خراسان،^(٤) ومثل ذلك أيضاً نجده فى

= ما يذكر للمأمون ثقافته الرفيعة وحبه للعلم وخدماته الثقافية التى جعلته فى القمة بين خلفاء المسلمين حتى قيل أنه أعلم الخلفاء بالفقه وعلم الكلام. وتوفى المأمون وهو غار بطرسوس فى سنة ٢١٨هـ لثلاث عشر ليلة بقيت من رجب من السنة وكان عمره آنذاك ٤٨ عاماً.

- الطبرى (أبو جعفر محمد بن جرير)، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط٣ القاهرة، ١٩٧٩م، ج٨، ص ٦٥٠ وما بعدها.

(١) خراسان: بلاد واسعة أول حدودها مما يلى العراق وآخر حدودها مما يلى الهند، طخارستان، غزنة، سجستان وكرمان وليس ذلك منها إنما هو أطراف حدودها وتشتمل على أمهات من البلاد منها نيسابور وهرات.

ياقوت الحموى (ابن عبد الله الرومى ت ٦٢٦هـ - ١٢٢١م)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٦م، ج ١، ص ٢٠٦ وما بعدها.

(2) Encyclopedia, Britonnica, Inc, william Benton, publisher, 1943-1973, Helen, Heming way Benton, publisher, 1973-1974,

(٣) نيسابور : هى مدينة عظيمة ببلاد فارس يقال لها إيران شهر وهى ما بين جيحون الى القادسية ومن الرى إلى نيسابور مائة وستون فرسخا وكان المسلمون فتحوها فى أيام عثمان بن عفان رضى الله عنه.

- ياقوت الحموى، معجم البلدان، ج ٥، ص ٣٣١.

(٤) أحمد رمضان أحمد ، الإجازات والتوقيعات المخطوطة فى العلوم العقلية والنقلية من القرن الرابع إلى القرن العاشر الهجرى، سلسلة الثقافة الأثرية والتاريخية، القاهرة، د.ت، ص ٤.

تهيد

كتابات الباحثين عند الحديث عن مؤسسة الخليفة العباسي المعتضد،^(١) العلمية، والتي أمر بتأسيسها قبل وفاته بقليل فنجدهم يعتبرونها مدرسة وهم في ذلك يعتمدون على النص الذي أورده المقرئ في (الخطط) في الفصل الخاص بمدارس مصر، ففي مقدمة ذلك الفصل أورد خبراً مؤداه، "أن الخليفة المعتضد بالله ت (٢٨٩هـ - ٩٠٢م) لما أراد بناء قصره في الشماسية ببغداد، إستزاد في الزرع بعد أن فرغ من تقدير ما أراد فسئل عن ذلك، فذكر أنه يريد أن يبني فيه دوراً ومساكن ومقاصير، يرتب في كل موضع رؤساء كل صناعة ومذهب من مذاهب للمعلوم النظرية، والعلمية، ويجري عليهم الأرزاق السنوية ليقصد كل من اختار علماً ما يختاره من الرؤساء فيأخذه عنهم"^(٢). ويرى الباحث أن هذا الرأي جانبه الصواب فالمقرئ نفسه كما نرى لم يطلق على تلك المؤسسة إصطلاح (مدرسة) هذا من جهة ومن جهة أخرى فالمعروف أن المعتضد كان قد توفي قبل إتمام ذلك البناء. اعتماداً على ما أورده ابن الجوزي في كتابه (المنتظم)، من أن "المعتضد لما اعتل في أخريات أيامه طلب صحة الهواء فأمر أن يبني له قصراً فوق الشماسية، ولكنه مات قبل إتمام هذا البناء"^(٣)، وقد جاء رأي ابن الجوزي مؤكداً لما أورده الطبري من أنه

(١) وهو أبو العباس أحمد بن الموفق كانت خلافته سنة ٢٧٩هـ وبقي في الخلافة إلى حين وفاته سنة ٢٨٩هـ.

- الطبري، المصدر السابق، ج ١٠، ص ٣٠.

(٢) المقرئ (تقى الدين أبو العباس أحمد بن علي)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، الناشر: دار الطباعة المصرية، القاهرة، سنة ١٩٩٦، ج ٢، ص ٣٦٢، ٣٦٣.

(٣) ابن الجوزي (أبو الفرج عبد الرحمن بن محمد)، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تحقيق ودراسة محمد عبد القادر عطا، ومصطفى عبد القادر عطا، راجعة وصححه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٣، ج ١٢، ص ٤٢١ - صلاح السيد، نشأة المدارس وتطورها في العالم الإسلامي، رسالة ماجستير غير منشورة؛ كلية الآداب، جامعة الزقازيق، فرع بنها، ١٩٨٢، ص ٨٣ - محمد عبد الرحيم غنيم، المرجع السابق، ص ٦٦، ٦٧.

تهديد

"ولليلتين خلتا من (شهر ربيع الأول سنة ٢٨٩هـ فبراير ٩٠٢م) اخرج من كانت له دار وحانوت بباب الشماسية عن داره وحانوته، وقيل لهم خذوا أقفاصكم وأخرجوا، وذلك أن المعتضد كان قد قرر أن يبني لنفسه داراً يسكنها، فخط موضع السور وحفر بعضه، وابتدأ في بناء دكة على دجلة كان المعتضد أمر ببنائها، لينقل فيقيم فيها إلى أن يفرغ من بناء الدار والقصر، وفي ربيع الآخر منها - أي (٢٨٩هـ - مارس ٩٠٢م) توفي المعتضد^(١)"، ولو أن أصحاب ذلك الرأي أمعنوا النظر فيما كتب المقرئ نفسه لوجدوه لا يعترف بكونها - «أي مؤسسة المعتضد» - مدرسة حيث أورد في العبارة التي تلت ذلك النص السابق رأيه الخاص بنشأة المدارس في العالم الإسلامي إذ ذكر أن "المدارس مما حدث في الإسلام، ولم تكن في زمن الصحابة والتابعين، وإنما حدث عملها بعد الأربعمائة من سني الهجرة^(٢)"، وذلك النص وإن كان قد أنهى البحث في تلك المسألة إلا أن ما احتواه من أن المدارس قد حدث عملها في الإسلام بعد الأربعمائة من سني الهجرة يحتاج إلى دراسة ونظر، فالمدرسة كما ذكرنا بنظامها الكامل لا يمكن أن تكون حادثاً قد وقع بعد القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي بل علينا أن نعترف أولاً أن المدرسة جاءت كنتيجة لمراحل مختلفة، تطورت خلالها المؤسسة التعليمية حتى بلغت تمامها بالشكل الذي عرف بين المؤرخين بالمدرسة وفيما يلي عرض لأهم تلك المراحل.

أولاً: المسجد

ينبغي علينا أن ننتبه إلى حقيقة هامة مؤداها أن المسجد كان المؤسسة الأولى في الدولة الإسلامية، وتركزت فيه معظم أنشطة الدولة وقد ظل كذلك إلى فترة

(١) الطبري، المصدر السابق، ج ١٠، ص ٨٦.

(٢) المقرئ، الخطط، ج ٢، ص ٣٦٣ - حسن عبد العال، التربية الإسلامية في القرن الرابع

الهجري، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٧٧م، ص ٢٠٩.

قهيد

بعيدة وكان بمثابة المصدر الذي تفرعت منه المؤسسات المختلفة على كافة المستويات السياسية والحضارية، حدث ذلك بعد أن تعقدت المشكلات والقضايا التي واجهت الدولة الإسلامية، ونتيجة لذلك حدث أن تعقدت الآداة الحكومية مما أدى بالضرورة إلى تخفيف العبء عن كاهل المسجد كى لا يطفئ ذلك على مهمته الرئيسية التى بنى من أجلها، وهى (الصلاة)، فأخذت تستقل عنه تدريجياً المهام السياسية والحضارية فى مؤسسات مستقلة بذاتها، ومن تلك المهام «التعليم»^(١)، وعلى الرغم من حدوث ذلك بالفعل إلا أن المسجد ظل محتفظاً بمكانته الأولى لدى المسلمين، إذ كان من الضروري أن تقام بتلك المساجد حلقات للدرس وذلك على الرغم من توفر المؤسسات التى ظهرت بعد المسجد، والتى يمكنها القيام بتلك المهمة على أفضل وجه^(٢) ويرجع ذلك إلى الامتيازات التى ظل المسجد محتفظاً بها عن غيره من المؤسسات الأخرى، كاحتفاظه بإعلان الخطبة للخلفاء والملوك والأمراء والولاة من على منبره، وكخطبة الجمعة، والتى حملت إلى المسجد هيئته السياسية والحضارية معاً، وقد انعكس ذلك على قيمته التعليمية إلى الحد الذى اعتبره ابن الحاج أشمل وأعم وأقنع عن سواه من تلك الناحية^(٣).

-
- (١) سعيد عبد الفتاح عاشور، العلم بين المسجد والمدرسة، أبحاث «ندوة المدارس فى مصر الإسلامية»، المرجع السابق، ص ١٥، ١٦- أحمد فكرى، مساجد القاهرة ومدارسها، دار المعارف، القاهرة، سنة ١٩٦٩، ص ١٤٥- أحمد شلبى، التربية الإسلامية نظمها- فلسفتها- تاريخها، ط ٦، كتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٧٨، ص ١٣.
- (٢) دولت عبد الله، معاهد تركية النفوس فى مصر فى العصر الأيوبي والملوكى، مطبعة حسان، القاهرة، ١٩٨٠، ص ٦٢.
- (٣) ابن الحاج (أبو عبد الله محمد)، المدخل، ط ١، المطبعة المصرية بالأزهر، القاهرة، ١٣٤٨هـ، ج ٢، ص ١٠٢ وما بعدها.

تمهيد

ثانياً: دور الكتب :

من المعروف أن المسلمين منذ أقدم العصور، وهم مولعون باقتناء الكتب، وقد ذكرت لنا المصادر التاريخية أخباراً متعددة تؤكد تلك الحقيقة، ولم تكن المكتبات لتلحق بمنازل العلماء والمثقفين فحسب، بل أنها تعدت وجودها إلى قصور الخلفاء ثم إنها بعد ذلك صارت علامة رئيسية ومميزة للمساجد^(١)، ولسنا في معرض الحديث عن تلك الظاهرة بأكثر ما يهمنا مما نتج عن ذلك من ظهور مؤسسات تعليمية متطورة، ويعود أصلها في الواقع إلى تلك الظاهرة إلا أنها أثرت وبشكل واضح على تاريخ المؤسسات التعليمية، وتطورها في العالم الإسلامي ولا نستطيع أن نتجاهلها، وأول ما يمكن الإشارة إليه في ذلك ما أورده ياقوت الحموي من أن (على بن يحيى بن المنجم)^(٢) "قد عمل خزانة كتب عظيمة، وكان ذلك حوالى منتصف القرن الثالث الهجرى/ التاسع الميلادى وسماها خزانة الحكمة، وكان يقصدها الناس في كل بلد فيقيمون فيها ويتعلمون فيها صنوف العلم، والكتب مبدولة لهم، والصيانة مشتملة عليهم، والنفقة في ذلك من مال على بن يحيى بن

(١) آدام هيتز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجرى، نقله إلى العربية: محمد عبد الهادى أبو ريدة، الناشر : دار الكتاب العربى، بيروت، ط٤، ١٣٨٧هـ، ج١، ص ٣٢٤- أحمد شلبى، المرجع السابق، ص ١٤١.

(٢) على بن يحيى بن المنجم: أبو الحسن كان أبوه يحيى أول من خدم من آل المنجم وأول من خدم المأمون ونادم ابنه (على) هذا المتوكل وكان من خواصه وندمائه المتقدمين عنده وخص به وبمن بعده من الخلفاء إلى أيام المعتمد على الله وكان شاعراً راوية علامة إخبارياً. مات سنة خمس وسبعين ومائتين.

ياقوت الحموي (ابن عبد الله الرومى ت (٦٢٦هـ-١٢٢١م) معجم الأدباء، دار الفكر. ط٣، القاهرة (١٤٠٠هـ-١٩٧٩م)، ج١٥، ص ١٤٤.

تمهيد

المنجم^(١)، وهى بذلك المعنى لا ينقصها سوى المعلم كى تصبح مدرسة على حد قول «أحمد شلبى»^(٢).

وعلى الجانب الآخر فقد أوردت لنا الروايات التاريخية أخباراً عن دور أخرى للكتب توفر فيها المعلمون إلا أن ذلك لم يكن بشكل منتظم، ففى أثناء كلام المقدسى عن مدينة «رامهرمز»^(٣) يتحدث عن دارى كتب هامتين فيقول «وبها- أى رامهرمز- دار كتب كالتى بالبصرة»^(٤) والداران فيهما إجراء على من قصدهما ولزم القراءة والنسخ»، ثم قال المقدسى بعد ذلك عن خزانة الكتب التى بالبصرة "أنها كانت أكبر وأعمر كتباً من التى «برام هرمز» كما تميزت عنها أيضاً بميزة أخرى، وهى أن بها شيخاً يقوم بتدريس علم الكلام على مذهب المعتزلة»^(٥).

وعلى ذلك فالأصل فى نشأة دور الكتب من وجهة نظر الباحث راجع إلى أمور أولها حب الكتاب والرغبة فى اقتناؤه وقد أدى ذلك بالضرورة إلى احترامه ومحاولة فهمه، وكلما زادت الرغبة فى ذلك زاد من شأن الكتاب حتى صار له بيتاً يقصده الناس، ولما كان من العجز فهم الكتاب بغير معلم فقد حرص أصحاب تلك البيوت أو الدور على توفير المعلمين فى بعض الأحيان، وتعتبر دور الكتب بمثابة مرحلة تمهيدية لدور العلم.

(١) ياقوت الحموى، معجم الأدباء، ج ١٥، ص ٣٢٥.

- أحمد شلبى، المرجع السابق، ص ١٤٠.

(٢) أحمد شلبى، نفسه، ص ١٤٠.

(٣) رامهرمز: هى من بين مدن خوز إستان تجمع النخل والجوز والانرج وليس ذلك يجتمع بغيرها من مدن خوز إستان.

- ياقوت الحموى، معجم البلدان، ج ٣، ص ١٧.

(٤) وهى من أشهر مدن العراق بعد بغداد.

ياقوت الحموى، نفسه، ج ٤٣٠١.

(٥) المقدسى (شمس الدين أبو عبد الله محمد)، أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم، ليدن، ١٩٠٦، ص ٤١٣.

تهيد

ثالثاً: دور العلم:

يطالعنا المؤرخون منذ عصور الإسلام الأولى بأخبار مفادها أن دوراً قد أقيمت وخصصت من أجل التعليم، فمن ذلك ما رواه المقرئى عن الواقدي من "أن عبد الله بن أم مكتوم^(١) قدم مهاجراً إلى المدينة مع مصعب بن عمير^(٢) رضى الله عنهما، وقيل نزل بعد بدر بيسير فنزل دار القراء^(٣)"، إلا أنه لا توجد أى معلومات

(١) هو عبد الله بن أم مكتوم الأعمى القرشى العامري لم يختلفوا أنه من بنى عامر بن لؤى وأما أمه أم مكتوم. عاتكة بنت عبد الله بن عنكبة بن عامر بن مخزوم، واختلفوا فى اسم أبيه فقال بعضهم هو عبد الله بن زائدة بن الأصم وقال آخرون هو عبد الله بن قيس بن مالك بن الأصم بن رواحة بن صخر بن عبد الله بن عامر بن لؤى القرشى العامري كان قديم الإسلام بمكة وهاجر إلى المدينة واختلف فى وقت هجرته إليها ف قيل كان من قدم المدينة مع مصعب بن عمير قبل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وقال الواقدي: قدمها بعد بدر بيسير؟ نزل بدار القراء وكان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لما قدم المدينة يستخلفه عليها فى أكثر غزواته وكان يؤذن لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) مع بلال وشهد القادسية.

- ابن الجوزى (أبو الفرج عبد الرحمن)، صفوة الصفوة، ضبطها وكتبها هوامشها: إبراهيم رمبضان وسعيد اللحام، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١، ١٩٨٩م، ج ٢، ص ٢٩٧.

(٢) هو مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف القرشى من بنى عبد الدار، صحابى شجاع من السابقين إلى الإسلام، أسلم فى مكة وكتب إسلامه فعلم به أهله فأوثقوه وجسوه فهرب مع من هاجر إلى الحبشة ثم رجع إلى مكة وهاجر إلى المدينة فكان أول من جمع الجمعة فيها، وعرف فيها بالمقرئ وأسلم على يده اسيد بن حضير وسعد بن معاذ وشهد بدرًا وحمل اللواء بأحد فاستشهد.

- ابن الأثير (عز الدين بن الأثير)، أسد الغابة فى معرفة الصحابة، دار التعاون، القاهرة، ط ٤، ١٩٦٤م، ج ٤، ص ٣٦٨.

(٣) المقرئى، الخطط، ج ٢، ص ٣٦٢.

تهيد

عن تلك الدار بعد ذلك، ويبدو من تسميتها أنها أعدت للمشتغلين بقراءة القرآن وحفظه.

ولاريب أننا لانستطيع أن نتتبع دور العلم التى أنشأت منذ ذلك الوقت بقصد حصرها ولكن ما يهمننا فى ذلك المقام ما طرأ على شكل وجوه المؤسسة التعليمية من تطوير وتغير، وهل أدى ذلك بالضرورة إلى تطوير لاحق لتلك المرحلة نستطيع به تأييد آراء بعض الباحثين من أن المدرسة قد أخذت فكرتها من دار العلم^(١).

والذى يتابع ما ورد من أخبار تلك الدور يجد فيها ما يؤيد ذلك، ويستفاد من النص السابق للمقرئى عن مؤسسة المعتضد أنها فى عداد دور العلم، وإن كانت لم تتم فإنها عبرت عن مرحلة متقدمة جدا من المراحل التى مرت بها المؤسسة التعليمية فى التاريخ الإسلامى، حيث أنها احتوت على معظم ما ميز المدرسة عن غيرها من المؤسسات ويدل مجرد إسم هذه المؤسسات على الفرق بينها وبين دور الكتب القديمة، فكانت دار الكتب قديماً تسمى (خزانة الحكمة)، وهى خزانة كتب ليس غير، أما المؤسسات الجديدة فتسمى دور العلم وخزانة الكتب جزء منها^(٢).

وفى القرن الرابع الهجرى العاشر الميلادى أخذت دور العلم فى الانتشار فى العالم الإسلامى حيث أصبحت المؤسسة العلمية أشد تخصصاً ومركزاً للاشعاع الفكرى، ولذا فقد وجدنا أن المعاهد العلمية التى ظهرت فى تلك المرحلة قد واكبت الحركة الفكرية فى العالم الإسلامى منقسمة على نفسها إلى فكر شيعى وفكر سنى، وبدأت تظهر فى ذلك الوقت دور العلم على المذهبين الشيعى والسنى لأن الفكر الدينى فى تلك المرحلة كان دعامة رئيسية من دعائم الحكم والسياسة، وقد حرص مؤسسوا تلك المعاهد على أن يوفرها لها سبل النجاح فأوقفوا لها الأوقاف المناسبة

(١) سعاد ماهر، مساجد مصر وأولياؤها الصالحون، مطابع الأهرام التجارية، القاهرة،

١٩٧٦م، ج ١، ص ١٨.

(٢) آدم ميتز، المرجع السابق، ج ١، ص ٣٣٠.

تمهيد

للتصرف عليها. كما أنهم قاموا بتخصيص الجرايات^(١) للقائمين على تلك المعاهد من مدرسين وغيرهم، ومن الطبيعى أن يحدث ذلك الأثر بداية على يد الشيعة^(٢)، ويرجع ذلك إلى أهمية العلم لديهم باعتبارها السلاح الذى يشهرونه فى وجه خصومهم من أهل السنة، ويلاحظ أن المنهج الذى اتبعه ولاية الشيعة فى تلك المرحلة قد انتهى بهم إلى إعلان الخلافة الفاطمية فى مصر فى منتصف القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى، وقد أدى ذلك التطور من وجهه نظر الباحث إلى تباين ملحوظ بين فرق السنة الأربعة، وقد انعكس ذلك التباين على الخريطة السكانية للعالم الإسلامى، وليس ذلك فحسب بل وجدنا الحكومات الإسلامية تتعصب لمذهب دون الآخر، وقد أثر ذلك على المؤسسات العلمية بطبيعة الحال حيث صار كل واحد منهم على حدة يتخصص فى دراسة مذهب من مذاهب أهل السنة الأربعة دون الآخر وقد حاول أصحاب كل طائفة نشر مذهبهم من خلال تلك المؤسسات.

رابعاً: الخان :

استخدم الخان فى العصور الإسلامية كمكان لاستضافة التجار والأجانب، وإيوائهم داخل المدن وعلى الطرق والمفاوز، وعلاوة على ذلك فقد كان له استخدام آخر كدأخلية للطلبة الغرباء عن المدينة والمترددون على دروس الفقه فى مساجدها^(٣)، وكان كل خان على حدة موقوفاً على طائفة بعينها من طوائف الفقهاء.

(١) مفردها جرايا وهى الجارى من الرواتب وهى فى علم الاقتصاد نظام يحدد ما يستهلكه الفرد من بعض السلع.

ابراهيم أنيس - المعجم الوسيط - الطبعة الثالثة - القاهرة - ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.

(٢) حسن أمين، المسجد المعهد الأول، ص ٢٥، ٢٦ - آدام ميتز، المرجع السابق، ج ١، ص ٣٣.

(٣) ياقوت الحموى، معجم البلدان، ج ٢، ص ٣٤١ - ابن الجوزى، المنتظم، ج ١٥، ص ١٠٥.

تقييد

وقد أوردت المصادر التاريخية أخباراً عن الخانات تفيد بأسبقيتها عن المدارس، فمن ذلك ما رواه الهمذاني من أن دعلج بن أحمد بن دعلج^(١) المحدث كان قد أنشأ خاناً ببغداد وأوقفه على أصحاب الشافعي، وكان ذلك في النصف الأول من القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي^(٢)، ومن ذلك أيضاً ما رواه ابن الجوزي في (المنتظم) عند الحديث عن «بدر الدين بن حسنوية بن الحسين»^(٣) ت (١٤٠٥ هـ - ١٠١٤ م)، أحد أهم عمال عضد الدولة البويهى من أنه استحدث في أعماله ثلاثة ألف مسجد وخان للغرباء^(٤).

وقد حدث ذلك بالقطع قبل السنة ٤٠٥ هـ - ١٠١٤ م، وقد استمرت الخانات بعد ظهور المدارس، ومن ذلك ما رواه ابن الأثير عند الحديث عن الفتنة التى دارت

(١) أحد شيوخ الحديث في زمانه مولده في حدود السنة ٢٥٩ هـ - ٨٧٣ م وطاف بالبلاد في طلب العلم وكان وفاته سنة ٣٥١ هـ - ٩٦٢ م.

- الذهبي (شمس الدين محمد بن عثمان ت ٧٤٨ هـ - ١٣٧٤ م)، سير اعلام النبلاء، تحقيق بشار عواد معروف، ومحيى هلال السرحان. مؤسسة الرسالة. بيروت، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م، ج ١٦، ص ٣٠ وما بعدها.

(٢) الهمذاني (رشيد الدين فضل الله ت ٨١٧ هـ - ١٣١٨ م)، تكملة تاريخ الطبري، تحقيق: ألبير يوسف كنعان، بيروت، ١٩٦١، ص ٧٢.

- أيمن فؤاد سيد، المدارس في مصر قبل العصر الايوبي، ص ٩٣.

(٣) هو: بدر بن حسنويه بن الحسين أبو النجم الكروى كان من أهل الجبال وولاه عضد الدولة الجبال وهمذان ودينور ونهاوند وسابور وتلك النواحي بعد وفاء أبيه حسنويه وكان شجاعاً عادلاً كثير الصدقات والخليفة القادر كناه أبا نجم ولقبه ناصر الدولة وعقد له لواء بيده.

- ابن تغرى بردى (جمال الدين أبو المحاسن يوسف ت ٨٧٤ هـ - ١٤٦٩ م) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة. دار الكتاب. القاهرة ١٩٣٩ م، ج ٤، ص ١٣٧.

(٤) ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٥، ص ١٠٥ - أيمن فؤاد سيد، المدارس في مصر قبل العصر الايوبي، ص ٩٣.

تهديد

بين أهل السنة والشيعة ٤٤٣هـ - ١٠٥١م، من أن أهل الكرخ^(١) قصدوا خان الفقهاء الحنفية فنهبوه وقتلوا مدرس الحنفية «أبا سعد السرجي»، وأحرقوا الخان ودور الفقهاء^(٢) فالخان على ذلك عرف قبل المدرسة واستمر بعدها، والمعروف أن المدارس كانت قد لحق بتصميمها المعماري دور أو مساكن للطلبة والمدرسين، وهو الأمر الذي جعل بعض الباحثين يعتقد أن الخان يعتبر مرحلة انتقال هامة بين المسجد والمدرسة^(٣).

ولاشك أن الخان كان له أثر كبير في تطوير شكل المؤسسة العلمية إلا أننا لانستطيع أن نجزم بأن ذلك الأثر كان مباشراً ولا توجد أى معلومات لتأييد ذلك.

خامساً: الخوانق :

قال المقرئى أن الخوانق حدث عملها فى الإسلام خلال القرن الرابع الهجرى العاشر الميلادى، وهى بيوت أعدها الصوفية لكى يخلوا فيها إلى عبادة الله تعالى بكل ما تحمله تلك الكلمة من معنى^(٤) وهذا هو المعروف والمعتمد، إلا أن بعض

(١) الكرخ: أمر بينائها أبو جعفر المنصور وكانت أولاً فى وسط بغداد والمحال حولها أما بعد ذلك فهى محلة وحدها مفردة فى وسط الخراب وحولها محال إلا أنها غير مختلطة بها فبين شرقها والقبلة محلة باب البصرة وأهلها كلهم سنية خابلة لا يوجد غير ذلك.

- ياقوت الحموى، معجم البلدان، ج٤، ص ٤٤٨.

(٢) ابن الأثير (عز الدين أبى الحسن على بن أبى الكرم)، الكامل فى التاريخ، دار صادر بيروت للطباعة والنشر، ١٣٨٦هـ، ج٩، ص ٥٧٧.

(٣) أيمن فؤاد سيد، المدارس فى مصر قبل العصر الايوبى، ص ٩٣، خوليان ربيب، المرجع السابق، ص ٢٥٩.

(٤) المقرئى، الخطط، ج٢، ص ٤١٤.

تهديد

الباحثين رأوا غير ذلك إذ أرخوا لظهور الخوانق قبل القرن الرابع الهجرى العاشر الميلادى بل قبل ظهور الصوفية^(١).

وأول ما يتبادر إلى الذهن أن الخوانق جاءت محاكية لبيوت الرهبنة عند اليهود والنصارى^(٢)، والحق أن أول ظهور لتلك المؤسسات فى الإسلام يعود إلى ما قبل القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى بكثير^(٣)، فقد حكى لنا المصادر التاريخية عن طائفة تسمى الكرامية تنسب لمحمد بن كرام ت: ٢٥٥هـ - ٨٦٩م^(٤) أخباراً مفادها أنهم قد أنشأوا كثيراً من تلك المؤسسات^(٥).

(١) آدم ميتز، المرجع السابق، ج ٢، ص ٢٩.

(٢) دم ميتز، نفسه، ص ٢١.

(3) Zaky. Hassan, MoslIm Egypt and its Contribution to Islamic Civilization, Found I University Press, Cairo, 1949, p. 124.

(٤) هو أبو عبد الله بن كرام بن عراق السجزي وهو من المشبهة أو المجسمة الذين يرون أن الله جوهر وله جسم وكان قد أثبت الصفات حتى إنتهى فيها إلى التجسيم والتشبيه، وحج وقدم الشام ومات سنة خمس وخمسين ومائتين ودفن بالقدس وكان هناك من أصحابه زيادة على عشرين ألفاً على التعبد والتقشف سوى من كان منهم ببلاد الشرق وهم لا يحصون لكثرتهم وقد تميزت هذه الطائفة بخاصية ملحوظة إذ كان الكثير من أتباعها يعيشون حياة زاهدة وقيمون فى خلوات شيدت لذلك وفى نهاية القرن الرابع كانوا يملكون زوايا لا تحصى فى فرغانة وهىطل وسمرقند وديار بكر وجرجان وطبرستان وحتى فى بيت المقدس وفى القاهرة حيث يسكنون من الفسطاط حياً خاصاً بهم فيما يبدو وفى هذه الزوايا تعودوا أن تكون لهم مؤسسات يدرسون فيها العقائد بصفة خاصة.

- الشهرستانى (أبو الفتح محمد بن عبد الكريم)، الملل والنحل، تحقيق: محمد سيد كيلانى، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٠٠هـ، ج ١، ص ١٠٨ وما بعدها - المقرئى، الخطط، ج ٢، ص ٣٥٧ - أمين فؤاد سيد، المدارس فى مصر قبل العصر الأيوبى، ص ٩٥ - خوليان ريبيرا، المرجع السابق، ص ٢٧٤، ٢٧٥.

(٥) المقدسى، المصدر السابق، ص ٣٢٣، ٣٥٦.

تمهيد

والذى يهمنى فى ذلك الموضوع هو تحديد موقع الخوانق بين المؤسسات التعليمية والحق أننا نستطيع أن نقرر بأن الخوانق جاءت متقدمة عن سواها من المؤسسات الأخرى التى سبقتها، من ناحية الشكل والمضمون بحيث أنها أصبحت مهياة تماما لتحقيق الغرض التعليمى الذى أنشأت من أجله الخوانق، والتى تعد وبحق المرحلة التمهيدية لظهور المدارس بعد ذلك.

فتعتبر الخانقاه والمدرسة نوعان من المؤسسات الدينية التى تميل إلى الجمع بين عناصر المعمار المدنى والدينى، فمن المسجد أخذوا اتجاه القبلة نحو مكة بالإضافة إلى وجود مأذنة ومن المعمار المدنى أخذوا وحدات الإعاشة والمطابخ، ومثل الخانقاه كانت المدرسة مؤسسة ترعاها الدولة وتزود مقيمها بالمأوى والطعام بالإضافة إلى راتب شهرى فموظفى وواعظى المستقبل كانوا يتعلمون القانون الإسلامى الراشد وعلوم التصوف من خلال جدول منتظم من المحاضرات.

وبالرغم من أوجه التشابه بين المدرسة والخانقاه إلا أنه فى المرحلة الأولى من تاريخهما أوجدت المؤسستان عناصر تعكس التمييز فى الهدف فى حياة مجتمعاتهما، وبهذه الطريقة تأثرت معاملة وحدات الإعاشة على وجه الخصوص فعكس الصوفيين الذين أقاموا فى الخانقاه على أسس عادلة دائمة، فإن طلاب المدرسة كانوا متنقلين، فمستقبل الدارس كان مرتبط بإكماله للمقررات فى مواد معينة مع مدرسين متخصصين الذين كان منوط بهم إصدار (الإجازة) أو التصريح الأكاديمى لكل مادة^(١).

(1) Behrens- Abouseif, Change in Function and form of Momlouk Religious institutions, Annales Islamologiques, Institute Francais D'Archeologie Orientale Du Caire, 1985, p.p. 75, 76.

- Hill Derek , Islamic Architecture And Its Decoration, Faber And Faber, London, 1958, p.p. 42, 43.

تهيد

سادساً: المدرسة :

حاول الكثير من الباحثين التأريخ لنشأة المدارس فى الإسلام بالبحث فى الأصل اللغوى لكلمة «مدرسة»^(١)، ولم يكن أمامهم سوى رد الكلمة إلى أصلها الثلاثى «درس»، إلا أنهم وجدوا لنفس الكلمة معان متباينة لم يستطيعوا الربط بينها حتى أن أحدهم ولنفس السبب رد الكلمة إلى أصل عبرى^(٢)، والذي يشير الدهشة فى ذلك الرأى هو أن صاحبه قد اتفق مع ما ورد فى المعاجم اللغوية من أن الكلمة (درس) بمعنى اندثر وانمحي قديمة فى اللغة العربية، ولها وجود بذلك المعنى فى الشعر الجاهلى ثم أنه ولمجرد ورود الكلمة (درس) فى العبرية بمعنى قرأ إعتبرها عبرية ذلك على الرغم من أنه جاء بدليل يؤيده، فأخل به حيث ذكر أن (درس) فى كل اللغات السامية بمعنى فحص أو اجتهد^(٣)، ونسى أن اللغة العربية إحدى هذه اللغات^(٤) ولم يكن ليعطينا بعد ذلك أى دليل على رأيه.

والواقع أننا لايهمنا فى ذلك المقام سوى إيراد ما جاء به اللغويون من أنه «درس الكتاب يدرسه درساً» ودراسة ودارسه بمعنى عاود الكتاب قراءة فيه حتى إنقضاء لحفظه»^(٥)، ومعنى ذلك أن الكلمة لها علاقة بالعملية التعليمية إلا أنه لا

(١) سعيد إسماعيل على، معاهد التربية الإسلامية، دار الفكر العربى، القاهرة، د.ت، ص ٣٦٤.

(٢) محمد عبد الرحيم غنيمه، المرجع السابق، ص ٦٤ ومابعدا.

(٣) نفس المرجع السابق، ص ٦٥.

(٤) عبد القادر مصطفى المغربى، الاشتقاق والتعريب، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط ٢، ١٣٦٦هـ، ص ١٦ ومابعدا.

(٥) ابن منظور (جمال الدين محمد بن مكرم)، لسان العرب، الناشر: المؤسسة المصرية العامة للتأليف، القاهرة، (د.ت)، ج ٧، ص ٣٨٢- الفيزوز أبادى (مجد الدين محمد بن يعقوب)، القاموس المحيط، مؤسسة الحلبي للتوزيع والنشر، القاهرة، د.ت، ج ٢، ص ٣١٥.

تهيد

المساجد وذكر في الجوامع واختلف إلى المدارس^(١)، كما قال المقدسي في وصف مدينة الري^(٢): "الري بلد جليل وبه مجالس ومدارس"^(٣)، ووصف مدينة إيران شهر بقوله "إيران شهر هو مصر الجانب وقصبة نيسابور وهو بلد الأجلة والراسخين من الأئمة وبه أسواق فسيحة ومجالس أليفة ومدارس رشيقة"^(٤). والذي يرجح أن كلمة «مدارس» في النصوص السابقة جاءت جمعاً لكلمة «مدرسه لا مدرس». ما جاء في المصادر التاريخية بعد قليل من هذا التاريخ- أي (٣٧٥هـ-٩٨٥م)- عن محمد بن عبد الله بن حمشاد^(٥)، والذي قال عنه السبكي "أنه ظل ملازماً لمسجده ومدرسته إلى أن مات في سنة (٣٨٨هـ-٩٩٨م)^(٦)"،

-
- (١) المقدسي، المصدر السابق، ص ٤٤- أحمد فكري، مساجد القاهرة، ج ٢، ص ١٥١.
- (٢) وهي: مدينة مشهورة بينها وبين نيسابور مائة وستون فرسخاً افتتحها المسلمون قديماً سنة (٢٠هـ-٦٤٠م) في خلافة عمر بن الخطاب واعيد بناؤها سنة ١٥٨هـ-٨٦٥م في خلافة المهدي.
- ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٣، ص ١١٦.
- (٣) المقدسي، مصدر سابق، ص ٣٩.
- (٤) المقدسي، مصدر سابق، ص ٣١٤-٣١٦.
- (٥) وهو محمد بن عبد الله بن حمشاد الاستاذ أبو منصور العشماوي مولده سنة ٣١٦هـ- ٩٢٨م) وتفقه بخراسان والعراق ودخل الحجاز واليمن وأدرك الأسانيد العالية وقرأ علم الكلام وكان من المجتهدين في العبادة والزاهدين في الدنيا وتخرج به جماعة من العلماء والواعظين وظهر له مصنفات أكثر من ثلاثمائة كتاب مصنف توفي سنة (٣٨٨هـ-٩٩٨م).
- السبكي (تاج الدين أبو النصر عبد الوهاب)، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلوي، ومحمود الطناحي، هجر للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٩٢، ج ٣، ص ١٧٩.
- (٦) السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج ٣، ص ١٧٩.

قهيد

إلى الأمير ناصر الدولة أبى الحسن محمد بن إبراهيم، وإلتمسنا منه المراسلة فى توجيهه أى -ابن فورك- إلى نيسابور فبنى له الدار والمدرسة من خانقاة كانت بنيسابور وأحيا الله به فى بلدنا أنواعاً من العلوم لما استوطنها وظهرت بركته على جماعة من المتفقهة وتخرجوا به^(١)، وتعود أهمية ذلك النص إلى ماورد فيه من أن مدرسة ابن فورك فى أصلها خانقاه تحولت إلى مدرسة ويحيلنا ذلك إلى سؤال هام:-

- هل كانت المدرسة تطوراً لنظام الخوانق ؟

باعتبار ما أورده السبكى غير مهملين بالطبع ما أورده غيره من المؤرخين فيما بعد من أن منشآت أخرى غير الخوانق قد تحولت إلى مدارس، ومثل ذلك نجده فيما رواه (ابن شداد) من حوادث السنة (٥٨٩هـ-١١٩٣م) عن (صلاح الدين) "لما رحل إلى القدس فى رابع شهر رمضان وتفقد أحواله وأمر بتسديد أسواره وزاد فى وقف المدرسة التى عملها بالقدس وهذه المدرسة كانت تعرف قبل الإسلام «بصندحنة»، يذكرون أن فيها قبر أم السيدة مريم العذراء ثم صارت فى الإسلام دار علم قبل أن يمتلك الإفرنج القدس، ثم لما ملكها الإفرنج أعادوها كنيسة كما كانت قبل الإسلام فلما فتح صلاح الدين القدس أعادها مدرسة^(٢)"، ولايفوتنا فى ذلك المقام ما أورده (ربيرا) عن فرقة الكرامية باعتبار أن مؤسساتها التعليمية

(١) السبكى، طبقات الشافعية الكبرى، ج٤، ص ١٢٨.

(٢) ابن شداد (القاضى بهاء الدين)، سيرة صلاح الدين المعروف بالنوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، وفى زيله منتخبات من كتاب التاريخ لصاحب حماة تاج الدين شاهنشاه بن أيوب، الناشر: دار الفرجان، القاهرة، ١٩٨٨، ص ٢٧٢، ٢٧٣- الحنبلى (أحمد ابن إبراهيم)، ت: (٨٧٦هـ-١٤٧١م)، شفاء القلوب فى مناقب بنى أيوب، تحقيق: مديحة الشرقاوى، مطبعة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٩٩٦م، ص ١٨١.

قمهيد

(الزوايا والخوانق) كانت أقرب المؤسسات إلى المدارس^(١)، وقد اعتبر ريبيرا ما ذكره (ابن الأثير) في الفتنة التي جرت سنة (٤٨٨هـ - ١٠٩٥م) ببغداد بين الكرامية وسائر الطوائف من أهلها لأوضح دليل على مادعى إليه، إذ يذكر «ابن الأثير» "أن الظفر كان لسائر الطوائف على الكرامية فخربت مدارسهم، وقتل كثير منهم ومن غيرهم^(٢)" ومن جهة أخرى فقد أيد «ريبيرا» وجهة نظره هذه بما ورد عن «ابن فورك» من أخبار تفيد بأنه كان أشد الناس عداوة للكرامية حيث قال وبالحرف الواحد "ألا يمكن إذاً أن نفترض أن المدرسة التي أسست لابن فورك المجادل والمقاتل بعنف ضد الكرامية أقيمت على هيئة المدارس التي كانت قائمة في زوايا أعدائهم^(٣)"، وعلى الرغم من ذلك لم نجد أحداً من الباحثين يتفق مع ما ذهب إليه ريبيرا، واعتبروا أنه لا برهان له على ذلك^(٤).

والحق أن ما قاله ريبيرا يعد جزءاً من حقيقة مؤداها أن المؤسسة التعليمية الجديدة، والتي أطلق عليها كلمة مدرسة، جاءت لتشمل كل ما يميز المؤسسات التعليمية الأخرى التي سبقتها في مؤسسة واحدة، والتي حرص مؤسسوها على أن يحققوا لها تميزها واستقلالها عن بقية المؤسسات التعليمية الأخرى والواقع أنهم نجحوا في ذلك القصد، لاسيما إذا علمنا أن المدارس قد ارتبطت نشأتها بالفقه السني وليس معنى ذلك أن المدرسة في أصلها ابتكار سني بل إن الذي حدث بالفعل أن المذاهب الفقهية الأربعة المعروفة لأهل السنة، وهي الحنفية، والمالكية،

(١) خوليان ريبيرا، المرجع السابق، ص ٢٧٦.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص ٢٥١.

(٣) خوليان ريبيرا، المرجع السابق، ص ٢٧٦.

(٤) آدم ميتز، المرجع السابق، ج ١، ص ٣٣٧ - أيمن فؤاد سيد، المدارس في مصر قبل العصر

تمهيد

والشافعية، والحنبلية أخذت فى تباين ملحوظ مع مطلع القرن الرابع الهجرى /
العاشر الميلادى حتى أننا لنجد أنفسنا خلال القرن الرابع الهجرى /العاشر الميلادى
أمام دول بأكملها قد مالت لتأييد مذهب دون بقية المذاهب الأخرى، وقد ظل ذلك
فى تزايد مستمر حتى انعكس أثره على المتغيرات السياسية والحضارية، ولأن الفقه
أصله العلم فقد كان من الطبيعى أن نجد المؤسسات التعليمية قد انحازت كل واحدة
منها لدراسة مذهب بعينه دون بقية المذاهب الأخرى ذلك بشرط واقف المؤسسة
نفسها، ولذا فإن الدراسة تميل إلى اعتبار شرط الواقف هو الذى يحدد طبيعة
المؤسسة التعليمية، وما إذا كانت مدرسة أو سواها من المؤسسات الأخرى أى أن
أهل السنة وبمعنى أكثر وضوحاً قد أطفوا على المؤسسات التعليمية سماتاً واضحة
فى الحركة الفكرية فى العالم الإسلامى بتخصيصها لدراسة الفقه، وما يخدمه من
علوم لاسيما إذا علمنا أنهم قد حاولوا التأكيد على نجاح تلك المؤسسات فى أداء
مهمتها بالاستفادة بما تميزت به المؤسسات الأخرى التى سبقتها، وفى ذلك الإطار
لا يستطيع الباحث اعتماد ما صدر عن بعض الباحثين من أن الذى ميز المدرسة عن
سواها من المؤسسات الأخرى هو مساكن الطلبة الملحقة بالمدارس^(١)، وكأنهم لم
ينظروا إلا لما زادت به المدرسة عن المسجد متجاهلين فى ذلك الخانات والخوانق ودور
العلم والكتب مع أنها كلها تشترك مع المدارس فى الحاق دور ومساكن للطلبة
والقائمين عليها وقد كانت أسبق فى الظهور على المدارس، وأما من ناحية الشكل
المعمارى فإن الدراسة ترجح أنه لم يكن للمدرسة فى بداية الأمر شكل مستقر، لأننا
قد وجدنا مؤسسات أخرى كانت قد تحولت وبشكلها المعمارى إلى مدارس كالخوانق

(١) أحمد فكرى، خصائص عمارة القاهرة فى العصر الأيوبي، أبحاث الندوة الدولية لتاريخ
القاهرة، مطبعة دار الكتب، القاهرة، ١٩٧٠م، ج ١، ص ١٨٣ وما بعدها.

تمهيد

والكنائس كما رأينا وكما سنرى فيما بعد من دور ومؤسسات أخرى فى مصر على عهد (صلاح الدين) قد تحولت إلى مدارس، وهذا ما يؤكد على حقيقة مؤداها أن الشكل المعماري للمدارس كان قد أخذ فى التميز والاستقلال عن المؤسسات الأخرى بعد القرن السادس الهجرى الثانى عشر الميلادى ولم يكن ذلك ليحدث منذ البداية تابعاً لإلحاق دور ومساكن للطلبة بالمدارس^(١).

والواقع أن البحث عن أول مدرسة بنيت فى الإسلام أمر عسير وقد انعكست تلك الصعوبة على كتابات بعض الباحثين فأوقعتهم فى خلط كبير فيما ينقلون ويفهمون من النصوص، فى أثناء بحثهم عن أول مدرسة فى الإسلام فمن ذلك ما إعتمدته إحدى الباحثات من أن أول مدرسة فى الإسلام تنسب إلى (أبى حاتم محمد بن حيان البستى) ت : (٣٥٤هـ - ٩٦٥م)^(٢) وهى تعتمد فى ذلك على نص أورده نقلاً عن (السمعانى) فى كتاب (الأنساب)، حيث ذكرت "أن أبا حاتم اتخذ من داره مدرسة لأصحابه وأفرد فيها مكانا لسكنى الطلبة الغرباء من أهل الحديث والمتفقهة وأنشأ بها خزانة كتب وأودع بها ما عنده من الكتب، وعين عليها خازناً يقوم بإحضار الكتب لمن يريد القراءة أو النسخ وشرط عليه ألا يخرج منها شيئاً خارج

(١) مصطفى عبد الله شبيحة، الآثار الإسلامية فى مصر من الفتح العربى حتى نهاية العصر الأيوبي، ط ١، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٩٢، ص ١٧.

(٢) وهو: أبو حاتم محمد بن حيان بن معاذ بن معبد بن سعيد بن شهيد التميمى، الامام العلامة الفاضل المتقن، كان مكثراً من الحديث والرحلة والشيوخ، عالماً بالمتون والاسانيد، أخرج من علوم الحديث ما عجز عنه غيره، سافر ما بين الشاش والإسكندرية فى طلب العلم تولى قضاء سمرقند ونيسابور ومدن أخرى ببلاد فارس توفى سنة (٣٥٤هـ - ٩٦٥م).

- ياقوت الحموى، معجم البلدان، ج ١، ص ٤١٥.

قهيد

المدرسة كما كان للطلبة الدارسين بها بعض الجرايات الخاصة بنفقتهم^(١)، وبمراجعة كتاب (الأنساب) للسمعاني، وكتب أخرى قد تعرضت لحياة أبو حاتم البستي، فإن الباحث لم يعثر على ذلك النص أو ما يشابهه أو يؤيده ولم يذكر أحداً من المؤرخين إلا سوى ما قيل من بنائه- أي أبي حاتم- لخانقاه بنيسابور وما ذكره السمعاني من "أنه- أي أبا حاتم- قد دفن في بيت في الصفة التي ابتناها بقرب داره التي هي اليوم مدرسة لأصحابه"، ومعنى الكلام أنها لم تكن كذلك في حياة أبي حاتم بل في حياة السمعاني وهو المتوفى سنة (٥٦٢هـ-١١٦٦م)^(٢) وأما غير هؤلاء ممن تعرضوا لحياة أبي حاتم البستي فلا نجد سوى ما ذكره (ياقوت الحموي) من أن "أبا حاتم كان قد شيد حوالى سنة ٣٤٠هـ (٩٥٦م) داراً في بلدة (بست)^(٣)، وجعل فيها خزانة كتب وبيوت للطلبة^(٤)"، وهي كما نرى لا تتجاوز عن وصفها بدار علم لامدرسة، فلانستطيع إذاً أن نجزم بحقيقة ثابتة بشأن أول مدرسة بنيت في الإسلام سوى ما أشرنا إليه آنفاً بحدوث ذلك في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي.

وأما ما يمكن التأكيد عليه هو أن المدارس أصبح لها الأثر الكبير في الحركة الفكرية في العالم الإسلامي الأمر الذي أدى بكثير من المهتمين بذلك من فقهاء وعلماء ووزراء إلى الحرص على بناء المدارس. ويلاحظ أن حركة إنشاء المدارس بعد أن بقيت ولمدة معلومة بنيسابور قد انتقلت إلى العراق، بل إلى بقية أنحاء العالم الإسلامي على يد نظام الملك

(١) عفاف سيد محمد صبرة، المدارس في العصر الأيوبي، أبحاث ندوة المدارس في مصر الإسلامية، المرجع السابق، ص ١٤٢.

(٢) السمعاني (أبي سعيد عبد الكريم بن محمد)، الأنساب، تقديم وتعليق: عبد الله عمر البارودي، دار الجنان، ط ١، بيروت، ١٤٠٨، ج ١، ص ٣٤٨، ٣٤٩- السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج ٣، ص ١٣١ وما بعدها.

(٣) وهي من سجستان وهرات من أعمال كابل.

ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص ٤١٤.

(٤) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ١٧١.

تقديم

السلجوقى^(١)، ولذلك السبب قد اعتبره ابن خلكان أول من بنى مدرسة فى الإسلام^(٢)، وقد أجهد ذلك القول السبكى فنجده يقول «وقد أدت فكرى فغلب على ظنى أن نظام الملك أول من قدر المعاليم للطلبة فإنه لم يتضح لى هل كانت المدارس قبله بمعاليم للطلبة أولا والأظهر إنه لم يكن لها معلوم»^(٣).

والواقع أن ما توصل إليه السبكى جاء بعد مراجعة للحركة المدرسية قبل نظام الملك ومع ذلك فقد تحفظ فى رأيه إذ جاء على الترجيح، وقد إنتقد أحد الباحثين ما ذهب إليه السبكى فى ذلك باعتبار أن إجراء نظام الملك المعاليم على الطلبة كان قد سبقه إليه العزيز بالله^(٤) الفاطمى فى أواخر القرن الرابع الهجرى/

(١) وهو قوام الدين أبو على الحسين بن على بن إسحق الطوسى الوزير السلجوقى نظام الملك وزر لألبار سنان الملك السلجوقى وولده من بعده أربعين سنة وكان حسن السيرة فى العلماء فقد بنى لهم المدارس وأنفق عليهم نفقات لا تحصى وكان هو نفسه محباً للعلم فقيهاً شافعيًا ساعياً فى نصرة مذهبه وكانت وفاته فى سنة ٤٨٥هـ.

- ابن أسعد اليافعى، مرآة الجنان، ج ٣، ص ١٣٦.

(٢) ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين أحمد)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٤٩م، ج ٢، ص ١٢٩- صلاح السيد، المرجع السابق، ص ٥٨.

- Hill Derek , Op. Cit, p. 42.

(٣) السبكى، طبقات الشافعية الكبرى، ج ٤، ص ٣١٤- الزركشى (أبو محمد عبد الله)، إعلام الساجد بأحكام المساجد، ط ٢، تحقيق أبو الوفا مصطفى المراغى القاهرة، ١٤٠٣، ص ٣٢، ٣٣.

(٤) هو نزار أبو منصور العزيز بالله بن المعز لدين الله أبى تميم معبد بن المنصور بالله أبى طاهر إسماعيل بن القائم بأمر الله محمد بن المهدي أبى محمد عبيد الله الفاطمى المغربى ثم المصرى ثانى خلفاء مصر من الفاطميين تولى الحكم فيها بعد أبيه وكانت مدة خلافته ٢١ سنة فيما بين سنتى ٣٦٥هـ-٣٨٦هـ.

- ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج ٤، ص ١١٢.

قهيد

العاشر الميلادى، مع الفقهاء الذين كانوا يتحلقون فى الجامع الأزهر بالقاهرة^(١)، والحق أن السبكى كان قد أطلق ترجيحه هذا على المدارس لا على غيرها من المؤسسات الأخرى وأما غير ذلك من الباحثين فقد اعتبر أن نظام الملك كان بداية تبنى الحكومات لحركة إنشاء المدارس، وأما ما قبله فإنها لم تعد عن كونها جهود أهلية ضعيفة التأثير^(٢).

ولا ريب أن معاصرة الأحداث وتدوينها لتصل إلينا شاهدة عليها لهو الأقرب والأوضح فهذا (أبو بكر الطرطوشى) ت: (٥٢٠هـ-١١٢٦م)، يدون لنا فى كتاب (سراج الملوك) عن مولد المدرسة النظامية رواية مؤداها "أن رجلاً قصد نظام الملك يقال له أبو سعيد الصوفى فقال له ، يا خواجه أنا أبنى لك مدرسة ببغداد مدينة السلام ولا يكون فى معمر الأرض مثلها يخلد بها ذكرى إلى أن تقوم الساعة قال افعل وكتب إلى وكلائه ببغداد أن يكتفوا من الأموال فابتاع بقعة على شاطئ دجلة وخط المدرسة النظامية وبنائها أحسن بنیان وكتب عليها إسم نظام الملك وبنى حولها أسواقاً تكون محبسة عليها وابتاع ضياعاً وخانات وحمامات أوقفت عليها فكملت لنظام الملك بذلك رياسته وسؤدد، وكان ذلك سنة (٤٥٠هـ-١٠٥٨م) ثم رفع حساب النفقات إلى نظام الملك فبلغ ما يقرب من ستين ألف دينار ثم نما الخبر إلى نظام الملك من الكتاب وأهل الحساب أن جميع ما أنفق فيها نحو تسعة عشر ألف

(١) أيمن فؤاد سيد، المدارس فى مصر قبل العصر الأيوبى، ص ٩٦.

(٢) محمد عبد الرحيم غنيمه، المرجع السابق، ص ٧٣ وما بعدها- صلاح السيد، المرجع

السابق، ص ٩٥- أحمد عزت عثمان، التربية والمجتمع المصرى فى العصر الأيوبى،

رسالة دكتوراة غير منشورة، كلية الآداب، جامعة أسيوط، ١٩٨٢، ص ٤٠٣.

تمهيد

دينار وأن سائر الأموال احتجبتها لنفسه وخانك فيها فدعاه نظام الملك إلى أصبهان^(١) للحساب فلما أحس أبو سعيد الصوفى بذلك أرسل إلى الخليفة أبى العباس يقول له هل لك من أن أنشر لك فخرا لا تمحوه الأيام، قال: ما هو؟ قال فمحو اسم نظام الملك عن هذه المدرسة وكتب عليها اسمك وتزن له ستين ألف دينار، فأرسل إليه الخليفة يقول له إبعث إلينا من يقبض المال فلما استوثق منه مضى إلى أصبهان فقال له نظام الملك إنك قد رفعت إلينا نحو ستين ألف دينار نفقة واجب إخراج الحساب فقال له (أبو سعيد) لا تطل الخطاب وإلا محوت اسمك المكتوب عليها وكتبت عليها اسم غيرك وأرسل معى من يقبض المال فلما أحس نظام الملك بذلك قال يا شيخ قد شوغنا لك جمع ذلك كله ولا تمح اسمنا، ثم أن أبا سعيد بنى

(١) مدينة أصبهان: منهم من يفتح الهمزة وهم الأكثر وكسرها الآخرون منهم السمعاني وأبو عبيد البكري الأندلسي وهي مدينة عظيمة مشهورة من أعلام المدن وأعيانها، وأصبهان: اسم للإقليم بأسره وهي من نواحي الجبل فى آخر الإقليم الرابع طولها ست وثمانون درجة وعرضها ستة وثلاثون درجة تحت اثنتى عشر درجة من السرطان يقابلها مثلها من الجدى، قال ابن الكلبي: سميت بأصبهان بن فلوج بن سام بن نوح عليه السلام، قال ابن دريد: أصبهان اسم مركب لأن الأصب البلد بلسان الفرس وهان اسم الفارس فكأنه يقال بلاد الفرسان، قال عبيد الله المستجير: إن الأصب بلغة الفرس هو الفرس وهان كأنه دليل الجمع، قال حمزة بن الحسن: أصبهان اسم مشتق من الجندي وذلك أن لفظ أصبهان إذا رد إلى اسمه بالفارسية كان أسباهان وهي جمع أسباه وأسباه اسم للجنود والكلب، وأصبهان صحيحة الهواء نفيسة الجو خالية من جميع الهوام، لا تبلى الموتى فى تربتها ولا تتغير فيها رائحة اللحم والميت فيها على حاله لم يتغير.

- ياقوت الحموى، معجم البلدان، ج ١، ص ٢٠٦-٢٠٨.

تهديد

بتلك الأموال الرباطات للصوفية، واشترى الضياع والخانات والبساتين والدور، وأوقف جميع ذلك على الصوفية^(١)."

والذى يراجع ذلك النص يتبين له أن صاحب الفضل الحقيقى فى إنشاء المدرسة النظامية كان رجلاً صوفياً يدعى «أبا سعيد الصوفى»، وهو ما يدعم رأى الذى ذهب إليه ريبيرا والذى أشرنا إليه آنفاً من أن المدارس جاءت كمرحلة تالية للخوانق هذا من جهة ومن جهة أخرى فقد وضح من النص أن المدرسة النظامية كانت قد اكتسبت شهرتها هذه قبل أن يتسلمها نظام الملك حتى صار الحال إلى من تنسب إليه فخراً يسعى إليه الخليفة والأمير ولو كلفهما ذلك ثلاثة أضعاف ما أنفق عليه، وحقيقة الأمر أن المدرسة النظامية كانت قد اكتسبت أهميتها من أنها ساهمت وبشكل فعال فى الحركة الفكرية والعلمية بل قل إن شئت أنها أحدثت تحولاً فى موازين القوى الفكرية فى العالم الإسلامى، فقد تفوق المذهب الأشعرى^(٢) وذلك بفضل إحتضان المدرسة النظامية له.

ولاشك أن الفهم الصحيح للتاريخ الإسلامى فى القرن الخامس الهجرى/الحادى عشر الميلادى يجب أن يأخذ فى الاعتبار انتصار الأشعرية وتأييد ودعم

(١) الطرطوشى (أبو بكر محمد بن محمد الوليد الفهرى)، سراج الملوك، ط ٢، الناشر: دار الكتاب الإسلامى، القاهرة، ١٤١٣هـ، ص ٣١٢.

(٢) المذهب الأشعرى (ويقال لأتباعه الأشعرية والأشاعرة) نسبة إلى الإمام أبى الحسن بن اسماعيل الأشعرى المتوفى فى بغداد سنة (٣٢٤هـ-٩٣٥م) مؤسس مدرسة علم الكلام السنى، كان معتزلياً من أبرز تلاميذ أبى هاشم الجبائى شيخ المعتزلة البصريين ولكنه ترك الإعتزال واتجه إلى مذهب أهل السنة وهو فى الأربعين من عمره سنة (٣٠٠هـ-٩١٣م)، وكان علماء الأشعرية مضطهدين فى أول عهد السلاجقة بتحريض من الوزير عبد الملك أبى نصر الكندرى، ولكن خلفه نظام الملك كان يعتنق مذهب الأشعرى فقضى على هذا الإضطهاد.

- الشهرستانى، الملل والنحل، ج ١، ص ٩٤- أيمن فؤاد سيد، المدارس فى مصر قبل العصر الأيوبى، ص ٩٧، ٩٨.

تهديد

السلاجقة لهم بحيث أصبحت المدارس النظامية مؤسسة سياسية تخضع للإشراف الرسمي للدولة لتدريس المذهب الأشعري، ولم يرتبط هذا النصر وهذه المدرسة فقط بإسم نظام الملك لكن أيضاً بأعلام المذهب الأشعري «الذين كان لهم تأثير كبير في قبول المسلمين السنة للمذهب الأشعري»^(١).

وعلي ذلك فيجب أن نعترف بحقيقة هامة وثابتة مؤداها أن المدارس الأولى في الإسلام كانت قد نشأت في كنف فقهاء الشافعية بنيسابور ثم إن حركة مدرسية بعد ذلك قد تبني أمرها الشافعية الأشاعرة على عهد نظام الملك، وذلك في بغداد وغيرها من المدن ثم إن حركة مدرسية تالية ارتبطت نشأتها بالمذهب الأشعري في مصر والشام زمن الدولتين (النورية والأيوبيّة)، ويعود ذلك من البداية إلى أن المذهب الأشعري الشافعي كان أكثر المذاهب خطورة على المذهب الشيعي لما احتواه من أفكار ومبادئ تكاد تكون متشابهة في الشكل مع المذهب الشيعي إلا أن الأشاعرة الشافعية كانوا أجدر على الإقناع من نظرائهم من الشيعة، فقد امتلكوا ما يملكون ووقفوا على ما عندهم من علوم وأصول وقد شعر بذلك الشيعة أنفسهم الأمر الذي دفع بهم في بعض الأحيان للوقوف حيال بناء أي مدرسة لأهل السنة كلما أمكن ولعل أوضح دليل على ذلك ما رواه «ابن الشحنة» في منتخبة من وقوف الشيعة في حلب^(٢) حيال بناء المدرسة الزجاجية، والتي أنشأها «بدر الدين أبو ربيع سليمان بن عبد الجبار بن أرتق» صاحب حلب وهي أول مدرسة بنيت بها فيما بين سنتي (٥١٠ هـ : ٥١٧ هـ - ١٠١٦ م : ١٠٢٣ م) إذ "يذكر أنه لما أراد بناؤها لم يمكنه الحلبيون إذ كان الغالب عليهم التشيع فكان كلما بنى فيها شيئاً نهراً خربوه

(١) أيمن فؤاد سيد، المدارس في مصر قبل العصر الأيوبي، ص ٩٧.

(٢) وهي البلدة المشهورة ببلاد الشام.

ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ٢٨٦.

قهيد

ليلاً فأعياه ذلك، فأحضر (الشريف زهرة بن على بن أبى إبراهيم الإسحاقى الحسينى)، وإلتمس منه أن يباشر بنائها ليكف العامة عن هدم ما يبنى فباشر الشريف البناء فلأزم له حتى فرغ منها، وكان هذا الشريف من أكابر الأشراف وذوى رأى والأصالة والوجاهة مقدماً فى بلده يرجع الناس إلى أمره ونهيه، وكان معظم القدر عند الملوك^(١).

وأخيراً فينبغى أن نشير إلى أن الحركة المدرسية فى تلك المرحلة الأخيرة قد امتدت لتشمل كل مذاهب أهل السنة، إلا أن المدارس قد بقيت على الدوام مرتبطة أشد الارتباط بالشافعية الأشعرية، وفى هذا الإطار قد أدخل السلاجقة عن طريق الزنكيين المدارس إلى الشام فى القرن السادس الهجرى / الثانى عشر الميلادى، كمؤسسة قوية للدعاية الدينية والسياسية لنشر المذهب الأشعرى ووجدت هذه السياسة تأييداً واسعاً من نور الدين محمود^(٢) خلال مواجهته للصليبيين فى أواسط هذا القرن، فقد أنشأ العديد من المدارس للفقهاء الشافعية فى بلاد الشام رغم كونه حنفياً، ثم كان لخلفائه الأيوبيين فضلاً فى انتقال المذهب الأشعرى إلى مصر، وإدخال المدارس بمعنى الكلمة إليها^(٣).

(١) ابن الشحنة (أبو الفضل محمد)، الدر المنتخب فى تاريخ مملكة حلب، تقديم: عبد الله

محمد الدرويش، دار الكتاب العربى، دمشق، (١٤٠٤ هـ ١٩٨٤ م)، ص ١٠٩، ١١٠.

(٢) وهو نور الدين أبو القاسم محمود بن زنكى بن آق سنقر صاحب الشام ومصر المعروف بنور

الدين الشهيد ولد سنة ٥١١ هـ وكان زنكى يقدمه على أولاده وفتح فى أيام سلطته نيافاً

وخمسين حصناً ومصر أيضاً من جملة فتوحاته ولولاه ما ملك صلاح الدين مصر من أيدي

تلك الرافضة من بنى عبيد خلفاء مصر توفى ٥٦٩ هـ.

- ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج ٦، ص ٧١- حسين مؤنس. نور الدين محمود،

مطابع سجل العرب، القاهرة، ١٩٨٤ م، ص ١٨١ وما بعدها.

(٣) أيمن فؤاد سيد، المدارس فى مصر قبل العصر الأيوبي، ص ٩٨.

الفصل الأول

المدارس في مصر في العصر الفاطمي

الفصل الأول

الفصل الأول

المدارس فى مصر فى العصر الفاطمى

ظلت مصر خلال القرون الثلاثة الأولى للهجرة بعيدة كل البعد عن الصراع الفكرى والمذهبى بين أهل السنة والشيعة، اللهم إلا فى القليل النادر فلم تكن الروايات التاريخية، تكشف لنا عن الوجود الشيعى بمصر خلال تلك الحقبة الزمنية، وقد تتبع المقرئ فى كتاب الخطط تاريخ التشيع فى مصر الإسلامية حتى دخل الفاطميون مصر سنة (٣٥٨هـ-٩٦٩م)، وذكر أن أكثر مسلمى مصر فى هذا العهد كانوا على مذهب أهل السنة والجماعة، وأن قليلاً منهم كانوا يعتنقون المذهب الشيعى، ولكن هؤلاء الشيعة من المصريين لم يشتركوا اشتراكاً ايجابياً فى حركات فرق الشيعة التى ظهرت فى الأقطار الإسلامية الأخرى، إذ لم يذكر مؤرخوا مصر شيئاً عن صدى حركات الشيعة فى مصر سوى حركة محمد النفس الزكية سنة (١٤٤هـ-٧٦١م)^(١) ولكن هذه الحركة سرعان ما خمد أوارها ولم تظهر لها فى مصر نتائج سياسية أو مذهبية، وأما بعد ذلك أى أثناء مقام الفاطميين

(١) أول وأهم حركات الشيعة فى العصر العباسى الأول كان على رأسها الشقيقان محمد وإبراهيم إبنا عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب وقد انتشرت دعوتهما انتشاراً واسعاً فى الولايات الإسلامية سنتى (١٤٤هـ : ١٤٥هـ-٧٦١م : ٧٦٢م) إلا إنها قد إنتهت بمقتل الشقيقين محمد المعروف بذى النفس الزكية وأخيه إبراهيم سنة (١٤٥هـ-١٧٦٢م، واحد تلو الآخر.

- الطبرى، المصدر السابق، ج٧، ص ٥١٧ وما بعدها، النويرى (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ت ٧٣٣هـ-١٣٣١م) نهاية الأرب فى فنون الأدب، تحقيق الباز العرنى، مكتبة دار الكتب، القاهرة، ١٤١٢-١٩٩٢م، ج ٥، ص ٧ وما بعدها.

الفصل الأول

بالمغرب، فقد حدث ميلاً طفيفاً لبعض المصريين تجاه المذهب الشيعى ومع ذلك لم يذكر المؤرخون شيئاً عن تحرك المصريين لتأييد الحملات الفاطمية (١).

وقد جاء هذا الرأى متفقاً مع ما ذهب إليه أحد الباحثين، من أن أصحاب المذهب الشيعى في مصر قبل العصر الفاطمى كانوا قلة وغالباً ما تعرضوا لكثير من المضايقات والإضطهادات (٢)، وقد يدع ذلك الرأى مجالا للدهشة انطلاقاً من تساؤل هام عن ماهية الدوافع والأسباب التى رغبت الفاطميين الفارين من بلاد المغرب فى إمتلاك مصر مادام ذلك صحيحاً، ولم يكن أمامنا سوى الإعتراف أولاً بحقيقة هامة مؤداها أن الفكر السياسى للفاطميين كان قد شهد فشلاً ذريعاً - ببلاد المغرب -، وقد أدى ذلك بالضرورة إلى تغيير فى النظرة الفاطمية القديمة..، والتى كان اعتمادها الكلى على كسب تأييد الأتباع عن طريق الدعوة والإقناع وأصبحوا يؤمنون بأهمية القوة العسكرية فى تأمين الجانب الفكرى وتهيئة المناخ المناسب له وضمان استمراره آخذين فى الاعتبار أن تكون البداية سياسية عسكرية لا عقائدية مذهبية، وهو الأمر الذى حدث بالفعل عند استيلاء الفاطميين على مصر فلم يكن بالضرورة يهتمهم فى تلك المره الكشف عن مؤيديهم فى المذهب بأكثر ما كان يهتمهم بالكشف عمن يستطيعون الإعتماد عليهم فى إدارة البلاد.

وكأنهم كانوا على موعد مع أهل مصر الذين كادوا يفقدون هويتهم السياسية من كثرة ما طرأ عليها من تغير من قبل دخول عمرو بن العاص إليها، وحتى بعد دخول الإسلام، فلم تكن أكثر حظاً من تلك الناحية من قبل ذلك فقد تغيرت انتماءاتهم السياسية منذ سنة (٢١هـ - ٦٤١م) من المدينة إلى الكوفة بعد سنة (٣٥هـ - ٦٥٥م)، ثم إلى دمشق بعد سنة (٤١هـ - ٦٦١م)، وبغداد بعد

(١) المقرئى، الخطط، ج ٢، ص ٣٣١ وما بعدها.

(٢) عبد الغنى عبد العاطى، التعليم فى مصر زمن الأيوبيين والمماليك، دار المعارف، القاهرة،

الفصل الأول

سنة (١٣٢هـ - ٧٢٩م)، وقد نتج عن ذلك أن تربي أهل مصر على قبول القوة العسكرية، وما يلحق بها من فكر سياسى ومذهبى وليس العكس. ولعل ذلك ما يفسر موقف أهل مصر من الفاطميين عند قدومهم إليها فهم أصحاب البلاد، وليس لهم من الأمر شىء، وقد سلبتهم الظروف التاريخية أحقية الدفاع عنها باعتبار أن هناك من هم أولى منهم بالقيام بذلك الدور. وقد حاول الفاطميون الاستفادة من إمكانيات كل الأفراد المنتمين إلى مختلف التكتلات العنصرية والاجتماعية التى كانت تؤلف مجموع الشعب المصرى استفاده لم يسبق لها مثيل^(١).

وهو ما يفسر بقائهم فى حكم مصر أكثر من قرنين ولو لم يخرجهم الأيوبيون منها، لدامت أيامهم فيها أكثر من ذلك، وقد أورد أبو شامه فى كتابه الروضتين، نصا من النصوص الهامة التى تعبر عن إنتماء المصريين للفاطميين حتى قدوم جيش نور الدين محمود للمرة الثانية إلى مصر. وذلك أن أسد الدين لما خاف اجتماع الفاطميين والفرنج... دعا أصحابه فاستشارهم فأشاروا عليه بعبور النيل إلى الجانب الشرقى، والعودة إلى الشام، وقالوا له - إن نحن انهزمنا وهو الذى لاشك فيه فإلى أين نلتجئ وبمن نحتمى وكل من فى هذه الديار من جندى وعامل وفلاح عدو لنا ويودون لو شربوا دماءنا^(٢).

ومعنى ذلك أنه كان لدى هؤلاء القادمين إلى مصر أدلة مسبقة على ما أقروه

(١) أيمن فؤاد سيد، المدارس فى مصر قبل العصر الأيوبي، ص ١٠٢.

(٢) أبو شامه، (عبد الرحمن بن اسماعيل بن إبراهيم المقدسى)، الروضتين فى أخبار الدولتين،

دار الجيل، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٤٧م، ج ١، ص ١٤٣.

الفصل الأول

وذلك على الرغم مما لوحظ من تأييد أهل الإسكندرية للجيش النورى^(١)، فلا غرابة فى ذلك، باعتبار ما للإسكندرية من وضع جغرافى سهل لها الاتصال بالعالم السنى. وذلك من خلال وقوعها على طريق الحج والتجارة بين المشرق والمغرب مما ساهم وبشكل ملحوظ فى جعل الإسكندرية مركزاً للإشعاع السنى طوال العصر الفاطمى^(٢).

لم تكن مهمة الفاطميين عند قدومهم إلى مصر مهمة سهلة، ولذا فقد أعدوا لها كل ما أتيح لهم من إمكانيات عسكرية وعلمية وقد لاحظ الفاطميون خلو مصر من أى معاهد علمية باستثناء مساجدها، والتي كانت تعد وبحق المتنفس العلمى الوحيد فى مصر قبل العصر الفاطمى وبخاصة جامعى عمرو بن العاص، وابن طولون وبالطبع كانت الدراسات السنية هى الغالبة على محاضرات العلماء فى تلك المساجد آنذاك.

وعلى الرغم من أن المذهب الشيعى كان يعتبر بمثابة أحد الدعامات الرئيسية فى الفكر السياسى الفاطمى، إلا أنه كان من الجهل أن يفتتح الفاطميون سياستهم تجاه المصريين باسقاط كل مايتعلق بالمذهب السنى من أثر فلم يكن ذلك وليداً ليوم وليلة، وعلى الرغم من ذلك فقد بدأ جوهر^(٣) سياسة الدولة الجديدة بفرض مذهبها

(١) ابن الأثير (على بن أبى الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم ت (١٢٣٢هـ-١٢٣٢م) التاريخ الباهر فى الدولة الأتابيكية، تحقيق عبد القادر أحمد طليمات- دار الكتب الحديثة، القاهرة، ١٩٦٣م، ص ١٢٣.

(٢) محمد زغلول سلام الأدب فى عصر صلاح الدين الايوبى، مؤسسة الثقافه الجامعية الإسكندرية، ١٩٥٩م، ص ٩٣.

(٣) هو أبو الحسن جوهر بن عبد الله القائد المعزى المعروف بالكاتب مولى المعز لدين الله أبى تميم معد الفاطمى وكان من كبار قواد المعز وهو الذى سيره إلى مصر ففتحها سنة ٣٥٨هـ. وكان جوهر مقدماً عند الخلفاء الفاطميين بالديار المصرية على الخاصة والعامة =

الفصل الأول

والعمل على نشره ولم يكن ذلك الأمر سهلاً لأن معتنقى المذهب الجديد من المصريين لم يكونوا إلا فئة قليلة بالنسبة لباقي المصريين الذين رأوا في المذهب الشيعي خروجاً عن معتقداتهم وأرائهم في بعض جوانب الديانة.

ومن أجل أن يستوعب الداخلون في هذا المذهب أحكامه، ومعتقداته كان لزاماً على الفاطميين نشر دعوة واسعة واتباع سياسة تعليمية تمكنهم من نشر مذهبهم، وبدأ نشاطهم يتغلغل إلى أماكن التعليم القائمة حيث كانت تعقد حلقات العلم وخاصة في جامعي عمرو وابن طولون^(١).

على أن جوهر لم يقنع بما في مصر من جوامع قديمة كانت منذ تأسيسها مركزاً للمذهب السني وإنما بدأ بإنشاء جامع جديد ليكون مقراً ومركزاً لتعليم فقه المذهب الشيعي وكان ذلك سنة (٣٥٩هـ - ٩٧٠م) عندما وضع جوهر أساس الجامع الأزهر الذي تم بناؤه في شهر رمضان سنة (٣٦١هـ - يونيو ٩٧٢م).

ومما لا شك فيه أن الغرض الأساسي من بناء الجامع الأزهر هو أن يكون معهداً لفئة معينة من الطلاب الذين يدرسون الفقه الشيعي وفلسفته حتى إذا أقوا دراستهم قاموا بالدور المطلوب منهم، وهو نشر الدعوة الشيعية ومعتقداتها بين الناس، أي أنه كان مركزاً لتدريب دعاة المذهب وتخرجهم^(٢)، وكان المعز لدين

= وقد استمر جوهر حاكم الديار المصرية إلى أن قدم إليها مولاه المعز لدين الله في سنة ٣٦٢هـ فصرف جوهر من الديار المصرية بأستاذه المعز وصار من عظماء القواد في دولة المعز وغيره ولم يزل جوهر على ذلك إلى أن مات في سنة ٣٨١هـ - ٩٩١م.

- ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج ٤، ص ٢٨.

(١) عبد الغنى محمود عبد العاطى، المرجع السابق، ص ٢٠.

(٢) عبد الغنى عبد العاطى، نفسه، ص ٢٣، ٢٤.

الفصل الأول

الله الفاطمي^(١) أول من اهتم بشئون العلم والعلماء والدعوة للمذهب الشيعي في أنحاء مصر.

وكان أول ما عرف بإقامة درس من قبل السلطان بمعلوم جوار لطائفة من الناس بديار مصر في خلافة العزيز بالله نزار بن المعز ووزارة يعقوب بن علي^(٢)، فعمل ذلك بالجامع الأزهر- ثم عمل في دار الوزير يعقوب بن علي مجلس يحضره الفقهاء فكان يقرأ فيه كتاب فقه علي مذهبهم، وعمل أيضا مجلس بجامع عمرو ابن العاص في فسطاط مصر لقراءة كتاب الوزير^(٣).

(١) هو أبو تميم معد بن المنصور اسماعيل بن القائم بأمر الله المهدي عبيد الله الفاطمي المغربي الملقب بالمعز لدين الله والذي نسبت اليه القاهرة المعزية مولده بالمهدية في سنة ٣١٩هـ وبويع بالخلافة في المغرب سنة ٣٤١هـ بعد موت أبيه وسير من فورة قائده الشهير جوهر الصقلي لفتح مدن المغرب التي لم تكن في حوزتهم وقد نجح جوهر في ذلك كما فتح له أفريقية وانتزع مصر من أيدي الأخشيديين في سنة ٣٥٨هـ. كل ذلك والمعز مقيم في المهديّة من بلاد المغرب حتى اتم جوهر بناء القاهرة انتقل إليها وذلك في سنة ٣٦٢هـ وبقي بها إلى حين وفاته ٣٦٥هـ فكانت مدة خلافته جميعاً أربعة وعشرين سنة ، ثلاثة منها بمصر وأما الباقيون في بلاد المغرب.

- ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٤، ص ٧٠.

(٢) وهو يعقوب بن يوسف بن كلثوم أبو الفرج وزير العزيز صاحب مصر كان يهودياً من أهل بغداد ثم انتقل إلى الرملة وعمل سمساراً فانكسر عليه مال فهرب إلى مصر. وتاجر لكافور الاخشيدى فرأى منه فطنة، فقال لو أسلم لصلح للوزارة، فأسلم. بقصده الوزير حينئذ فهرب بن كلثوم هذا إلى المغرب وترقى إلى أن وزره العزيز سنة ٣٦٥هـ فاستقامت أمور العزيز بتدبيره إلى أن مات سنة ٣٨٠هـ.

- ابن تغري بردي، المصدر السابق، نفسه، ج٤، ص ١٥٨.

(٣) المقرئ، الخطط، ج٢، ص ٣٦٣.

الفصل الأول

أما الجهد الواضح للفاطميين فى مجال الثقافة والتعليم فقد تركز فى دار العلم (الحكمة) التى أنشأها الخليفة الحاكم بأمر الله^(١)، وافتتحت رسمياً سنة (٣٩٥هـ - ١٠٠٥م).

وقد تتبع الباحثون المراحل التى مرت بها دار العلم منذ إنشائها حتى قدوم صلاح الدين سنة (٥٦٧هـ - ١١٧١م)، ومن الملاحظ أنها أسست فى الأصل لخدمة المذهب الشيعى مذهب الدولة الرسمى^(٢)، فكان من الطبيعى أن تصطبغ الحلقات بصبغة الشيعة وعلومهم لكن ذلك لم يكن محتوماً فقد كانت الدولة الفاطمية تسلك فى كثير من الأحيان مسالك التغاضى والتسامح، وإن كانت فى أحيان أخرى تشتت فتعاقب مخالفيها فى المذهب وكان هذا الشطط بعد أن تمكنت الدولة سياسياً، وقد أدى ذلك إلى أن توارى المذهبان اللذان كانا سائدين فى مصر من قبل وهما المذهب الشافعى والمالكى، وصارت الغلبة للمذهب الفاطمى^(٣) فالفاطميون نجحوا على ذلك إلى حد كبير فى نشر عقيدتهم بمصر على ماذهب إليه بعض الباحثين^(٤)، ولعل أكثر ما يؤيد ذلك ملاحظه الباحثون — استثناء أهل

(١) هو أبو على منصور بن العزيز بن نزار بن المعز الفاطمى صاحب مصر والشام والحجاز والمغرب قال فيه المؤرخون أخباراً غريبة وأحوالاً عجيبة خلال مدة حكمه وآخر ما يحكى فى ذلك، هو أن أخته ست الملك هى التى أجهزت عليه فقتلته وذلك فى سنة ٤١١هـ وعمره انذاك ٣٦ سنة - ابن اسعد اليافعى، مرآة الجنان، ج ٣، ص ٢٥.

(٢) أيمن فؤاد سيد، الدولة الفاطمية فى مصر، الدار المصرية اللبنانية، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م، ص ٣٤٥ عبد الغنى عبد العاطى، التعليم فى مصر، ص ٣٠.

(٣) خضر أحمد عطا الله، الحياة الفكرية فى مصر فى العصر الفاطمى، دار الفكر العربى، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٨٩، ص ١٨٣.

(٤) أندريه ريموت، القاهرة تاريخ حاضرة، ترجمة لطيف فرج، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٤م، ص ٧٩.

الفصل الأول

الإسكندرية من ناحية اتباعهم للمذهب السني^(١)، ولو كان ذلك عاماً فاشياً في بقية أنحاء مصر ما استثنيت الإسكندرية في ذلك الأمر، هذا من ناحية، من ناحية أخرى فالذى يتابع ما أورده الإدقوى في كتابه (الطالع السعيد) من أخبار تعبر عن بقاء المذهب الشيعى فى بعض الأنحاء من صعيد مصر وذلك بعد انتهاء العصر الأيوبى بأكمله^(٢)، ألم يكن ذلك شاهداً على مدى التشيع فى مصر فى العصر الفاطمى؟ إذا وضعنا فى الاعتبار جهود الدولة الأيوبية فى إحياء المذهب السنى، والقضاء على المذهب الشيعى، ولا يعد ذلك الاتجاه سوى رد فعل لما ذهب إليه الباحثون من أن المهمة كانت سهلة أمام صلاح الدين الأيوبي لإعادة كلمة السنة بمصر^(٣)، وواقع الأمر أنها كانت مهمة شاقة جداً^(٤) فقد كان صلاح الدين نفسه

(١) جمال الدين الشيال، الإسكندرية طبوغرافية المدينة وتطورها من أقدم العصور إلى الوقت الحاضر، مستخرج من مجلة الجمعية الملكية للدراسات التاريخية، عدد ٢، سنة ١٩٤٩م، دار المعارف بمصر، ص ٢٢١.

(٢) الإدقوى (أبو الفضل كمال الدين جعفر بن ثعلب)، الطالع السعيد الجامع لأسماء نجباء الصعید، تحقيق / سعد محمد حسن، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٦٦م، ص ٥٥.

(٣) سهام مصطفى أبو زيد، الدعوة الإسماعيلية ومدى نجاحها فى مصر الإسلامية، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية البنات، جامعة عين شمس، قسم التاريخ، ١٩٧٧م، ص ٢٧٥.

(٤) لكى يمكننا فهم الموقف الصعب الذى كان عليه صلاح الدين ينبغى أن نشير إلى بعض من أوضاع الشيعة بمصر طوال العصر الأيوبي والتي لخصها لنا ابن واصل الذى يقول فى كتابه (تاريخ الواصلين) "ولما توفى العاضد وزالت الدولة قالت رعاياهم أن الإمامة صارت بعده لإبنه داوود بن العاضد لقبوه الحامد لله ثم توفى داوود هذا فى أيام الملك العادل =

الفصل الأول

متخوفاً من عظم تلك المهمة منذ أن كلف بها هو وأفراد جيش نور الدين محمود لما أمرهم بالمسير إلى مصر وتخليصها من أيدي الفاطميين^(١).
ومن الإنصاف أن نؤكد على حقيقة هامة مؤداها أن محاولات أهل السنة في مصر في العصر الفاطمي كانت في تزايد مستمر ساعد على ذلك مجموعة من العوامل التي كان من شأنها فقط أن مهدت الطريق أمام صلاح الدين، وكان من أهمها الانقسامات المذهبية والسياسية والضعف الذي أصاب الخلفاء الفاطميين، مما جعلهم فريسة سهلة في يد وزرائهم، وطبيعة الحال فالوضع السياسي في مصر آنذاك يقر بأنه «إن فسد الرأس فسد الجسد» وبذلك فقد صارت مصر أقل قدرة على

= سيف الدين أبي بكر بن أيوب في الحبس ثم قالوا إنها صارت بعده لابنه سليمان بن داود بن العاضد وكان سليمان هذا قد ادخلت أمه إلى داود في الحبس سرا فوطئها داود فحملت بسليمان ثم حملت الجارية إلى الصعيد فولدت سليمان وترعرع وأخفى أمره من الدولة الأيوبية عند بعض الدعاة فلما علم السلطان الملك الكامل بن الملك العادل بخبره ظفر به وحبسه بقلعه الجبل يقول ابن واصل عن نفسه وسافرت إلى مصر سنة ٦٤١هـ وكان سليمان هذا حياً فسمعت إن دعوة الإسماعيلية المصريين له ولهم فيه اعتقاد عظيم ورأيت من اجتمع به وتحدثت معه ثم أن سليمان هذا توفي بقلعة الجبل في شهر شوال سنة خمس وأربعين وستمائه في أيام السلطان الملك الصالح بن الكامل رحمه الله ولم يخلفه ولد ذكراً فيما أعلمه وسمعت بعض من ينتمى إلى مذهبهم يدعى أن له ولداً ذكراً قد أخفى أمره حسب ما كان أخفى سليمان والله أعلم بحقيقة ذلك وبقي منهم رجالان محبوسان بقلعة الجبل بالقاهرة المحروسة شيخان أحدهما ابن العاضد لدين الله وكان اسمه القاسم.

- ابن واصل (جمال الدين محمد)، تاريخ الواصلين في أخبار الخلفاء والملوك والسلاطين مخطوط بدار الكتب المصرية، تاريخ (٥٣١٩)، المجلد الأول، ورقه رقم (٣٤) - سعديه محمد على، أهل السنة في مصر في العصر الفاطمي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية البنات، جامعة عين شمس، ١٩٨٠، ص ١٥٤.

(١) ابن الأثير، التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ١٣٩.

الفصل الأول

مقاومة التيارات الفكرية المخالفة للمذهب الشيعى مذهب الدولة الرسمى.
ولعل أكثر ما يمكن أن يقال عن العوامل التى ساهمت فى أحداث ذلك الخلل
ماحدث. من إستشارة المصريين عن طريق جلب الفاطميين لعناصر مسيحية من خارج
مصر وتزايد نفوذها بفعل الخلفاء الفاطميين^(١) مما ساعد على إتاحة الفرصة للاتجاه
المضاد أى التيار السنى للظهور والانتشار^(٢)، بل أكثر من ذلك فإننا شاهدنا فى
المرحلة الأخيرة قبول الخلفاء الفاطميين استوزار سنيين والاعتماد على آخرين منهم
فى الوظائف الإدارية الهامة^(٣).

والواقع أننا لسنا فى معرض الحديث عن مظاهر أفول الدعوة الفاطمية فى مصر،
بالقدر الذى نسعى فيه للحديث عن نشأة المدارس فى مصر، والعوامل التى ساعدت
على ذلك لاسيما أن حركة إنشاء المدارس كانت قد بدأت فى الظهور والانتشار فى
الوقت الذى كانت فيه مصر بيد الخلفاء الفاطميين، والمعروف أن هذه الحركة قد
ظهرت وترتت فى كنف فقهاء المذاهب الأربعة وهو الأمر الذى أدبى بالضرورة إلى
تأخر ظهور تلك الحركة فى مصر عن سواها من البلدان الإسلامية الأخرى، وقد كان
ذلك الظهور فى مدينة الإسكندرية بطبيعة الحال تابعاً لمكانة أهل السنة
بالمدينة وفى الوقت نفسه شاهداً على المحاولات الجادة لإحياء المذهب السنى بمصر،
ولانستطيع فى ذلك قبول الرأى الذى تبناه أحد الباحثين بأن حركة إنشاء المدارس

(١) أيمن فؤاد سيد، المدارس فى مصر قبل العصر الأيوبي، ص ١١، ومابعداها.

(٢) محمد عبد الرحيم غنيم، مرجع سابق، ص ٨٢.

(٣) ابن خلكان، المصدر السابق، ج ٣، ص ٤٣٢ ومابعداها- هادية دجاني، القاضى الفاضل

(عبد الرحيم البيسانى العسقلانى)، (٥٢٦هـ: ٥٩٦هـ- ١١٣١: ١١٩٩م) حسب مؤسسة

الإمارات الفلسطينية، بيروت ١٩٩٣م، ص ١٢٩.

الفصل الأول

إلا على وجه التقريب، وذلك على الرغم من أن المسألة ليست محيرة لهذا الحد.

فبمجرد أن يعود الباحثون إلى مصادر تاريخ مصر في العصر الفاطمي فإنهم سيقفون على حقيقة لامراء فيها وهي أن المدارس قد عرفت في مصر قبل صلاح الدين الأيوبي فقد دونت لنا الروايات التاريخية إشارات ومعلومات عن ثلاث مدارس قد أسست بمصر قبل قدوم صلاح الدين وهذه المدارس هي :

١- مدرسة أبو بكر الطرطوشي.

٢- المدرسة الحافظية.

٣- المدرسة السلفية.

(١) مدرسة أبو بكر الطرطوشي :

وتنسب إلى مؤسسها محمد بن الوليد بن خلف بن سليمان بن أيوب الفهري المعروف بالطرطوشي ومنها أصله، ويكنى أبا بكر ونسبة إلى طرطوش من بلاد الأندلس محل ميلاده وكان ذلك في حدود سنة (٤٥٠هـ-١٠٥٨م)، وأبو بكر هذا مالكي المذهب طاف ببلاد المغرب والمشرق في طلب العلم كعادة علماء تلك الفترة^(١).

وقد سبق الإشارة إلى أن أبا بكر الطرطوشي كان قد تصادف تواجده في المشرق مع إنشاء المدرسة النظامية^(٢) فكان من أوائل الذين تفقهوا وتعلموا بها^(٣).

(١) ابن فرحون (برهان الدين إبراهيم بن علي بن محمد اليعمرى)، ت(٧٧٩هـ-١٣٧٧م)،

(الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،

د.ت، ص ٢٧٦- ابن تغري بردى، النجوم الزاهرة، ج ٥، ص ٢٣١.

(٢) راجع الرسالة، الفصل التمهيدي.

(٣) ابن فرحون، الديباج المذهب، ص ٢٧٦.

الفصل الأول

ومعنى ذلك أنه قد نال حظاً وافراً فى استيعاب تجربة المدرسة النظامية منذ أن كانت فكرة وحتى صارت واقعاً ملموساً، ولما بلغت الرحلة بالطرطوشى إلى مدينة الإسكندرية فى حدود سنة (٤٨٧هـ - ١٠٩٤م) وذلك فى أعقاب فتنة الوزير الأفضل بن بدر الجمالى^(١)، والتي انتهت بنقل عدد من علمائها فوجد البلد عاطلاً عن العلم فأقام بها وبث علماً جماً وكان يقول "إن سألنى الله تعالى عن المقام بالإسكندرية لما كانت عليه فى أيام الشيعة العبيديين من ترك وإقامة الجمعة وغير ذلك من المناكر التى كانت فى أيامهم أقول وجدت قوماً ضاللاً فكنت سبب هدايتهم"^(٢)، ويفهم من ذلك أن الطرطوشى كان قد حاول الاستفادة من خبراته بصورة جادة ومنظمة وذلك من أجل تحقيق هدفه المنشود، وقد وجدنا أن شهرته بالإسكندرية فى تزايد مستمر، وكذلك طلابه ومريديه ولا غرابة بعد ذلك أن نتوقع من الطرطوشى أن يستفيد من تجربة المدرسة النظامية ويحاول تنفيذها بالإسكندرية، وهو الأمر الذى

(١) هو الملك الأفضل شاهنشاه ابن أمير الجيوش بدر الجمالى الأرمن وزير الخليفة الفاطمى المستعلى وهو الذى أقام المستعلى فى الحكم بمصر بعد موت أبيه الخليفة المستنصر. وقد ظل الأفضل على ذلك الحال إلى أن قتل سنة (٥١٥هـ - ١١٢١م).

- ابن أسعد اليافعى، مرآة الجنان، ج ٣، ص ٢١١.

(٢) ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج ٣، ص ٣٩٣، ٣٩٥، ابن العماد (أبو الفلاح عبد الحى بن العماد الحنبلى)، شذرات الذهب فى أخبار من ذهب، القاهرة ١٣٥٠م، ج ٤، ص ٦٢، ٦٣ - ابن فرحون، الديباج المذهب، ص ٢٧٨ - ابن أبيك الصفدى (صلاح الدين خليل) ت (٧٦٤هـ - ١٣٦٢م) الوافى بالوفيات تحقيق س. د. يدرنخ، بيروت، ١٩٧٠، ج ٥، ص ٢٧٧ - السيوطى (الحافظ جلال الدين عبد الرحمن)، حسن المحاضرة فى تاريخ مصر والقاهرة - تحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٨٠م، ج ١، ص ٢١٣.

الفصل الأول

حدث بالفعل فقد بنى بالإسكندرية مدرسة اتخذ من طابقها الثانى منزلاً وهو ما يفهم من النص الذى أورده الضبى فى كتابه (الملتص) حيث يروى "أنه كانت بالإسكندرية امرأة متعبدة هى خالت أبى الطاهر بن عوف فخطبها - أى الطرطوشى - ، وتزوجها وبنى بها فى المدرسة وكان لها ابن من أهل الدنيا كثير التخليط فصعب ذلك عليه وعهد إلى خنجر، واستتر فى المدرسة فلما أن أقبل الليل قصد البيت الذى كانت فيه أمه مع الفقيه، وسمع صوت الفقيه يقرأ فى الصلاة فأم الصوت وخنجره فى يده فلما قرب منه وهو عازم على قتله حالت بينه وبينه سارية من سوارى مساكن المدرسة وضرب فيها بوجهه وخر مغشياً عليه، والفقيه لا يشعر فلما طلع الفجر نزل إلى المدرسة فصلى الصبح ودرس، وتصرفت زوجته فى أثناء ذلك فوجدت ابنها متجنحاً لا يعقل فكلمته فلم يكلمها فلما فرغ الفقيه من التدريس صعد إلى منزله فأعلمته زوجته بمكان ابنها فاتجه نحوه فوجده على تلك الحال فجر يده على وجهه وتفل وتكلم بكلمات ففتح عينه فلما أبصر الفقيه قال هات يدك فأنا تائب إلى الله تعالى لا أعصية بعد اليوم أبداً فقال له الطرطوشى والله لا أتركك فى هذا الموضع انتقل لدار أهلك فأسكنها، وحسنت توبه الإبن بعد ذلك^(١) وإذا أضفنا إلى تلك الرواية ما نقله الضبى عن أحد شيوخه من أنه كان يبيت أكثر الليالى بمدرسة الحافظ أبى بكر الطرطوشى^(٢)، فإننا نستطيع أن نؤكد على حقيقة هامة مؤداها أن مدرسة الطرطوشى وهو المتوفى سنة ٥٢٠هـ - ١٢٠٦م، تعد ويحق أقدم مدرسة أنشأت بمصر ولم يكن اطلاق كلمه مدرسة على صنيع الطرطوشى مجازاً كما

(١) الضبى (أحمد بن يحيى بن أحمد بن عفيرة توفى سنة ٥٩٩هـ)، بغية الملتص فى تاريخ

أهل الأندلس، دار الكتاب العربى، دمشق، ١٩٦٧، ص ١٣٧.

(٢) الضبى، بغية الملتص، ص ١٣٧.

الفصل الأول

أعتقد البعض^(١).

على أن شهرة الشيخ أبى بكر الطرطوشى ومدرسته كانت قد ذاعت. وقصده الكثير من الدارسين من خارج مصر الذين رحلوا إليه للانتفاع بعلمه وفضله، ولم يقضى الطرطوشى نحبه بالإسكندرية حتى ترك من تلامذته الكثير الذين يستطيعون أن يكملوا ويتمموا ما بدأه الشيخ^(٢)، وعلى الرغم من ذلك فلم يكـد ينقضى العصر الفاطمى حتى أننا لانسمع عن تلك المدرسة أى شىء يذكر.

(٢) المدرسة الخافضية (العوفية)

فى حدود سنة (٥٣٢هـ-١١٣٧م) كشفت لنا الروايات التاريخية عن مدرسة ثانية بالإسكندرية أنشئت فى تلك السنة، وأول ما يروى فى ذلك ما قاله ابن ميسر "أنه فى سنة (٥٣٢هـ-١١٣٧م) بنى الوزير رضوان^(٣) المدرسة المغروفة به فى ثغر الإسكندرية وقرر فى تدريسها الفقيه أبا الطاهر بن عوف^(٤) وهو إسماعيل بن بكر

(١) عبد الغنى عبد العاطى، التعليم فى مصر فى العصرين الأيوبى والمملوكى، ص ٣٩.

(٢) راجع ما جمعه لنا أحمد عبد اللطيف من تلاميذ الطرطوشى- أحمد عبد اللطيف، الجاليات المغربية والأندلسية بمصر فى العصر الفاطمى، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة طنطا، سنة ١٩٧٨م، ص ٥٥٥ وما بعدها.

(٣) الوزير رضوان بن ولخشى أمير الجيوش وزير الحافظ ومدير ممالكه بديار مصر وغيرها وقد استوزره الخليفة الفاطمى الحافظ ولما ولى الوزارة سنة (٥٣٢هـ-١١٣٧م) استولى على مصر وحجر على الخليفة الحافظ وسلك فى ذلك طريق الأفضل بن أمير الجيوش بدر الجمالى وزاد أمره حتى دس عليه الحافظ السودان فوثبوا عليه فقتلوه سنة (٥٤٣هـ-١١٤٨م).

- ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج ٥، ص ٢٨١.

(٤) ابن ميسر (تاج الدين أحمد بن على بن يوسف) المنتقى من أخبار مصر، انتقاء تقي الدين أحمد بن على المقرئ سنة ٨١٤هـ، حققه وكتب مقدمته وحواشيه ووضع فيها نهايته أيمن فؤاد سيد، المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية. بالقاهرة، سنة ١٩٨١م، ص ١٣٠.

الفصل الأول

إبن اسماعيل عيسى بن عوف بن عبد الرحمن بن عوف أحد تلامذه الطرطوشى، وهو مالكى المذهب كأستاذه .

وقد قام جمال الدين الشيال بدراسة مستوفية حول تلك المدرسة وقد اعتمد فى ذلك اعتماداً كبيراً على السجل الوارد فى صبح الأعشى الخاص بتعيين أبو الطاهر بن عوف مدرساً لتلك المدرسة وقد خلص إلى الآتى :

١- أن المدرسة قد بنيت فى أيام الخليفة الفاطمى الحافظ لدين الله وذلك بتفويض منه لوزيره رضوان بن الولخشى.

٢- أن أبا الطاهر بن عوف يعتبر أول مدرس بتلك المدرسة والتي اعتبرها جمال الدين الشيال أول مدرسة عملت بديار مصر.

٣- وقد حدد جمال الدين الشيال موقع المدرسة فى شارع فؤاد (أبى قير الحالى).

٤- أن المدرسة أسست لتدريس علوم الشريعة.

٥- وقد أوضحت الدراسة أن الأمر بتعيين المدرسين كان يتلى أولاً على الكافة بالمسجد الجامع وأن هذه هى طرق الإعلان والنشر الممكنة فى تلك العصور ثم يجلد هذا السجل، ويحفظ بالمدرسة. ليكون حجة بما تضمنه (١).

والحق أن ما توصل إليه جمال الدين الشيال فى بحثه قد بطرح مجموعة من التساؤلات الجديدة من أهمها تساؤلا حول الغرض الذى أنشئت من أجله تلك المدرسة، ولم يكن ما أورده القلقشندى فى ذلك السجل كافيا لإزاله الغموض حول ذلك الموضوع حيث ورد بالسجل أنه "لما انتهى إلى أمير المؤمنين ميزة ثغر الإسكندرية حماها الله تعالى على غيره من الثغور وهو يشتمل على القراء والفقهاء والمرابطين الصلحاء، وأن طالبى العلم من أهله ومن الواردين

(١) جمال الدين الشيال، الإسكندرية، مجلة الجمعية الملكية ص ٢١٨.

- سعاد ماهر، مساجد مصر، ج ٢، ص ١٦٢.

الفصل الأول

إليه أو الطارئين عليه مشتتوا الشمل ومتفرقوا الجمع، أبى أمير المؤمنين أن يكونوا حائرين، ولم يرض أن يبقوا مذبذبين وخرجت أوامره بإنشاء المدرسة الحافظية بهذا الشجر المحروس مقاماً ومثوى لجميعهم ووطناً ومحلاً وسكناً ومستقراً لهم^(١)."

ويفهم من ذلك النص أن الغرض من إنشاء تلك المدرسة كان متوقفاً عند حد التصريح بإنشاء معهد علمي غير مختص بعلوم أهل السنة أو غيرها، وذلك على الأقل من وجهه نظر الحافظ لدين الله الخليفة الفاطمي الشيعي المذهب وإن كنا بعد ذلك قد وجدنا أن المدرسة قد تخصصت في دراسات أهل السنة، وبخاصة الفقه المالكي وهو الأمر الذي يوضح لنا أهمية الدور الذي لعبه الوزير (رضوان بن الوحشى) في تعمية الخليفة عن الغرض الحقيقي من وراء إنشاء تلك المدرسة وربما أنه ولهذا السبب قد عرفت المدرسة باسم الوزير على حد قول ابن ميسر وذلك على الرغم من أنها في الأصل سميت بالحافظية على حد ما أورده القلقشندي، وكذا ما عرفت به نسبة إلى مدرستها أى المدرسة العوفية.

وإذا كانت مدرسة الطرطوشي أول مدرسة أنشئت بالإسكندرية فإنها إذا جاز التشبيه بمثابة مدرسة أهلية أو مدرسة خاصة يرجع الفضل في إنشائها واستمرار التدريس فيها لشيخها ومن تلاه من تلامذته، أما هذه المدرسة (العوفية) فتختلف اختلافاً كبيراً عن المدرسة الأولى، ذلك أن الخليفة الحافظ الفاطمي هو الذي احتضن هذه المدرسة، ووفر لها من الأموال ما يضمن لها الاستمرار والبقاء^(٢) لذا فإننا

(١) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص ١٤٣.

(٢) عبد الغنى عبد العاطي، المرجع السابق، ص ٤٠.

الفصل الأول

إليه أو الطارئين عليه مشتتوا الشمل ومتفرقوا الجمع، أبى أمير المؤمنين أن يكونوا حائرين، ولم يرض أن يبقوا مذبذبين وخرجت أوامره بإنشاء المدرسة الحافظية بهذا الثغر المحروس مقاماً ومثوى لجميعهم ووطناً ومحلاً وسكناً ومستقراً لهم^(١)."

ويفهم من ذلك النص أن الغرض من إنشاء تلك المدرسة كان متوقفاً عند حد التصريح بإنشاء معهد علمي غير مختص بعلوم أهل السنة أو غيرها، وذلك على الأقل من وجهه نظر الحافظ لدين الله الخليفة الفاطمي الشيعي المذهب وإن كنا بعد ذلك قد وجدنا أن المدرسة قد تخصصت في دراسات أهل السنة، وبخاصة الفقه المالكي وهو الأمر الذي يوضح لنا أهمية الدور الذي لعبه الوزير (رضوان بن الوخشي) في تعمية الخليفة عن الغرض الحقيقي من وراء إنشاء تلك المدرسة وربما أنه ولهذا السبب قد عرفت المدرسة باسم الوزير على حد قول ابن ميسر وذلك على الرغم من أنها في الأصل سميت بالحافظية على حد ما أورده القلقشندي، وكذا ما عرفت به نسبة إلى مدرستها أي المدرسة العوفية.

وإذا كانت مدرسة الطرطوشي أول مدرسة أنشئت بالإسكندرية فإنها إذا جاز التشبيه بمثابة مدرسة أهلية أو مدرسة خاصة يرجع الفضل في إنشائها واستمرار التدريس فيها لشيخها ومن تلاه من تلامذته، أما هذه المدرسة (العوفية) فتختلف اختلافاً كبيراً عن المدرسة الأولى، ذلك أن الخليفة الحافظ الفاطمي هو الذي احتضن هذه المدرسة، ووفر لها من الأموال ما يضمن لها الاستمرار والبقاء^(٢) لذا فإننا

(١) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص ١٤٣.

(٢) عبد الغنى عبد العاطي، المرجع السابق، ص ٤٠.

الفصل الأول

الشيعة المتمثل في البويهيين، جاء ذلك عن طريق إنشاء المدارس على الفقه الشافعي.

وفي سنة (٥١١هـ-١١١٧م) دخل الحافظ السلفي مدينة الإسكندرية واستوطنها إلى أن مات بها سنة (٥٧٦هـ-١١٨٠م)^(١)، وصارت له بالإسكندرية وجاهة قيل أنه كان له عند ملوك مصر الجاه والكلمة النافذة مع مخالفتهم لهم في المذهب^(٢).

وكان السلفي أثناء اتصاله برجال الدولة الفاطمية حريصاً على اجتناب عداوتهم واكتساب مودتهم حيث أن الدولة شيعية وهو سني شافعي، ولهذا كان يغضى عن مذهبهم ويقنع بصلات الود والصداقة التي تربطه بهم ويتعد ما استطاع أن يخوض معهم في مناقشات دينية أو مذهبية، وإذا أخرج واستطردوا أمامه في مناقشات من هذا النوع حاول بذكائه ولباقتهم أن يخرج من هذا المخرج دون أن يؤذي شعورهم^(٣).

وقد عاصر الحافظ السلفي أثناء مقامه في مصر عدداً كبيراً من خلفاء الفاطميين فقد وصل إلى الإسكندرية في عهد الخليفة الأمر^(٤). وشهد

(١) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج١ ص ١٠٥، سعاد ماهر، مساجد مصر، ج٢، ص ١٦٠، - الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢١، ص ١٧١٦، هذا ما أقره المؤرخون أي نزول السلفي بالإسكندرية في سنة (٥١١هـ - ١١٧٠م) عدا ابن كثير الذي ذكر نزوله - أي السلفي - إلى الإسكندرية في سنة (٥١٠هـ - ١١٦٩م).

- ابن كثير (عماد الدين أبو الفدا إسماعيل بن عمر ت ٧٧٤هـ-١٣٧٢م)، البدايه والنهيه، مكتبة المعارف، ط١، بيروت، ١٩٦٦، ج١١، ص ٢٠.

(٢) السبكي، طبقات الشافعية، ج٦، ص ٣٧.

(٣) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢١، ص ٢٣ - جمال الدين الشيال، أعلام الإسكندرية في العصر الإسلامي، دار المعارف المصرية، القاهرة، ١٩٦٠م، ص ١٥٤.

(٤) وهو الأمر بأحكام الله أبو علي منصور بن المستعلي بالله الفاطمي صاحب مصر كان مشتهراً بالظلم والفسق امتدت دولته ثلاثين سنة فلما تمكن وكبر قتل وزيره الأفضل =

الفصل الأول

مؤسسات علمية اختصت بدراسة الفقه السننى كمدرستى الطرطوشى وابن عوف.

ومن الملاحظ أن هاتين المدرستين قامتتا على تدريس الفقه المالكى نظراً لاعتبارين أولهما:- أن الطرطوشى وابن عوف كانا على المالكية، وثانيهما:- أن عموم أهل الإسكندرية كانوا على ذلك المذهب، والمعروف أن السلفى شافعى المذهب والحق أن المالكية كانت قد حققت نجاحاً لم يسبق إليه على الشيعة ببلاد المغرب إلا أنها بعد ذلك لم تستطع أن تلاحق الشيعة بمصر، وكأنها قد اكتفت بإبعادهم عن بلاد المغرب وهو ما يعنى أن فشل الفاطميين ببلاد المغرب عائد فى الحقيقة إلى فقهاء المالكية لا إلى الفقه المالكى نفسه^(١) فى الوقت الذى ظهرت فيه الشافعية ببلاد المشرق فى صورة فتية أمام التحديات الشيعية، والتى كانت أبلغ وأعظم مما كان عليه الحال ببلاد المغرب إلا أنها قد استطاعت أن تعلى من كلمة أهل السنة على وجه العموم ولم يكن ذلك مقيداً بمكان دون غيره أى أنها قد اكتسبت من الإسلام نفسه عالمية الدعوة، ولاسيما إذا وضعنا فى الاعتبار ما حدث من استيعاب الشافعية لعقيدة الأشعرى معنى ذلك أن وجود مثل هذا الفقيه الشافعى المذهب

(١) محمد أحمد عبد المولى، القوى السنية فى بلاد المغرب من قيام الدولة الفاطمية إلى قيام الدولة الزيرية من سنة (٢٩٦هـ: ٣٦١هـ - ٩٠٩م: ٩٧٢م)، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٥م، ص ٣٨، محمود إسماعيل، المالكية والشيعة بإفريقية إبان قيام الدولة الفاطمية، المجلة التاريخية المصرية، المجلد الثالث والعشرون، القاهرة، ١٩٧٦م، ص ٧٣ وما بعدها.

الفصل الأول

- أى السلفى - بالإسكندرية في الوقت الذى تولى فيه العادل بن السلار^(١) ثغر الإسكندرية من قبل الخليفة الفاطمى، وذلك منذ سنة (٥٤٠هـ - ١١٤٥م) وهو كما تذكر الروايات التاريخية كان سنياً على الشافعية أيضاً^(٢) فإذا أضفنا إلى ذلك ما قيل من أن وزراء الدولة الفاطمية فى ذلك الوقت كانوا على اتصال (بنور الدين محمود) فى المشرق^(٣) حامل لواء كلمة السنة فى عصره لشعرنا بأن حركة منظمة كانت قائمة منذ ذلك الوقت بقصد القضاء على الدولة الفاطمية، ولعل أكبر دليل على ذلك هو ما حدث من استكمال نفس الدور بعد قليل على يد نور الدين محمود نفسه، ولكن فى تلك المرة كانت على يد أسد الدين شيركوه، وابن أخيه صلاح الدين الأيوبي، ولم يكن غريباً بعد ذلك أن نسمع عن بناء العادل بن السلار مدرسة بالإسكندرية على الفقه الشافعى، وأنه أوقف عليها الأوقاف^(٤)، وذلك ليقوم على شئونها والتدريس بها أبو الطاهر السلفى وذلك أثناء ولايته - أى العادل - على ثغر

(١) هو على بن السلار الكردي ثم المصرى وزير الظاهر الفاطمى صاحب مصر كان سنياً شافعيًا شجاعاً مقداماً شهماً ماثلاً إلى أرباب الفضل والصلاح عمر بالقاهرة مساجداً وكان مع هذه الأوصاف ذا سيرة جائرة وسطوة قاهرة قتل فى سنة ٥٤٨هـ.

- ابن أسعد اليافعى، مرآة الجنان، ج٣، ص ٢٨٨.

(٢) الذهبى، سير أعلام النبلاء، ج٢١، ص ٢٤، ٢٥، ابن أسعد اليافعى، نفسه، ج٣، ص ٢٨٨.

(٣) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٦، ص ٢٣٤.

(٤) سبط ابن الجوزى (شمس الدين أبى المظفر يوسف قزاوغلى التركى ت ٦٤٥هـ - ١٢٥٧م) مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان، مطبعة مجلس دائره المعارف العثمانية، حيدر أباد الدكن، ط١، ١٣٧٠هـ - ١٩٥٠م، ج٨، القسم الأول، ص ٣٦١، ٣٦٢.

الفصل الأول

الإسكندرية، أى أن ذلك قد حدث قبل سنة (٥٤٤هـ-١١٤٩م) على حد قول ابن خلكان^(١)، الذى عاد فذكر أن العادل كان قد بناها للسلفى فى سنة (٥٤٦هـ-١١٥١م)، أثناء وزارته للظافر الفاطمى^(٢) ولم يكن لدينا أى دليل لترجيح أحد الرأيين على الآخر^(٣)، وإذا كانت المصادر التاريخية لم يعيننا على ذلك، فإنها قد أمدتنا بمعلومات قيمة عن تلك المدرسة، فمن ذلك ما رصده الباحثون عن منهاج الدراسة بتلك المدرسة والعلوم التى كانت تدرس بها من فقه وتفسير وحديث ومايلحق بذلك من علوم^(٤)، وكذا هيئة التدريس بالمدرسة إذ تذكر الروايات أن السلفى كان أستاذ المدرسة يعاونه عدد من المعيدين، وأما رواد المدرسة فكانوا من شتى الأعمار والفئات^(٥).

وقد عكست لنا التراجم التى أوردها السلفى فى معجمه عن مدى الشهرة الواسعة والتأثيرات البالغة لمدرسته فى العصر الفاطمى ليس فى مصر وحدها بل تعدى ذلك إلى غيرها من الأقطار الإسلامية الأخرى^(٦).

(١) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج١، ص ١٠٢- السبكى، طبقات الشافعية، ج٦، ص ٣٧.

(٢) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج١، ص ١٠٥- ابن كثير، البداية والنهاية، ج١١، ص ٢٢.

(٣) أحمد أحمد بدوى (الحياة العقلية فى عصر الحروب الصليبية بمصر والشام) دار النهضة المصرية للطبع والنشر- القاهرة ١٩٧٢م، ص ٥٤، ٥٥ - محمد عبد الرحيم غنيم، المرجع السابق، ص ٨٣.

(٤) جمال الدين الشيال، أعلام الاسكندرية، ص ١٤٢، ١٤٣.

(٥) سعاد ماهر، مساجد مصر، ج٢، ص ١٦١.

(٦) السلفى (أحمد بن محمد) معجم السفر، مخطوط بدار الكتب المصرية، تاريخ ٤٣٩٣٢ ورقة رقم ٨٠، ومابعدها.

الفصل الأول

وقد ظلت أهمية السلفيون مدرسته فى تزايد مستمر حتى قيام الدولة الأيوبية، والتي زادت من قدر هذا الفقيه ومدرسته فمن ذلك ما تحدثنا به الروايات التاريخية من أنه لما كانت السنة (٥٧٢هـ-١١٧٦م) ركب الناصر إلى الإسكندرية فأسمع ولديه الأفضل على، والعزیز عثمان على الحافظ السلفى، وتردد بها إليه ثلاثة أيام الخميس والجمعة والسبت رابع رمضان^(١)، ومن جهة أخرى فقد كان السلفى مرجع الفتوى لدى الأيوبيين^(٢).

وآخر ما يمكن أن يقال عن تلك المدرسة أنها قد استمرت فى أداء رسالتها طوال العصر الأيوبي فمن ذلك ما حكى عن ابن البورى المتوفى سنة (٥٩٩هـ-١٢٠٢م) من أنه لما انتقل إلى الإسكندرية تلقى دروسه بالمدرسة السلفية^(٣)، وكذا ما حكى عن مظفر بن عبد الله بن على بن الحسين المعروف بالمقترح. وهو المتوفى سنة (٦١٢هـ-١٢١٥م) من أنه ولى التدريس بالمدرسة السلفية مدة^(٤)، وما حكى

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١١، ص ٥٧٢-الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٢١، ص ٢٤.

(٢) السبكي، طبقات، ج ٦، ص ٤٢.

(٣) المنذرى^١ (زكى الدين أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوى ت ٦٥٦هـ-١٢٥٨م)، التكملة لوقيات النقلة، تحقيق بشار عواد معروف. مؤسسة الرساله. بيروت، ط ٤، ١٩٨٨م، ج ١، ص ٥ - السيوطى، حسن المحاضر، ج ١، ص ٤٠٨- السبكي، طبقات، ج ٦، ص ٣٢٨.

(٤) السبكي، طبقات، ج ٨، ص ٢١٤ - المنذرى، التكملة، ج ٢، ص ٣٤٣- ابن الفرات (ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم) تاريخ الدول والملوك تحقيق حسن محمد الشحات، البصرة، ١٩٧٠م، المجلد الخامس، ج ١، ص ١٨٤، ١٨٥.

- ابن كثير- طبقات فقهاء الشافعية- تحقيق أحمد عمر هاشم، ومحمد زينهم، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م، ص ٣٠٧.

الفصل الأول

أيضا عن عبد البارى بن عبد الرحمن الصعيدي المتوفى بعد سنة (٦٥٠هـ- ١٢٥٢م) من أنه ولي مشيخة الإقراء بالمدرسة الحافظية السلفية^(١) وكذلك ما حكى عن ابنه عبد الكريم بن عبد البارى من أنه تولى مشيخة الإقراء بالمدرسة السلفية بعد أبيه^(٢).

(١) ابن الجذرى (شمس الدين أبى العز محمد بن محمد)، غاية النهاية فى طبقات القراء،

مكتبة المتنبى، القاهرة، ١٩٣٣م، ج ١، ص ٣٥٦.

(٢) ابن الجذرى، غاية النهاية، ج ١، ص ٤٠١.

الفصل الثانى

المدارس فى مصر فى العصر الايوبى -

الفصل الثانى

الفصل الثانى

المدارس فى مصر فى العصر الأيوبي

أولاً: المدارس التى خصصت لتدريس المذهب الشافعى

١ - المدرسة الناصرية الأولى:

كان من الطبيعى أن تتابع المصادر التاريخية خطوات صلاح الدين الأيوبي نحو الاعداد لإحياء المذهب السنى فى مصر كخطوة أخيرة للقضاء على الدولة الفاطمية، وذلك منذ بداية توليته لوزارة العاضد الفاطمى^(١).

وكان من أهم تلك الخطوات ما قام به سنة (٥٦٦هـ - ١١٧٠م)، من هدم سجناً كان يعرف بدار المعونه^(٢) بجوار جامع عمرو بن العاص وإنشاء مكانه مدرسة للفقهاء الشافعية^(٣)، قال المقرئى: «وكان هذا - أى بناء تلك المدرسة من أعظم منازل بالدولة - أى الدولة الفاطمية^(٤).

وقد تابع المؤرخون المراحل التاريخية التى مرت بها تلك المدرسة منذ نشأتها وحتى نهاية العصر الأيوبي، وأول ما يحكى عن ذلك أنها قد سميت منذ نشأتها بالمدرسة الناصرية نسبة للناصر صلاح الدين^(٥)، إلا أن سبط بن الجوزى قد

(١) الغينى (بدر الدين محمود)، عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان، مخطوط بدار الكتب المصرية، تاريخ ١٥٨٤، حوادث من سنة ٥٤١ هـ: ٥٧٨ هـ، ورقة رقم ٥٥٨.

(٢) أحد الدور الهامة بمصر وقد ذكر لنا المقرئى عنها أنها كانت داراً للشرطة ثم تحولت بعد السنة ٣٨١ هـ إلى سجن ثم حولها صلاح الدين بعد ذلك إلى مدرسة.

المقرئى، الخطط، ج ٢، ص ١٨٧.

(٣) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٧، ص ٢٠٧-١. ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج ٥، ص ٣٨٥ - أحمد عزت عثمان، التربية والمجتمع المصرى فى العصر الأيوبي، ص ٤٠٩ - محمد عبد الرحيم غنيمه، نشأة الجامعات الإسلامية الكبرى، ص ٨٤. أحمد فكرى، مساجد القاهرة ومدارسها، ج ٢، ص ٥٠ - حسن عبد الوهاب، تاريخ المساجد الأثرية فى القاهرة، ط ١، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، ١٩٤٦، ج ١، ص ١٢ وما بعدها.

(٤) المقرئى، نفسه، ج ٢، ص ٣٦٣.

(٥) المقرئى، نفسه، ج ٢، ص ٣٦٢.

الفصل الثانى

خالف ذلك رأى وأطلق عليها اسم المدرسة الصلاحية حيث يذكر فى حوادث السنة (٥٦٦هـ - ١١٧٠م) "أن صلاح الدين كان قد بنى فى هذه السنة المدرسة الصلاحية للشافعية وكان موضعها حبس المعونه"^(١) وذلك على الرغم من أننا لم نجد أحداً من المؤرخين قد أشار إلى المدرسة الصلاحية إلا على اعتبارها أنها مدرسة أخرى غير هذه المدرسة، وهى المدرسة التى أمر ببناءها السلطان صلاح الدين فى السنة (٥٧٢هـ - ١١٧٦م) بجوار القبر الشافعى، ومن العجب أن هذه المدرسة أيضاً قد أطلق عليها اسم المدرسة الناصرية.^(٢)

وواقع الأمر أن هاتين المدرستين لم تكن لتعيننا المصادر التاريخية على إثبات اسميهما وقت بنائهما وحتى ابن خلكان الذى تعرض لذلك الموضوع لم يكن ليفصح عن ذلك بل زاد الأمر غموضاً بقوله عن صلاح الدين، "ولقد فكرت فى نفسى فى أمور هذا الرجل وقلت أنه سعيد بالدنيا والآخرة فإنه فعل فى الدنيا هذه الأفعال المشهورة من الفتوحات الكثيرة وغيرها، ورتب هذه الأوقاف العظيمة وليس شيئاً منسوباً إليه فى الظاهر فإن المدرسة التى بالقرافة - أى الناصرية الثانية - مايسمونها الناس إلا بالشافعى والتى بمصر - أى الناصرية الأولى - لايقولون إلا مدرسة ابن زين التجار"^(٣).

وإبن زين التجار المذكور فى رواية ابن خلكان، هو أبو العباس أحمد بن المظفر / بن الحسينى الدمشقى، وهو أول من قام بالتدريس فى المدرسة الناصرية الأولى

(١) سبط بن الجوزى، مرآة الزمان، ج٨، القسم الأول، ص ٢٨٣ .

(٢) السبكى، طبقات الشافعية الكبرى، ج٦، ص ٢٤ - المقرئى، الخطط، ج٢، ص ٤٠٠ - عبد الرحمن ذكى، نشأة القاهرة، وامتدادها فى أيام الأيوبيين، المجلة التاريخية المصرية، مطابع سجل العرب، القاهرة، سنة ١٩٧١م، ج ١٨ ص ١٥٨ .

(٣) إبن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٧، ص ٢٠٧. ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج ٦،

الفصل الثانى

وقد طالت مدة إقامته بها إلى حين وفاته سنة (٥٩١هـ - ١١١٥م)، حتى عرفت باسمه مدة^(١)، وذلك على الرغم من أنها قد اشتهرت بمسميات أخرى بعد ابن زين التجار إلا أنها قد احتفظت بتسميتها بإبن زين التجار حتى القرن الثامن الهجرى / الرابع عشر الميلادى^(٢).

وقد تلى ابن زين التجار فى التدريس فى هذه المدرسة جماعة منهم أبو عبد الله محمد بن هبة الله بن مكى الحموى المتوفى سنة (٥٩٩هـ - ١٢٠٢م)^(٣)، وابن قطيطة الوزان^(٤) ومن بعدهم كمال الدين أحمد بن شيخ الشيوخ^(٥)، وكمال الدين

(١) ابن دقماق (صارم الدين إبراهيم) الانتصار بواسطة عقد الأمصار، بولاق القاهرة، د. ت ج٤، ص ٩٣.

- المقرئى، الخطط، ج ٢، ص ٣٦٣.

- المنذرى، التكملة، ج ١، ص ٢٣٢ - السيوطى - حسن المحاضرة، ج ١ ص ٤٠٧.

(٢) النويرى، نهاية الأرب، ج ٢٨، ص ٣٦٣.

- القلقشندى، صبح الأعشى، ج ٣، ص ٣٩١.

(٣) المنذرى، التكملة لوفيات النقلة، ج ١، ص ٤٥٨.

(٤) ابن دقماق، الانتصار بواسطة عقد الأمصار، ج ٤، ص ٩٣ - المقرئى، الخطط، ج ٢، ص ٣٦٢.

لم يعثر الباحث على ترجمة لابن قطيطة الوزان هذا والظاهر إن ابن دقماق والمقرئى قد أخطأ فى نقل إسمه والذي اعتقد أنه (أبو الخير بن إسماعيل بن على الوارنى) وهو المعروف بأمين الدين التبريزى وكان مولده سنة (٥٥٨هـ - ١١٦٣م) ببغداد قدم إلى مصر وقيل أنه تولى التدريس فى هذه المدرسة ثم سافر إلى العراق ومن العراق إلى شيراز ومات بها سنة (٦٢١هـ - ١٢٢٤م).

- السبكى، طبقات الشافعية الكبرى، ج ٨، ص ٢٧٣، ٢٧٤ - السيوطى، حسن المحاضرة، ج ١، ص ٤١٠.

(٥) ابن دقماق، الانتصار، ج ٤، ص ٩٣ - المقرئى، الخطط، ج ٢، ص ٣٦٢.

الفصل الثانى

أحمد هذا، هو أبو العباس أحمد بن محمد بن عمر بن حموية الجوينى المتوفى سنة (٦٤٠هـ-١٢٤٢م)^(١)، والظاهر أن أباه كان قد سبقه في الجلوس لوظيفة التدريس فى هذه المدرسة^(٢).

وتلى كمال الدين فى التدريس بالناصرية الأولى القاضى شمس الدين الأرموى^(٣)، وهو الشريف القاضى شمس الدين أبو عبد الله محمد ابن الحسين بن محمد الحنفى قاضى العسكر الأرموى وعرفت به وقيل لها المدرسة الشريفة من عهده إلى أيام المقرئى^(٤)، ويبدو أن القاضى شمس الدين هذا كان قد تفقه بنفس المدرسة حيث يذكر الإسنوى أنه - أى الشريف - قد تفقه على شيخ الشيوخ صدر الدين بن حموية والد كمال الدين، وكانت وفاته فى سنة (٦٥٠هـ-١٢٥٢م) وقد جاوز السبعين^(٥).

وقد استمرت تلك المدرسة فى أداء مهمتها التعليمية إلى أيام المقرئى كما ذكرنا ولم نعلم عنها بعد ذلك أى شئ ومحلها اليوم أرض فضاء فى الجنوب الشرقى من جامع عمرو بمصر القديمة.^(٦)

(١) المنذرى، التكملة لوفيات التفلة، ج٣، ص ٥٩٨ .

(٢) المقرئى (تقى الدين أحمد بن على ت ٨٤٥هـ-١٤٤٢م) المقفى الكبير، تحقيق محمد البعلاوى - دار الغرب الإسلامى - القاهرة، ١٩٩٣، ج ١٦ ص ٤٢٠، ٤٢١ .

(٣) ابن دقماق، الانتصار، ج ٤، ص ٩٣. ابن واصل، تاريخ الراصلين، الجزء الثانى ورقة رقم (٣١٣) .

(٤) المقرئى، الخطط، ج ٢، ص ٣٦٤ .

(٥) الإسنوى، طبقات الشافعية، ج ٢، ص ٣٩، السيوطى، حسن المحاضرة ج ١، ص ٤٦٣- يبدو أن الإسنوى قد وقع فى خلط بعد ذلك بين الشريف شمس الدين المذكور والشريف عماد الدين العباسى إذ ذكر أن عماد الدين قد درس بالمدرسة الناصرية المجاورة للجامع العتيق مدة حتى اشتهرت به المدرسة وعرفت به بين العامة .

- الإسنوى، طبقات الشافعية، ج ٢، ص ١٠١ .

(٦) أحمد أحمد بدوى، الحياة العقلية فى عصر الحروب الصليبية، ص ٤٣ .

الفصل الثانى

٢ - المدرسة القطبية:-

ذكر ابن عبد الظاهر فى خطه "أن الذى بناها - أى المدرسة القطبية - الأمير قطب الدين خسرو بن بلبل بن شجاع الهدباني^(١) فى سنة (٥٧٠هـ-١١٧٤م) وهى قريبة من البندقانيين"^(٢)، وقد حدد المقرئى موقع تلك المدرسة فى درب الحريرى^(٣) وهذه المدرسة من مدارس الفقهاء الشافعية كما حدد المقرئى^(٤).
وأما عن مدرسى هذه المدرسة فقد ذكر المنذرى منهم الفقيه الإمام أبا الفتح نصر بن محمد بن مقلد القضاعى الشذرى الشافعى المتوفى سنة (٥٩٨هـ-١٢٠١م)، وقال "أنه حدث وناب بالمدرسة القطبية"^(٥) كما ذكر المنذرى عن عبد المجيد بن محمد بن يحيى الاسكندراني المتوفى سنة (٦٢٨هـ-١٢٢٩م) من "أنه سكن القاهرة وسمع بها دروس بالمدرسة القطبية"^(٦)، كما ذكر أيضاً عن أبى محمد عبد القادر بن محمد بن الحسن البغدادى الذى رحل من الشام إلى القاهرة وتفقه على الشهاب الطوسى "أنه تولى التدريس بالمدرسة القطبية إلى حين وفاته سنة (٦٣٤هـ-١٢٣٦م)"^(٧).

(١) هو أحد الأمراء المتنافسين على وزارة العاضد بعد وفاة شيركوه .

- ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج ٢٦، ص ١٦ .

(٢) ابن عبد الظاهر (محيى الدين) الروضة البهية الزاهرة فى الخطط المعزية القاهرة، تحقيق/

أمين فؤاد سيد، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، د. ت، ص ٩٠ .

(٣) المقرئى، الخطط، ج ٢، ص ٤٢، ٣٦٥ .

(٤) المقرئى، نفسه، ج ٢، ص ٤٢، ٣٦٥ .

(٥) المنذرى، التكملة لوفيات النقلة، ج ١، ص ٤٤٠ .

(٦) المنذرى، نفسه، ج ٣، ص ٢٩٠، ٢٩١ .

(٧) المنذرى، نفسه، ج ٣، ص ٤٥٥. السبكى، طبقات الشافعية الكبرى، ج ٨، ص ١٢٤.

الفصل الثانى

وهذه المدرسة درست وبالبحث وجد أن محلها اليوم دار وقف التلاوى رقم ١٠ بحارة المملطى (درب الحريرى سابقاً المتفرعة من سكة اللبودية بالحماوى) (١).

٣ - مدرسة بن الأرسوفى:-

قال المقرئى "هذه المدرسة كانت بالبذارين التى تجاور خط النخالين بمصر عرفت بابن الأرسوفى التاجر العسقلانى، وكان بناؤها فى سنة (٥٧٠هـ - ١١٧٤م) وابن الأرسوفى هو عفيف الدين أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله بن هبة الله الأرسوفى الشافعى المتوفى سنة (٥٩٣هـ - ١١٩٧م) (٢)، وقال عنها ابن دقماق "أنها من مدارس الفقهاء الشافعية" (٣).

(١) ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج ٦، ص ١٦.

هذه المدرسة غير المدرسة القطبية التى ذكرها المقرئى فى ص ٣٦٨ من الجزء الثانى من المخطط وهى المنسوبة إلى الأفضل قطب الدين شقيق عصمة الدين مؤنسة خاتون بنت العادل الأيوبرى وهى التى أوقفها على الفقهاء الشافعية والحنفية وكان موضعها وقت إنشائها بحارة زويلة بركة كوكاى، وقد حدد المقرئى تاريخ وقفها سنة ٦٠٥هـ - فى ص ٣٩١ من الجزء الثانى من المخطط وهذا غير صحيح حيث يذكر المقرئى نفسه أن مولدها (أى عصمة الدين) كان فى سنة ٦٠٣هـ ووفاتها فى سنة ٦٩٣هـ وأنها هى التى أوصت ببناء تلك المدرسة فكيف يتفق ذلك مع السنة ٦٠٥هـ وواقع الأمر أن تاريخ هذه المدرسة مجهول وترجع الدراسة أنها قد أنشئت فى العصر المملوكى أى بعد السنة ٦٤٨هـ.

(٢) المقرئى، المخطط، ج ٢، ص ٣٩٤.

- RagibYusuf, sur Deux Monuments funeraires du Cimetiere DAL-Qarafa Al- Kubra Au Cairo, Annales- Islamologiques, Institut francais D'archeologie orientale Du Cairo, Tome XII 1974., P. 81.

(٣) ابن دقماق، الإلتصار، ج ٤، ص ٩٨.

الفصل الثانى

٤ - المدرسة النقيوية :

ومن أشهر المدارس الشافعية التى أسست بمصر فى العصر الأيوبي المدرسة النقيوية نسبة إلى واقفها تقى الدين عمر بن شاهنشاه وهو ابن أخى صلاح الدين الأيوبي^(١).

وأول ما يلاحظ عن تلك المدرسة هو أن تاريخ إنشائها غير واضح، وأكثر الذين نقلوا خبر إنشاء تلك المدرسة فى كتاباتهم قد أقرروا بما لا يحتمل الشك أن تقى الدين عمر كانت أول إقامته بمصر فى منازل العز^(٢) بالقرب من باب القنطرة قبلى الفسطاط^(٣)، فلما كانت سنة (٥٦٦هـ - ١١٧٠م) إشتري تقى الدين منازل العز وبناها مدرسة للفقهاء الشافعية^(٤)، وهذا التاريخ لا يتفق مع ما أورده المقرئى من "أن تقى الدين عمر كان قد نزل بمنازل العز بعد زوال الدولة الفاطمية"^(٥) والمعروف أن زوال الدولة الفاطمية يتفق والسنة (٥٦٧هـ - ١١٧١م)^(٦) ويضاف إلى ذلك

(١) وهو تقى الدين أبو سعيد عمر بن شاهنشاه كان صلاح الدين قد ولاه فى العديد من المناصب والتى كان من أهمها ولايته لحماة وهى التى فيها قبره. توفى سنة ٥٨٧هـ.

المقرئى، الخطط، ج ٢، ص ٣٦٤.

(٢) منازل العز من دور الخلفاء الفاطميين بنتها أم الخليفة العزيز بالله بن المعز وعرفت بمنازل العز وكانت تشرف على النيل وصارت معدة لنزهة الخلفاء .

المقرئى، نفسه، ج ٢، ص ٣٦٤.

(٣) القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٣، ص ٣٩١ .

(٤) ابن الأثير، الكامل، ج ١١، ص ٣٦٦، سبط ابن الجوزى، مرآة الجنان، ج ٨، القسم الأول ص ٢٨٣، ٢٨٤ - ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج ٥، ص ٣٨٦. النويرى، نهاية الأرب ج ٢٨، ص ٣٦٣. ابن الوردى (زين الدين عمر بن الوردى ت (٧٥٠هـ - ١٣٤٩م)، تاريخ بن الوردى، مطبعة جمعية المعارف - القاهرة - (١٢٨٥هـ - ١٨٦٨م)، ج ٢، ص ٧٩ .

(٥) المقرئى، نفسه، ج ٢، ص ٣٦٤.

(٦) أبو شامه، الروضتين، ج ١، ص ١٩١ - ابن واصل تاريخ الواصلين ورقة رقم (٣١)

Creswell K. A. C. The muslim architecture of, Egypt, exford univarsity Press, London, 1959. P. 130.

الفصل الثانى

ما ذكره المقرئى من "أنه - أى تقى الدين- كان قد أقام بها - أى منازل العز - مدة قبل عزمه على شرائها وتحويلها مدرسة" (١)، وكذلك لا يتفق هذا التاريخ سنة (٥٦٦هـ - ١١٧٠م) مع ما ذكره ابن دقماق من "أنه لما استقر ملك السلطان الملك الناصر صلاح الدين بمصر، ومات العاضد سير السلطان فى طلب والده وإخوته وأولاده من الشام وخال السلطان الملك العادل نور الدين محمود بن زنكى حتى مكنهم من التوجه فلما حضروا وأنزل ابن أخيه الملك المظفر تقى الدين عمر هذه المنظره - أى منازل العز- فلما استقر فيها اشتراها جميعها فلما قصد الملك الناصر التوجه إلى البلاد الشامية استناب عنه فى الديار المصرية ابن أخيه الملك تقى الدين عمر فلما جرى له ماجرى من قتله لعمارة اليمنى (٢) أوقف هذه الدار وماحولها مدرسة للشافعية ثم سافر لعمه الملك الناصر فملكه حماة" (٣).

ومعنى ذلك أن المدرسة التقوية فى رواية ابن دقماق قد أنشئت بعد موت العاضد سنة (٥٦٧هـ - ١١٧١م)، وخروج صلاح الدين إلى البلاد الشامية (سنة

(١) : المقرئى، الخطط، ج ٢، ص ٣٦٤ .

(٢) هو الفقيه أبو محمد عمارة بن أبى الحسن بن زيد بن أحمد الحاكمى اليمنى الملقب بنجم الدين، الشاعر المشهور يبنى الأصل والمولد والنشأة. وكان إنتقاله إلى مصر فى حدود سنة ٥٥١ هـ. وكان عمارة قد إتصل بكبار الدولة الفاطمية الذين أحسنوا إليه وقدموه على الرغم من مخالفتهم له فى المذهب فلما زالت الدولة الفاطمية سنة ٥٦٧ هـ قل حاله وكان ذلك سبباً فى إشتراكه فى مؤامرة مع العلويين فى محاولة فاشلة لإعادة الدولة الفاطمية أودت بقتله من بين ماقتل من أفراد المؤامرة سنة ٥٦٩ هـ .

- ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٣، ص ٤٣٢ وما بعدها .

(٣) ابن دقماق، الانتصار، ج ٤، ص ٩٣، ٩٤ .

الفصل الثانى

(٥٧٠هـ - ١١٧٤م) وقبل سفر تقى الدين إلى حمّاه وقلّكه إياها سنة (٥٧١هـ - ١١٧٥م)^(١)، وهو الأمر الذى دعى أحد الباحثين إلى اعتبار أن المدرسة التقوية قد أنشئت قبل السنه (٥٧١هـ - ١١٧٥م) دون تحديد تاريخ بعينه لإنشاء هذه المدرسة^(٢) أما غير المقرئى وابن دقماق فإننا نجد من المؤرخين من يذكر أن تقى الدين عمر كان قد بنى مدرسة منازل العز لشهاب الدين أبى الفتح محمد ابن محمود الطوسى الشافعى^(٣)، والمعروف أن الشهاب الطوسى كان قد نزل مصر أول منازل فى سنة (٥٧٩هـ - ١١٨٣م) على حد رواية أحد معاصريه، وهو المنذرى^(٤)، ومعنى ذلك أن منازل العز قد أنشئت فى حدود السنة (٥٧٩هـ - ١١٨٣م) على حد ما اعتمد فى ذلك أحمد فكرى^(٥) وهو اعتماداً بعينداً كل البعد عن الآراء السابقة ولو كان ذلك صحيحاً لكان أولى بذكره المنذرى الذى اكتف بقوله عن الشهاب الطوسى من أنه "قدم مصر من مكة شرفها الله تعالى سنة

(١) ابن شداد، سيرة صلاح الدين، ص ٣٥، وما بعدها :

(٢) عبد الرحيم غنيمه، تاريخ الجامعات الإسلامية، ص ٨٨ .

(٣) الإسنى، طبقات الشافعية، ج ٢، ص ٧٠. النعيمى (عبد القادر محمد الدمشقى ت ٩٢٧

هـ - ١٥٢٠م)، الدارس فى تاريخ المدارس، تحقيق جعفر الحسينى - مكتبة الشقافة الدينية القاهرة، ١٩٨٨م، ج ١، ص ٢١٦.

(٤) المنذرى، التكملة لوفيات النقلة، ج ١، ص ٣٦٥ - الذهبى، سير أعلام النبلاء، ج ٢١، ص ٣٨٧ .

(٥) أحمد فكرى، مساجد القاهرة، ومدارسها، ج ٢ ص ٥٢ .

الفصل الثانى

(٥٧٩هـ-١١٨٣م) ونزل خانقاه سعيد السعداء^(١) بالقاهرة وتردد إليه فيها الفقهاء والطلبة ثم ولى التدريس بالمدرسة المعروفة بمنازل العز^(٢).

وواقع الأمر أن تاريخ إنشاء المدرسة التقوية غامض ويحتاج إلى تحديد وليس فى الإمكان إلا الميل للرأى السابق بأنها قد أنشأت قبل السنة (٥٧١هـ-١١٧٥م).

وأما عن أهم من قام بالتدريس بهذه المدرسة فهو الشهاب الطوسى (٥٢٢هـ: ١١٢٨م - ٥٩٦هـ: ١١٩٩م) المذكور آنفاً وكان للشهاب هذا معيدون بالمدرسة التقوية فمن ذلك ما ذكره أبو شامه عن الشيخ بهاء الدين على بن هبة الله من أنه كان أول من تولى مهمة الإعادة بالمدرسة التقوية للشهاب^(٣)، وكذلك ما ذكره المنذرى عن الفقيه الإمام أبى القاسم عبد الرحمن بن محمد بن اسماعيل القرشى

(١) بناها صلاح الدين سنة ٥٦٩هـ ورتب للصوفية فى كل يوم طعاماً ولحماً وخبزاً وبنى لهم حماماً بجوارهم فكانت أول خانقاه عملت بديار مصر وعرفت بدويره الصوفيه ونعت مشيختها بشيخ الشيوخ واستمر ذلك بعده وولى مشيختها الأكابر والأعيان كأولاد شيخ الشيوخ بن حمويه مع ما كان لهم من الوزارة والإمارة وتدير الدولة وقياده الجيوش وتقدمة العساكر .

- المقرئى، الخطط، ج ٢، ص ٤١٥ .

(٢) المنذرى، التكملة لوفيات النقلة، ج ١، ص ٣٦٥ - .

المعروف أن عوده تقى الدين عمر إلى مصر تتفق والسنة (٥٧٩هـ-١١٨٣م) أيضاً وربما أنه قد رتب فى هذه العوده الشهاب الطوسى - بمدرسته .

المقرئى، الخطط، ج ٢، ص ٣٦٤ .

(٣) أبو شامه (عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسى. ت ٦٦٥هـ ١٢١٧م)، تراجم رجال القرنين السادس والسابع الهجريين، تصحيح محمد زاهد بن الحسن الكوثرى، وراجع أصله السيد عزت العطار الحسينى، دار الجيل، ط ١، بيروت، ١٩٤٧م، ص ١٨٧ .

الفصل الثانى

الشافعى المتوفى سنة ٦١٦هـ، من أنه "تفقه على الإمام أبى الفتح محمد بن محمود الطوسى المنعوت بالشهاب وانقطع إليه مدة وتخرج به وكان أحد المعيدى له بالمدرسة المعروفة بمنازل العز"^(١) ثم تلا الشهاب الطوسى فى المجلس للتدريس بالمدرسة التقوية جماعة منهم قاضى القضاة عماد الدين بن السكرى^(٢)، وهو أبو القاسم عبد الرحمن الطوسى بن عبد العلى السكرى^(٣)، ومولده بمصر سنة (٥٣٣هـ-١١٣٨م) تفقه على مذهب الإمام الشافعى رضى الله عنه على الفقيه أبى الفتح محمد بن محمود الطوسى المنعوت بالشهاب وولى قضاء القضاة بالديار المصرية والخطابة بالقاهرة وولى التدريس بمنازل العز بمصر إلى حين وفاته فى سنة (٦٢٤هـ-١٢٢٧م)^(٤)، وكان بداية جلوسه- أى عماد الدين- لمهمة التدريس بهذه المدرسة فيما بين سنتى (٦٠٥هـ: ٦١٣هـ-١٢٠٨م: ١٢١٦م) طبقاً لرواية الفيومى^(٥)، وقد تولى الإعادة لأبى القاسم هذا بمنازل العز طبقاً لرواية المنذرى أبو الطاهر اسماعيل بن طاهر بن حسن الحسينى الشافعى المعروف بابن الماوردى المتوفى سنة (٦٢٩هـ-١٢٣١م)^(٦)، وقد قام بالتدريس

(١) المنذرى، التكملة لوفيات النقلة، ج٢، ص٤٦٧. السبكى، طبقات الشافعية الكبرى، ج٨، ص١٨٤.

(٢) ابن دقماق، الانتصار، ج٤، ص٩٤.

(٣) المقرئى، الخطط، ج٢، ص٣٦٤.

(٤) المنذرى، التكملة لوفيات النقلة، ج٢، ص١٦٥- النويرى، نهاية الإرب، ج٢٩، ص١٤٢.

(٥) الفيومى، (أحمد بن محمد بن على الحموى أبو العباس. ت بعد ٥٧٠هـ-١٣٦٨م) نشر الجمان فى تراجم الأعيان، مخطوط بدار الكتب المصرية تاريخ ١٧٤٦، ورقة رقم (١١).

(٦) المنذرى، التكملة لوفيات النقلة، ج٢، ص٣٦٥.

الفصل الثانى

بالمدرسة التقوية بعد قاضى القضاة أبو القاسم عبد الرحمن ابن لسه يدعى شرف الدين محمد بن عبد الرحمن^(١) وكان على طريقة والده فى السكون والوقار والمعاملة الجميلة^(٢)، وقد استمر الحال على ذلك - أى توالى أولاد السكرى على التدريس بهذه المدرسة إلى أيام الملك الصالح نجم الدين أيوب فتولاها قاضى القضاة بدر الدين أبى المحاسن السنجارى ثم رجع تدريسها إلى أولاد السكرى، وهى معهم إلى أيام ابن دقماق^(٣).

أما أشهر تلاميذ هذه المدرسة فى العصر الأيوبى فهو الشيخ الفقيه صالح بن صارم الأنصارى، وكذا الحافظ المنذرى حيث ذكر أنه قد استمع مع صالح هذا فى منازل العز المدرسة المشهورة بمصر^(٤).

وقد بقيت تلك المدرسة عامرة بالعلم والعلماء إلى زمان المقرئى^(٥) ومحلها اليوم مجموعة المباني التى تحد من الغرب بشارع مصر القديمة ومن الجنوب مدخل شارع المرحومى وحارة الشراقة، وعطفة زاهر ومن الشرق جنينه الجعجعى وعطفة الإسرى ومن الشمال شارع القبوة وأما المدرسة التقوية فتعرف اليوم باسم جامع شهاب الدين أحمد المرحومى الذى يتوسط هذه المنطقة بشارع المرحومى بمصر القديمة^(٦).

(١) ذكر ذلك بن دقماق ولكنه لقبه (بفخر الدين) لاشرف الدين .

- ابن دقماق، الانتصار، ج ٤، ص ٩٤ .

(٢) المقرئى، المقفى الكبير، ج ٦، ص ٣٥ المنذرى، التكملة لوفيات التقله، ج ٣، ص ٣١٩ .

(٣) ابن دقماق، الانتصار، ج ٤، ص ٩٤ .

(٤) المنذرى، التكملة لوفيات النقلة، ج ٣، ص ٣١٩ .

(٥) المقرئى، الخطط، ج ٢، ص ٣٦٤ .

(٦) ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج ٥، ص ٣٨٦ .

الفصل الثانى

٥- المدرسة الناصرية الثانية :

ذكر المؤرخون فى حوادث سنة (٥٧٢هـ-١١٧٦م)^(١) أن الملك الناصر صلاح الدين قد أمر ببناء تلك المدرسة بجوار تربه الإمام الشافعى^(٢)، ويتضح من خلال ما حكاه ابن جبير عن تلك المدرسة أثناء مشاهداته التى عاينها بمصر وذلك فى أواخر سنة (٥٧٨هـ-١١٨٢م) أن البناء بهذه المدرسة كان لا يزال متصلاً إلى هذه السنة^(٣) وقد استمرت تلك المدرسة طوال العصر الأيوبى من أعظم مدارس مصر^(٤) وقد وصفها السيوطى بقوله: "وينبغى أن يقال لها تاج المدارس وهى أعظم مدارس الدنيا على الإطلاق لشرفها بجوار الإمام الشافعى ولأن بانيها أعظم الملوك وليس

(١) إتفقت كل المصادر التاريخية على ذلك التاريخ الذى بنيت فيه تلك المدرسة إلا أن ابن الطولونى قد أثبت ذلك خطأ فى حوادث سنة ٥٦٩ هـ .

- ابن الطولونى (حسين بن حسن ٨٣٢هـ: ٩٠٩هـ- ١٤٢٨م: ١٥٠٣م) النزهة السنية فى أخبار الخلفاء والملوك المصرية مخطوطه بدار الكتب المصرية تاريخ ٢٢٥٣، ورقة رقم ١٩.
(٢) ابن الأثير، الكامل، ج ١١، ص ٤٤٠- سبط ابن الجوزى، مرآة الزمان، ج ٨، القسم الأول، ص ٣٣٩. النويرى، نهاية الأرب، ج ٢٨، ص ٣٦٤. البندارى (الفتح بن على البندارى ت ٦٤٢هـ-١٢٤٤م)، سنا البرق الشامى، تحقيق فتحية النبراوى - مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٧٩م، ص ٢٠.

R. L. Deurshire, 1' Egypte Musulmane Maisonne Uvefrere
Paris 1926. P. 52 .

(٣) ابن جبير أبو الحسن محمد بن أحمد الكفافى ت ٦١٤هـ ١٢١٧م) (رحلة ابن جبير) دار مكتب الهلال بيروت ١٩٨١م ص ٥٠.

lane- Poole, A history of Egypt in the middle Ages, methuen and co
london, 1901/. p 204.

(٤) ابن سعيد المغزبى (على بن موسى) النجوم الزاهرة فى حلى حضره القاهرة تحقيق حسين نصار، مطبعة دار الكتب، القاهرة، ١٩٧٠، ص ١٠.

الفصل الثانى

فى ملوك الإسلام مثله لاقبله ولابعده بناها السلطان صلاح الدين بن أيوب رحمه الله تعالى سنة إثنين وسبعين وخمسائة^(١)، ومن الطبيعى أن تكون تلك المدرسة وقفاً على فقهاء المذهب الشافعى^(٢).

وقد رتب فى هذه المدرسة جماعة من أجل شيوخ المذهب كان أولهم الفقيه نجم الدين أبو البركات محمد بن موفق بن سعيد الخبوشانى الشافعى الصوفى وهو الذى أنشئت المدرسة من أجله فكان ناظرها ومدرسها إلى أن مات فى سنة (٥٨٧هـ - ١١٩١م)^(٣) ثم تلا نجم الدين فى الجلوس بهذه المدرسة للتدريس جماعة من الفقهاء إلى أن تولاها صدر الدين بن حموية فى نهاية سنة (٥٨٨ هـ - ١١٩٢م)^(٤)، وقد تولى مهمة الإعادة بهذه المدرسة لصدر الدين بن حموية أبو إسحاق إبراهيم بن يعقوب المنعوت بالجمال المتوفى سنة (٦٣٩ هـ - ١٢٤١م)^(٥).

ومن الذين تولوا التدريس فى هذه المدرسة أبو الفتح القضاعى الشيرازى الملقب بالمرتضى المتوفى سنة (٥٩٨ هـ - ١٢٠١م)^(٦)، ومن الذين تولوا الإعادة فى

(١) السيوطى، حسن المحاضرة، ج ١ ص ٢٥٧ - سعيد اسماعيل على (معاهد التربية الإسلامية) ص ١٧٨ .

(٢) المقرئى، الخطط، ج ٢، ص ٤٠٠ .

(٣) العماد الكاتب الأصفهانى، الفتح القسى فى الفتح القدسى، مطبعة الموسوعات، القاهرة، سنة ١٣٢٣هـ، ص ٢٩٧ - الذهبى، سير أعلام النبلاء، ج ٢١، ص ٢٠٥.

(٤) العماد الأصفهانى الفتح القسى، ص ٢٩٧ - السبكى، طبقات الشافعية، ج ٦، ص ٢٥.

(٥) المنذرى، التكملة لوفيات النقلة، ج ٣، ص ٢٧١.

(٦) السبكى، طبقات الشافعية الكبرى، ج ٢٨، ص ٣٨٩ - ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات - مجلد أربعة، ج ٢، ص ٢٤٤ .

الفصل الثانى

هذه المدرسة السيف الأمدى وهو أبو الحسن على بن أبى على بن محمد المتوفى فى سنة (٦٣١هـ-١٢٣٣م) إذ تذكر لنا المصادر التاريخية إنه لما قدم إلى مصر تولى الإعادة بالمدرسة التى بجوار تربة الشافعى^(١)، ومنهم أيضاً القاسم بن على المنعوت بالشرف المتوفى سنة (٦٢٧هـ-١٢٣٠م) الذى قال عنه المنذرى أنه قد تولى مهمة الإعادة بهذه المدرسة^(٢) ومن أشهر تلاميذ تلك المدرسة فى العصر الأيوبي أبو الربيع سليمان بن أبى إسحاق إبراهيم، ومولده بإحدى قرى الغربية سنة (٥٩٦هـ-١٢٠١م)، قال فيه صاحب صلة التكملة "كان فقيهاً بالمدرسة المجاورة لضريح الإمام الشافعى رضى الله عنه بقرافة مصر وانقطع بها مدة"^(٣).

وقد ظلت هذه المدرسة موضع رعاية من سلاطين مصر من ناحية تجديدها وتوسيعها^(٤) وموضعها اليوم مسجد الإمام الشافعى رضى الله عنه^(٥).

(١) ابن أسعد اليافعى، مرآة الجنان، ج٤، ص٧٤. أبو الفدا (عماد الدين إسماعيل بن على

ت ٧٣٢هـ-١٣٣١م)، المختصر فى أخبار البشر. القاهرة، ١٣٣٥هـ، ج٣، ص١١٦٣.

العينى، عقد الجمان مخطوط بدار الكتب المصرية، تاريخ تيمور ٩١٩، ورقة رقم ١٦٣.

(٢) المنذرى، التكملة لوفيات النقلة، ج٣، ص٢٧١- العينى، عقد الجمان مخطوطه بدار

الكتب المصرية، حوادث سنة ٦٢١، ٦٣٥هـ، ورقة رقم ١٦٣.

(٣) مجهول، جزء من صلة التكملة، مخطوط بدار الكتب، تاريخ ٢٩٨، ورقه رقم ١٩٠.

(٤) مؤلف مجهول، إنسان العيون فى مشاهير سادس القرون، مخطوط بدار الكتب المصرية،

تاريخ تيمور ٩١٩ ورقة رقم ٩٥.

Saladin H. manuel D'Art musulman, paris. 1907 P. 113.

(٥)

الفصل الثانى

٦- مدرسة المشهد الحسينى:

وهى من جملة المدارس التى أنشأها صلاح الدين الأيوبي على حد قول ابن خلكان^(١)، وعلى الرغم من ذلك فإننا لم نجد أحداً من الذين اختصوا بخطط مصر وآثارها قد ذكر شيئاً عن هذه المدرسة، عدا ما ذكره لنا صاحب تحفة الأحاب الذى قال عنها "وأما المدرسة التى بجانبه - أى المشهد الحسينى - فإن السلطان صلاح الدين يوسف ابن أيوب لما ملك الديار المصرية جعل بها تدرساً، وأوقف لها وقفا فلما وزر معين الدين بن شيخ الشيوخ بن حموية، فوض إليه الأمر بالمشهد بعد إخوته فجمع أوقافه، وبنى بها إيواناً للتدريس وبيوتاً للفقهاء"^(٢).

وهذه المدرسة من جملة المدارس التى لم تعيننا المصادر التاريخية على ضبط تاريخ إنشائها ولا المذهب الذى خصصت من أجله، فقد انحصرت معلوماتنا عن تلك المدرسة فى اثنين من الذين تولوا مهمة التدريس بها، وهما شهاب الدين محمد ابن إبراهيم الحموى المعروف بابن الجاموس المتوفى سنة (٦١٥هـ-١٢١٨م)^(٣)، وشيخ الشيوخ صدر الدين محمد بن عمر بن حموية الجوينى المتوفى سنة (٦١٧هـ-١٢١٩م)^(٤)، ومن الذين تولوا إعادة هذه المدرسة أبو الطاهر إسماعيل ابن الطاهر بن الحسينى المعروف بابن الماوردى المتوفى سنة ٦٢٧هـ-١٢٢٩م^(٥)، وأبو

(١) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٧، ص٢٠٧. ابن تفرى بردى، النجوم الزاهرة، ج٦، ص٥٥.

(٢) السخاوى «أبو الحسن نور الدين» تحفة الأحاب، وبغية الطلاب فى الخطط والمزارات والتراجم والبقاع المباركات، مكتبة علوم، القاهرة (١٣٥٦هـ، ١٩٣٧م) ص٩٥.

(٣) السبكى، طبقات الشافعية الكبرى، ج٨، ص٤٥- السيوطى، حسن المحاضرة، ج١، ص٤١٠.

(٤) السبكى، طبقات الشافعية، الكبرى، ج٨، ص٩٦، ٩٧.

(٥) المنذرى، التكملة لوفيات النقلة، ج٣، ص٢٨٥، ٢٨٦.

الفصل الثانى

إسحاق إبراهيم بن يعقوب المنعوت بالجمال المتوفى سنة (٦٣٩هـ - ١٢٤١هـ)،
والذى ذكر عنه المنذرى أنه تولى الإعادة بالمشهد الحسينى^(١).

وبمراجعة تراجم هؤلاء المدرسين والمعيدى يمكن أن نرجح أن هذه المدرسة كانت
وقفاً على الفقهاء الشافعية، إذ كلهم كانوا على ذلك المذهب وبالطبع فإننا لم نعلم
عن تلك المدرسة بعد ذلك أى معلومات ويعتقد أحد الباحثين أن موضعها الآن
يشغله المسجد المعروف بالقاهرة بمسجد الإمام الحسين رضى الله عنه^(٢).

٧- المدارس الشافعية بالفيوم:

قال النابلسى "وبالفيوم خمسة مدارس ثلاثة منها شافعية"^(٣)، وبمراجعة
ماكتب عن صلاح الدين وجدنا ابن دقماق يشير إلى أنه - أى صلاح الدين - قد
بنى بالفيوم مدرسة للفقهاء الشافعية^(٤)، فهذه واحدة، وأما المدرسة الثانية فقد
ذكرت لنا المصادر التاريخية عن تقي الدين عمر بن أخى صلاح الدين من أنه بنى
بالفيوم مدرستين أحدهما للشافعية وذلك لما كانت الفيوم إقطاعاً لها^(٥).

ومن المحتمل أن هاتين المدرستين من بين المدارس الثلاثة التى أشار إليها
النابلسى، وليس لدينا بعد ذلك أى معلومات عن المدرسة الثالثة، والتى نعتقد أنها
المدرسة الحسامية الشافعية على حد ما وصفها النابلسى^(٦).

(١) المنذرى، التكملة لوفيات النقلة، ج٣، ص٥٧٨.

(٢) مصطفى عبد الله شيعه (الأثار الإسلامية فى مصر من الفتح العربى حتى نهاية العصر
الأيوبرى ص ١٨).

(٣) النابلسى (أبو عثمان) تاريخ الفيوم وبلاده، دار الجيل، بيروت، سنة ١٩٧٤م، ص ٢٩.

(٤) ابن دقماق، (صارم الدين إبراهيم بن محمد بن أيدمر ت ٨٠٩هـ - ١٤٠٦هـ). الجواهر
الشمين فى سير الملوك والسلطين، تحقيق محمد كمال الدين عز الدين على، عالم الكتب،
بيروت، ط ١ (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م) ج ٢، ص ١٨.

(٥) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٣، ص ٤٥٦ - بن الفرات، تاريخ بن الفرات مجلد ٤،
ج ٢، ص ٤٨.

(٦) النابلسى، تاريخ الفيوم، ص ١٧٧.

الفصل الثانى

٨- المدرسة السيفية :

قال المقرئى "هذه المدرسة بالقاهرة فيما بين خط البندفانيين وخط الملاحين، وموضعها من جملة دار الديباج"^(١)، وأما ابن عبد الظاهر فقد ذكر "أنها كانت داراً من المدرسة القطبية كان قد سكنها شيخ الشيوخ صدر الدين بن حمويه، ثم أن سيف الإسلام طغتكين بن أيوب^(٢) ت سنة (٥٩٣هـ-١١٩٧م)، أوقفها فى أيام وزارة صفى الدين بن شكر مدرسة وولى فيها عماد الدين ولد القاضى صدر بن درياس مدرساً بها^(٣). وقال اليونين وهو الأقرب "مدرسة سيف الإسلام طغتكين بن أيوب صاحب اليمن كانت داره لما كان بالقاهرة، ثم جعلها مدرسة وهى بخط البندقانيين بالقاهرة"^(٤).

(١) المقرئى، الخطط، ج٢، ص ٣٦٨ .

كانت قديماً داراً للوزارة وسكناً للوزراء على عهد الفاطميين، المقرئى نفسه ج١ ص ٤٦٤ .

(٢) هو سيف الإسلام الملك الوزير طغتكين بن أيوب بن شادى صاحب اليمن كان أخوه الملك الناصر صلاح الدين لما ملك الديار المصرية قد سير أخاه شمس الدولة إلى بلاد اليمن فدخلها واستولى على كثير من بلادها ثم رجع عنها فى سنة (٥٧٦هـ/١١٨١م) ثم سير السلطان صلاح الدين إليها بعد ذلك أخاه سيف الإسلام وذلك فى سنة (٥٧٧هـ-١١٨٢م) وكان رجلاً شجاعاً كريماً مشكور السيرة وحسن السياسة مقصوداً من البلاد الشاسعة لإحسانه وبره وكانت وفاته فى سنة ٥٩٣هـ / ١١٩٧م بالمنصورة مدينة أختطها باليمن وتولى بعده ولده الملك المعز فتح الدين إسماعيل .

- ابن أسعد اليافعى، مرآة الجنان، ج٣، ص ٤٧٥ .

(٣) ابن عبد الظاهر، الروضة البهية، ص ٩٠، المقرئى، الخطط، ج٢، ص ٣٦٨.

(٤) اليونينى (قطب الدين أبو الفتح موسى بن أحمد بن قطب الدين ت ٧٢٦هـ-١٣٢٤م)، زيل مرآة الزمان- دار الكتاب الإسلامى، القاهرة، (١٤١٣هـ-١٩٩٢م)، ج٤، ص ١٦٦.

الفصل الثانى

ومن الملاحظ أن هذه المدرسة ضمن المدارس التى لم يفصح المؤرخون عن تاريخ إنشائها ولا عن المذهب الذى خصصت من أجله، ولم يكن ماكتبوه عنها بأنها أنشئت فى أيام وزارة صفى الدين بن شكر صحيحاً لاسيما، إذا عرفنا أن وزارته - أى صفى الدين - كانت بعد سنة (٥٩٦هـ - ١١٩٩م) ^(١)، أى بعد استيلاء الملك العادل على ولاية مصر وذلك طبقاً لرواية المقرئى نفسه، والمعروف أن وفاة سيف الإسلام طغتكين كانت فى سنة (٥٩٣هـ - ١١٩٧م) ^(٢). فكيف يتفق ذلك .

أما عن المذهب الذى خصصت من أجله هذه المدرسة فمن المحتمل أنها كانت من مدارس الفقه الشافعى، ودليل ذلك فيما كتبه المؤرخون عن مدرسى تلك المدرسة، والذين كانوا جميعاً على المذهب الشافعى فمن ذلك ما ذكره المنذرى عن أبى الطاهر إسحاق بن عبد الملك بن عيسى بن درباس المارانى الشافعى المتوفى فى سنة (٦٠٠هـ - ١٢٠٣م) من "إنه درس بالمدرسة السيفية بالقاهرة" ^(٣)، وكذلك ما ذكره الإسنى والسبكى عن عماد الدين أبى عمرو عثمان الكردى المتوفى سنة (٦٢٠هـ - ١٢٢٣م) من "أنه لما قدم مصر درس بالمدرسة السيفية" ^(٤)، وما ذكره السيوطى عن على بن أحمد بن محمود بن الغزنوى توفى سنة (٦٣٣هـ - ١٢٣٥م) من "أنه درس بالمدرسة السيفية" ^(٥)، وما ذكره صاحب صلة التكملة عن أبى حامد

(١) المقرئى، الخطط، ج٢، ص ٣٧١ .

(٢) ابن أيبك الدويدارى (أبو بكر بن عبد الله) كنز الدرر وجامع الغرر تحقيق د/سعيد عبدالفتاح عاشور، القاهرة، ١٣٩١هـ، ١٩٧٢م ج٧، ص ١٣١ . - ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج٦، ص ١٤١ .

(٣) المنذرى، التكملة لوفيات النقلة، ج٢، ص ٣٨ .

(٤) الإسنى، طبقات الشافعية، ج٢، ص ١٨٦، السبكى، طبقات الشافعية الكبرى، ج٨، ص ٣٨٨ .

(٥) السيوطى، حسن المحاضرة، ج١، ص ٤٦٥ .

الفصل الثانى

محمد بن عبد الملك بن درباس ومولده بمصر سنة (٥٧٦هـ - ١٢٧٧م) من "أنه قد تولى التدريس بالمدرسة السيفية مدة"^(١)، وكذلك ما قيل عن بن سالم الكنانى المصرى من "أنه أعاد بالمدرسة السيفية وتوفى سنة (٦٣٤هـ - ١٢٣٦م)"^(٢)، وكذلك ما ذكره البونينى عن إدريس بن صالح المصرى إمام المدرسة السيفية من "أنه فى سنة (٦٣٧هـ - ١٢٣٩م) جلس بهذه المدرسة للسمع من القاضى شمس الدين أحمد بن خلكان"^(٣)، والمعروف أن ابن خلكان كان من الشافعية.

١- مدرسة أسوان :

وهى من المدارس التى استدل على وجودها فى العصر الأيوبي من خلال ما ترجم من حياة القاضى أبى الطاهر إسماعيل بن محمد بن حسان الأسوانى الأنصارى الشافعى، وهو المتوفى سنة (٥٩٩هـ - ١٢٠٢م) إذ ذكر لنا الأذفوى "أنه كان - أى أبو الطاهر - حاكماً بأسوان ومدرساً بمدرستها"^(٤)، وبالطبع فإننا نميل إلى اعتبار تلك المدرسة من مدارس الفقهاء الشافعية نظراً إلى ما كان عليه مدرستها من المذهب الشافعى.

(١) مجهول، جزء من صلة التكملة، تاريخ ٢٩٨، ورقة رقم ٢٠٦ .

(٢) الإسنى، طبقات الشافعية، ج ٢، ص ١٨٧ - السبكى، طبقات الشافعية الكبرى ج ٨، ص ٣٨٨ .

(٣) اليونينى - ذيل مرآة الزمان، ج ٤، ص ١٦٦ .

(٤) الأذفوى، الطالع السعيد، ص ١٦٦ - السيوطى، حسن المحاضرة ج ١، ص ٤٠٨ .

الفصل الثانى

١٠ - المدرسة الهكارية :

ذكر هذه المدرسة السخاوى فى تحفة الأحباب^(١) كما وصل إلينا خبر هذه المدرسة من خلال ماكتبه المؤرخون عن أول مدرس لهذه المدرسة وهو أبو عمرو عثمان الهذبانى المعروف بضياء الدين بن درباس إذ قالوا "أن جمال الدين الهكارى كان قد وقف عليه مدرسة بين القصرين بالقاهرة وبقي فى تدريسها إلى أن توفى سنة (٦٠٢هـ - ١٢٠٥م)^(٢)، وتميل الدراسة إلى اعتبار هذه المدرسة من مدارس الشافعية ذلك لأن ضياء الدين المذكور من أئمة الشافعية فى زمانه .

١١ - مدرسة الشريف فخر الدين بن ثعلب:

حدد المقرئى موقع هذه المدرسة وقت إنشائها بدرب كركامة على رأس حارة الجودرية بالقاهرة^(٣) وذكرها ابن عبد الظاهر فى خططه "بأنها كانت داراً أوقفها الشريف فخر الدين أبو نصر إسماعيل بن ثعلب بن يعقوب الزينى"^(٤)، وهو أحد أمراء مصر فى الدولة الأيوبية وتاريخ إتمام هذه المدرسة فى خطط المقرئى سنة (٦١٢هـ - ١٢١٥م)، ووقفها الشريف فخر الدين للفقهاء الشافعية^(٥)، وله فى

(١) السخاوى، تحفة الأحباب، ص ٨٧ .

(٢) المنذرى، التكملة لوفياة النقلة، ج ٢، ص ٩٠ - ابن أسعد اليافعى، مرآة الجنان، ج ٤، ص ٣ - الأسنوى، طبقات الشافعية ج ١، ص ٧٠ - السبكى - طبقات الشافعية الكبرى، ج ٨، ص ٣٣٧ .

(٣) المقرئى، الخطط، ج ٢، ص ٣٧٣ .

- Creswell, K. A. C. op. Cit. P. P. 79,130.

(٤) ابن عبد الظاهر، الروضة البهية، ص ٩١ .

(٥) المقرئى، الخطط، ج ٢، ص ٣٧٣ .

الفصل الثانى

وقفها حكاية مؤداها أن الشريف فخر الدين كان قد تشفع للفقير بن الوراق عند العادل الأيوبي فشفع له، وقد اتفق ذلك مع رؤيا لابن الوراق محصلتها أن خلاصه من يد العادل سيكون علي يد واحد من أهله (صلى الله عليه وسلم) صحيح النسب يقول بن عبد الظاهر أن الشريف بن ثعلب لما علم بذلك، قال لابن الوراق (ياسيدى اشهد على أن جميع ما أملكه وقف وصدقه شكراً لهذه الرؤيا) وخرج عن كل ما يملكه وكان من جملة ذلك المدرسة الشريفة والتي كانت فى الأصل مسكنه ووقف عليها أملاكه^(١)، وكان الشريف إسماعيل بن ثعلب قد توفى سنة ٦١٣هـ- ١٢١٦م، ولم تعيننا المصادر التاريخية على معرفة من تولوا مهمة التدريس بهذه المدرسة، باستثناء ما كتبه المنذرى عن أبى العز المظفر الذى سبق الإشارة إليه فى المدرسة السلفية من أنه لما فقدت منه مهمة التدريس بالمدرسة السلفية إنتقل إلى القاهرة، وتولى التدريس بمدرسة الشريف بن ثعلب ويظهر لنا من تاريخ وفاته سنة (٦١٢هـ- ١٢١٥م) أنه كان من أوائل الذين تولوا التدريس بهذه المدرسة^(٢).

وفى كتاب مساجد مصر وأولياؤها الصالحون دراسة حول البقايا الأثرية لهذه المدرسة. وقد خلصت تلك الدراسة إلى أنه لم يبق من المدرسة سوى المدخل والإيوان ومحلهما اليوم بشارع سيدى عقبه^(٣).

(١) ابن عبد الظاهر، الروضة البهية، ص ٩١، المقرئى، الخطط، ج ٢، ص ٣٧٣.

(٢) إنظر الرسالة، الفصل الأول.

(٣) سعاد ماهر، مساجد مصر وأولياؤها الصالحون، ج ٢، ص ١٩٤.

الفصل الثانى

١٢- «المدرسة الكاملية»:

فى حدود سنة (٦٢٢هـ-١٢٢٥م) بنى الملك الكامل (٦١٥هـ-١٢١٨م):
٦٣٥هـ-١٢٣٧م) المدرسة الكاملية، والتى اصطلح على تسميتها (بدار الحديث)^(١)
نظراً لأن واقفها الملك الكامل قد جعلها باتفاق المؤرخين لتدريس علم الحديث
وما يلحق بذلك من علوم^(٢)، وقد بين لنا المقرئى "أن موضعها كان داراً تعرف بابن
كستول بسوق الوراقين بخط بين القصرين"^(٣)، والظاهر أن السبب وراء اعتبارها
مدرسة أن الكامل قد جعل بها دروساً فى الفقه فقد ذكر لنا القلقشندى "أن الملك
الكامل بعد أن ابتنى دار الحديث الكاملية قرر بها مذاهب الأئمة الأربعة"^(٤)، وأما
المقرئى فقد ذكر لنا "أنها - أى المدرسة الكاملية - ثانى دار عملت للحديث فإن أول
من بنى داراً على وجه الأرض الملك العادل نور الدين محمود بن زنكى بدمشق ثم
بنى الكامل هذه الدار ووقفها على المشتغلين بالحديث النبوى ثم من بعدهم على
الفقهاء الشافعية"^(٥)، ولم يكن لدينا أى دليل لترجيح ما إذا كانت المدرسة الكاملية
قد جعل بها دروساً فى الفقه الشافعى على حد قول المقرئى، أو جعل بها دروساً
للمذاهب الأربعة على حد قول القلقشندى، وحتى ما ذكره لنا السلاوى عن إبراهيم

Lane - Poole, Op. Cit, P. 230.

(١)

(٢) ابن عبد الظاهر، الروض البهية، ص ٨٦- ابن دقماق، الجوهر الثمين، ص ٣٠- السخاوى
تحفة الأحباب، ص ٧٨- الكرمى (مرعى بن يوسف ت ١٠٣٣هـ-١٦٢٣م)، نزهة
الناظرين فى تاريخ من ولى مصر من الخلفاء والسلاطين، مخطوط بدار الكتب المصرية،
تاريخ ٢٠٧٦، ورقة رقم ٥٥.

(٣) المقرئى، الخطط، ج ٢، ص ٣٧٥.

هذا الخط أعمر أخطاط القاهرة وأنزهها وقد كان فى الدولة الفاطمية فضاء كبير ويراها
واسعاً يقف فيها عشرة آلاف من العسكر مابين فارس وراجل فلما انقضت أيام الدولة
الفاطمية وقلت القصور من أهاليها ونزل بها أمراء الدولة الأيوبية وغيروا معالمها. صار
هذا الموضع سوقاً.

المقرئى الخطط ج ٢ ص ٢٨.

(٤) القلقشندى، صبح الأعشى، ج ٣، ص ٤١٥.

(٥) المقرئى، الخطط، ج ٢، ص ٣٧٥.

الفصل الثانى

ابن سعد الرومى الحنبلى من "أنه ألقى دروساً بدار الحديث الكاملية فى حدود السنة (٦٣٩هـ-١٢٤١م)^(١) لا يعد دليلاً على ماقاله القلقشندى لأن السلاوى لم يكن ليفصح لنا عن طبيعة الدروس التى كان قد ألقاها ابن سعد وربما أنها كانت دروساً فى علم الحديث ولعلنا نميل إلى ماكتبه المقرئى راجع ذلك إلى أن المعلومات التى وردت إلينا عن شيوخ تلك المدرسة فى العصر الأيوئى وهم ثلاثة، تفيد بأنهم جميعاً كانوا على مذهب الشافعى فى الغالب، وهم أبو الخطاب عمر بن الحسن بن على بن دحية المتوفى سنة (٦٣٣هـ-١٩٣٩م) الذى كان أول من تولى مشيختها - أى المدرسة الكاملية - والتدريس بها إلى أن عزله الكامل من مشيختها وأسند ذلك إلى أخيه أبى عمرو عثمان بن الحسن بن على بن دحية الذى ظل بها إلى حين وفاته سنة (٦٣٤هـ-١٢٣٧م)^(٢)، ثم تولاها من بعده الحافظ عبد العظيم بن عبد القوى المنذرى المتوفى سنة (٦٥٦هـ-١٢٥٨م) والذى بقى فى مشيختها طيلة أكثر من عشرين سنة^(٣).

وهذه المدرسة تهدم معظمها فيما بعد ذلك، وقد قام علماء الآثار بدراسة حول بقايا المدرسة الكاملية التى تقع الآن بشارع المعز^(٤).

(١) السلاوى (أبو المعالى محمد بن رافع) المنتخب المختار فى تاريخ علماء بغداد، مطبعة الأهالى، بغداد (١٣٥٧هـ، ١٩٣٨م) ص ١٠.

(٢) اليونينى، ذيل مرآة الزمان، ج ٢، ص ٤٢٧-٤٢٨ - المقرئى، الخطط، ج ٢ ص ٣٧٥.

(٣) السبكى، طبقات الشافعية الكبرى، ج ٨، ص ٢٥٩، - العينى، (بدر الدين محمد ت ٨٥٢ هـ-١٤٥١) عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان، تحقيق محمد أمين، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٧م، ص ٧٨، ١٨٩ - اليونينى، ذيل مرآة الزمان، ج ١، ص ٢٤٨، ٢٤٩، الذهبى (شمس الدين محمد بن عثمان ت ٧٤٨ هـ-١٣٧٤م)، تذكرة الحفاظ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (١٣٧٧هـ-١٩٥٨م)، ج ٤، ص ٣٧٥.

(٤) سعاد ماهر محمد، مساجد مصر وأولياؤها الصالحون، ج ٢ ص ٢٠٦ - أحمد فكرى، مساجد مصر ومدارسها، ج ٢، ص ٥٥.

الفصل الثانى

١٣- المدرسة القوصية:

قال ابن عبد الظاهر "وهذه المدرسة بالقاهرة بدرب سيف الدولة بالقرب من درب ملوخيا^(١) وقفها والى قوص الكردي"^(٢)، ولم يذكر أحد بعد ذلك تاريخ إنشائها ولا المذهب الذى أسست من أجله ويحدثنا المنذرى عن اثنين من الذين تولوا التدريس بهذه المدرسة والتى أسماها المنذرى تارة بمدرسة قاضى قوص وتارة أخرى بمدرسة والى قوص والتى نعتقد أنها نفس المدرسة التى نحن بصدد الحديث عنها، حيث يذكر المنذرى عن أبى الحسين يحيى بن أبى السعادات منصور بن يحيى بن الحسن السليمانى اليمانى المتوفى سنة (٦٣١هـ - ١٢٣٣م) المقرئ الشافعى بمشهد الحسين عليه السلام "أنه تفقه على الشهاب الطوسى ودرس بمدرسة قاضى قوص بالقاهرة"^(٣) وكذلك ماكتبه عن أبى الفضائل لقمان بن حسن بن بهرام بن بديل الشافعى المتوفى سنة (٦٣٨هـ - ١٢٤٠م) من "أنه تولى الحكم بشفر دمياط وغيره ودرس بالمدرسة المعروفة بوالى قوص بالقاهرة مدة"^(٤)، ونعتقد اعتماداً على ما ذكره المنذرى فى هاتين الترجمتين أن هذه المدرسة كانت من مدارس الفقهاء الشافعية فقد لاحظنا أن أبى الحسين يحيى وأبى الفضائل لقمان كانا على المذهب الشافعى وقد ذكر لنا على مبارك فى خطظه أن هذه المدرسة ظلت عامره إلى زمانه وهى التى تعرف بزاوية حارة القرافة^(٥).

(١) عرفت بهذا الاسم نسبة إلى ملوخيا صاحب ركاب الخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمى.

المقريزى، الخطط، ج ٢، ص ٣٨.

(٢) ابن عبد الظاهر الروضه البهية، ص ٩١- المقريزى، الخطط، ج ٢، ص ٣٧٨.

(٣) المنذرى، التكملة لوفيات النقلة، ج ٣، ص ٣٦٨.

(٤) المنذرى، التكملة لوفيات النقلة، ج ٣، ص ٥٦١، ٥٦٢.

(٥) على «باشا» مبارك (الخطط التوفيقية الجديد لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمه

والشهيره) الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٩٨٧م، ج ٦، ص ٣٥.

الفصل الثانى

١٤- المدرسة الفائزية :

قال عنها ابن دقماق "والمدرسة الفائزية عمرها صاحب شرف الدين عبد الله بن صاعد الفائزى^(١). قبل وزارته فى شهور سنة (٦٣٧هـ-١٢٣٩م)"،^(٢) وهى من مدارس الشافعية على حد قول المقرئى والذى لاندري كيف ضمنها -أى المدرسة الفائزية- بين مدارس القاهرة والفسطاط^(٣) والمتوافر من معلومات عن تلك المدرسة أنها كانت بأسىوط^(٤)، ويتضح ذلك من خلال ما أورده اليونينى عن الفتح ابن موسى من "أنه لما انتقل إلى الديار المصرية فى سنة (٦٤٣هـ-١٢٤٥م) تولى التدريس بالمدرسة الفائزية بمدينة أسىوط زماناً ثم تولى القضاء بها أيضاً وكانت وفاته بها فى سنة (٦٦٣هـ-١٢٦٤م)^(٥)، وبالطبع فإن هذه المدرسة اليوم قد اندثرت ولا نعلم عنها شيئاً يذكر.

(١) أحد أمراء الدولة الأيوبية كان فى أول أمره نصرانيا من مدينة أسىوط. قدم القاهرة وأسلم فى أيام الملك الكامل وخدم عند الملك الفائز إبراهيم عبد الملك العادل فنسب إليه وظل من يومها يتنقل بين المناصب الكبرى بالدولة الأيوبية مقدماً عند الخاصه والعامه إلى أيام عز الدين أيبك التركمانى ثم إنه قد ساءت أحواله بعد مقتل عز الدين أيبك وانتهى به المصير إلى قتله سنة ٦٥٥هـ.

- المقرئى، الخطط، ج٢، ص ٩٠.

(٢) ابن دقماق، الانتصار، ج٤، ص ٩٢- القلقشندى، صبح الأعشى، ج٣، ص ٣٩١.

(٣) المقرئى، الخطط، ج٢، ص ٣٦٥.

(٤) أحمد أحمد بدوى، الحياه العقلية، ص ٥٦- أحمد عبد الحميد خفاجى، جوانب من الحياة الاجتماعيه فى مصر فى العصر الأيوبى، دار الرشاد للطباعة والنشر، الإسكندرية، (١٩٨١)، ص ٢٣.

(٥) اليونينى، زيل مرآه الزمان، ج ٢، ص ٣٢٩.

الفصل الثانى

ثانياً: المدارس التى خصت لتدريس المذهب المالكي:

١- المدرسة القمحية:-

أول وأهم مدرسة للمالكية بمصر فى العصر الأيوبي كان موضعها يعرف بدار الغزل وهى قيسارية^(١) يباع فيها الغزل بجوار الجامع العتيق فهدمها السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب، وأنشأ موضعها مدرسة للفقهاء المالكية وكان الشروع فيها للنصف من المحرم سنة (٥٦٦هـ - ١١٧٠م)^(٢)، وقد عرفت هذه المدرسة باسم المدرسة المالكية بمصر حيناً وبالمدرسة القمحية حيناً آخر وتعود تسميتها بالقمحية إلى أن معلومها كان يصرف للمدرسين والطلبة قمحاً^(٣)، قال ابن دقماق "وجعل بها - أى المدرسة القمحية - أربعة زواية وثبت فى كل زاوية منها مدرس لتعليم الطلبة"^(٤)، وقد زالت هذه المدرسة ولا أثر لها اليوم.

وفى كتاب التكملة حكى المنذرى عن جماعة ممن تولوا التدريس فى هذه المدرسة فى العصر الأيوبي منهم أبو البركات هبة الله بن عبد المحسن بن على ابن ثعلب بن أحمد الأنصارى المالكي المتوفى سنة (٥٨٩هـ - ١١٩٣م)، "الذى تولسى

(١) القيسارية أحد العمار الإسلامية الهامة وهى مبنى مشتمل على مجموعة من الحوانيت وقد يكون ذلك المبنى مكون من طابق أو طابقين .

- المقرئى، الخطوط، ج ٢، ص ٨٦- كمال الدين سامح، العمارة الإسلامية بمصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩١م، ص ١٦.

(٢) ابن دقماق، الانتصار، ج ٤، ص ٩٥، المقرئى، الخطوط، ج ٢، ص ٤٦٤- سبط ابن الجوزى، مرآة الزمان، ج ٨ القسم الأول، ص ٣٨٣- أحمد أحمد بدوى، الحياة العقلية، ص ٤٤- أحمد عزت عثمان، التربية والمجتمع المصرى فى العصر الأيوبي، ص ٤٠٩ .

(٣) القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٣، ص ٣٩١- عبد الرحيم غنيمه، تاريخ الجامعات، ص ٨٥.

(٤) ابن دقماق، الانتصار، ج ٤، ص ٩٥.

الفصل الثانى

التدريس فى المدرسة المالكية المجاورة للجامع العتيق مدة طويلة وأبو المنصور ظافر بن الحسين الأرزدي الاسكندراني المتوفى سنة (٥٩٦هـ-١١٩٩م) "الذى تولى التدريس بالمدرسة المالكية المجاورة للجامع العتيق مدة طويلة إلى حين وفاته" وأبو الحسن على المتوفى سنة (٥٩٩هـ-١٢٠٢م)، وهو ابن أبى البركات هبة الله بن عبد المحسن بن على بن ثعلب المشار إليه "الذى تولى التدريس بعد والده فى المدرسة المالكية المجاورة للجامع العتيق"^(١)، وكذلك أبو محمد عبد الله بن نجم بن شاس الجزامى السعدى المالكى المتوفى سنة (٦١٦هـ-١٢١٧م)، قال المنذرى "درس بالمدرسة المالكية المجاورة للجامع العتيق مدة"^(٢) ومنهم أيضاً أبو الحسن على المتوفى سنة (٦٢٣هـ-١٢٢٦م) وهو ابن أبى المنصور المشار إليه "والذى تولى التدريس بالمدرسة المالكية المجاورة للجامع العتيق" على حد مآذكر النويرى^(٣)، كما روى أيضاً عن أحمد بن على بن محمد العسقلانى المتوفى سنة (٦٣٦هـ-١٢٣٨م) وهو أحد أعيان المالكية من "أنه تولى التدريس بالمدرسة المالكية المجاورة للجامع العتيق"^(٤)، ونفس الشئ فيما روى عن أبى الحرم مكى المتوفى سنة (٦٣٩هـ-١٢٤١م) وتدرسه بالمدرسة المالكية المجاورة للجامع العتيق^(٥)، وفى

(١) المنذرى، التكملة لوفيات النقلة، ج١، ص١٩٤، ص٣٨٨، ص٤٤٤.

(٢) المنذرى، التكملة لوفيات النقلة، ج٣، ص٤٦٩.

(٣) النويرى، نهاية الأرب، ج٢٨، ص٣٦٣. الكتبى (ابن شاكِر) فوات الوفيات والذيل عليها تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة بيروت، لبنان، ١٩٧٣م، ج٣، ص٢٧.

(٤) ابن فرحون، الديباج المذهب، ص٦٧.

(٥) المنذرى، التكملة لوفيات النقلة، ج٣، ص٥٧٥، - النويرى، نهاية الأرب، ج٢٩، ص١٠٠ - ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، ص٨٦ - ابن أسعد النافعى، مرآة الجنان، ج٤، ص٣٥.

الفصل الثانى

كتاب الكواكب السيارة خبراً عن مدرس آخر بهذه المدرسة هو الفقيه الإمام العالم عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم المالكي المتوفى سنة (٦٤٦هـ - ١٢٤٨م) (١).
ويلاحظ من خلال سير هؤلاء المدرسين أن المدرسة القمحية كانت الاسم الغالب عليها المدرسة المالكية المجاورة للجامع العتيق والظاهر أن تسميتها بالقمحية جاء متأخراً عن ذلك العصر .

٢ - المدارس المالكية بالفيوم:

قال عنها النابلسى وبالفيوم مدرستان للمالكية (٢)، وبالطبع فإن أحدهما التى تنسب لتقى الدين عمر حسبما تشير الروايات (٣)، وأما الثانية فإننا لم نعثر على أى معلومات عنها .

٣ - المدرسة النجيبية:

وهى من المدارس التى استدل عليها الباحث من تصريح للإدفعوى حيث قال "حكى لنا أن النجيب بن هبة الله القوصى، لما بنى مدرسته التى بقوص فى سنة (٦٠٧هـ - ١٢١٠م) أشار عليه الشيخ الإمام أبو الحسن على بن الصباغ أن يحضر إليها الشيخ مجد الدين وأشار بإحضاره أيضاً الشيخ المقترح فأرسل إليه فحضر وجرى من الخير بسببه ما جرى به القدر (٤)، ويتضح من النص السابق أن تلك

(١) ابن الزيات (شمس الدين محمد) الكواكب السيارة فى ترتيب الزيارة، المطبعة الأميرية، القاهرة، (١٣٢٥هـ - ١٩٠٧م)، ص ٢٥٧ .

(٢) النابلسى، تاريخ الفيوم وبلاده، ص ٢٩ .

(٣) ابن دقماق، الجواهر الثمين، ج ٢، ص ٢٨ .

(٤) الإدفعوى، الطالع السعيد، ص ٤٠٨، ص ٤٢٥ .

الفصل الثانى

المدرسة كانت قد أعدت لخدمة المذهب المالكى راجع ذلك إلى أن الأسماء التى وردت فى النص كلها كانت لفقهاء مالكية.

٤ - مدرسة منية بنى خصيب :-

وهى من المدارس التى استدل الباحث على وجودها فى العصر الأيوبي من خلال ما أورده المنذرى عن أبى الفضائل بن عبد الستار بن إسماعيل المقديسى المالكى المتوفى سنة (٦١١هـ - ١٢١٤م)، من "أنه لما قدم إلى منية بنى الخصيب بصعيد مصر. أعاد بمدرستها للإمام أبى الحسن على بن خلف بن معزوز الكومى ثم اشتغل بالتدريس بالمدرسة المذكورة بعد وفاة الإمام أبى الحسن الكومى^(١).

وكذلك ما ذكره أبو شامة فى وفيات سنة (٦٤٩هـ - ١٢٥١م) عن يعقوب المهيونى حيث قال عنه "وفيهما مات صاحبنا العفيف يعقوب المهيونى بمنية بنى خصيب وكان قاضيهام ومدرسهام"^(٢).

وهذه المدرسة من جملة المدارس التى لم نعر لها على تاريخ إنشاء ولا على نوع الدراسة والمذهب التى اختصت به، وبالطبع فإننا نستطيع أن نذكر أنها بنيت قبل السنة (٦١١هـ - ١٢١٤م) وأنها قد خصصت لدراسة المذهب المالكى على الأرجح نظر إلى أن أساتذتها كانوا من المالكية.

٥ - مدرسة ابن الأنجب:

وهى من مدارس الإسكندرية فى العصر الأيوبي التى نص عليها المنذرى صراحة عند الحديث عن الإمام الحافظ أبو الحسن على بن الأنجب المقدسى الأصل الإسكندراني المولد والدار المالكى وهو المتوفى سنة (٦١١هـ - ١٢١٤م)، إذ قال المنذرى

(١) المنذرى، التكملة لوفيات النقلة، ج ٢، ص ٤٢١.

(٢) أبو شامة، رجال القرنين السادس والسابع، ص ١٨٧.

الفصل الثانى

عنه "أنه - أى ابن الأنجب- أنه قد ناب فى الحكم للعزیز بالإسكندرية ودرس بها بالمدرسة المعروفة به" (١).

وهذه المدرسة من جملة المدارس التى لم نعر لها على تاریخ إنشاء وعلى نوع الدراسة والمذهب الذى اختصت به . وبالطبع فإننا نستطيع أن نقول أنها بنيت قبل السنة (٦١١هـ-١٢١٤م)، وأنها قد خصصت لدراسة المذهب المالکى على الأرجح نظراً إلى أن أستاذها ومدرسها كان على المذهب المالکى .

٦ - مدرسة ابن شاس :

وصل إلینا خبر تلك المدرسة من خلال مرجعین فقط أحدهما خطط المقریزى . وأما الآخر فالإنتصار لابن دقماق وقد اعتمد الباحثون فى الحديث عن هذه المدرسة على خطط المقریزى دون الرجوع إلى ابن دقماق (٢) على الرغم من أهميته ومراجعة ما أورده المقریزى عن تلك المدرسة فجده يقول "أن هذه المدرسة بخط الساحل بجوار الربع العادلى، من مدينة مصر الذى وقف علي الشافعى عمرها الملك العادل أبو

(١) المنذرى، التكملة لوفیات النقلة، ج ٢، ص ٣٠٦، ٣٠٧- ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٣، ص ٦٨، الذهبى - تذكرة الحفاظ، ص ١٣٩١، أحمد أحمد بدوى، الحياة العقلية فى عصر الحروب الصليبية، ص ٥٥-

(٢) عباس حلمى اسماعيل، السياسة الداخلية للسلطان الملك العادل الأيوبي الأول، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٤٣م، ص ١٢٢، ١٢٣ - عبد الرحيم غنيم، تاريخ الجامعات الإسلامية الكبرى، ص ٨٩. أحمد عزت عثمان، التربية والمجتمع المصرى فى العصر الأيوبي، ص ٤١٠- أحمد فكرى، مساجد القاهرة ومدارسها ج ٢، ص ٥٣- عفاف صبرة، المدارس فى العصر الأيوبي، أبحاث ندوة المدارس فى مصر، المرجع السابق، ص ١٥٤- على مبارك، الخطط التوفيقية الجديدة لمصر، القاهرة، ج ٦، ص ٢٣ .

الفصل الثانى

بكر بن أيوب أخو السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب فدرس بها قاضى القضاة تقى الدين أبو على حسين بن شرف الدين ابن أبو الفضل بن شاس فعرفت به وقيل لها مدرسة بن شاس إلى اليوم، وهى عامرة وعرف خطها بالقشاشين وهى للمالكية^(١).

وهذا النص فيه خلط كبير حيث أنه - أى المقرئ - تارة يثبتها (بخط القشاشين) وتارة أخرى يثبتها - أى لمدرسة العادلية - "بخط الساحل" كما أنه فى أعلى النص جعلها وقفاً على الشافعية ثم أنه بعد ذلك ينهى كلامه عن المدرسة العادلية بأنها من المدارس المالكية وذلك يدعونا للتعامل مع ذلك النص بحرص فلربما أنه - أى المقرئ - قد خلط عند حديثه عن المدرسة العادلية بين منشأتين أحدهما بخط الساحل وهى للشافعية والثانية بخط القشاشين وهى للمالكية.

ومراجعة كتاب الانتصار لابن دقماق تأكدنا من ذلك الظن فقد ذكر لنا تحت عنوان مدرسة بن شاش مانصه "هذه المدرسة بالساحل بجوار الريع العادلى الوقف على مصالح قبة الشافعى رضى الله عنه لم يكن بها تدريس وإنما كانت مسجد قاضى القضاة تقى الدين بن شاس رحمه الله تعالى، وإنما ولده أقضى القضاة شرف الدين محمد عمر ريعاً بخط الجامع الطولونى بحضرة المسجد الذى كان يجلس للحكم فيه، ويشتمل على طاحون وفندق داخله مخازن وحوانيت ظاهره وعلوه طباق فطلبه منه الأمير سلالر نائب السلطنة والأمير بيبرس قبل ملكه وبذلوا له مالاً جزيلاً فلم يقبل ووقفه على مدرس يجلس يدرس فى هذا المسجد وطلبة على مذهب الإمام مالك"^(٢).

وعلى ذلك فالمدرسة التى بقيت إلى أيام المقرئى وقال عنها أنها عامره إلى أيامه هى المنشأة الثانية التى أوقفها شرف الدين محمد على فقهاء المالكية فى أوائل العصر المملوكى على الأغلب، وهاتان المنشأتان لانعلم عنهما أى شئ بعد ذلك فقد التزمت المصادر التاريخية الصمت حيال الكلام عن هاتين المنشأتين.

(١) المقرئى، الخطط، ج ٢ ص ٣٦٥.

(٢) ابن دقماق، الانتصار، ج ٤، ص ٩٨.

الفصل الثانى

٧ - «المدرسة الصحابية»:

قال ابن عبد الظاهر عنها فى خطه "أنها كانت قديماً تعرف بدار الديباج، وهى دار الوزير أبى الفرج يعقوب بن كلس"^(١). قال المقرئى "أنشأها صفى الدين عبد الله ابن على بن شكر"^(٢)، وجعلها وقفاً على المالكية"^(٣).

وقد ذكر لنا المنذرى جماعة من الذين قاموا بالتدريس فى هذه المدرسة منهم الإمام الشيخ الحافظ أبى الحسن على بن المفضل اللخمي المقدسى الأصل الإسكندراني المولد المالكي، وولديه أحمد المتوفى سنة (٦١٣هـ-١٢١٦م) ومحمد المتوفى سنة (٦٣١هـ-١٢٣٣م)، وكذلك ما ذكره عن عبد الله بن يوسف الهوارى المتوفى سنة (٦١٢هـ-١٢١٥م) من "أنه أقرأ وأم بالناس بالمدرسة الصحابية"^(٤)، وما ذكره

(١) ابن عبد الظاهر، الروضة البهية، ص ٨٩، القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٣، ص ٤٠٢.

(٢) وهو عبد الله بن على بن الحسن بن عبد الخالق الشيبى المالكي صاحب الوزير صفى الدين وزير السلطان العادل أبو بكر بن أيوب ومولده فى سنة ٥٤٠هـ بقرية دميرة من قرى مصر تفقه فى مذهب مالك على الفقيه أبى بكر عتيق البجائى وبه تخرج ودخل الإسكندرية وتفقه بها على أبى القاسم مخلوف بن على المعروف بابن جاره وسمع عليه وعلى الإمام أبى الطاهر إسماعيل بن مكى بن عوف وأبى الطيب عبد المنعم بن يحيى الحميرى وسمع من الحافظ السلفى وأجاز له أبو محمد القاسم ابن الحافظ أبى القاسم بن عساكر وأبو محمد عبد الله بن برى وأبو القاسم هبة الله بن على البوصيرى وغيرهم من الكبار وكان مؤثراً للعلماء الصالحين كثير البذل لهم والتفقد لأحوالهم لا يشغله ماهر فيه من كثرة الاشتغال عن مجالسهم وصنف كتاب البصائر فى الفقه على مذهب الإمام مالك وأنشأ المدرسه ورباطاً بالقرب من داره وأوقف لهما مرتبات وتوفى سنة ٦٢٢هـ. ابن فرحون، الديباج المذهب، ص ١٤٣.

(٣) المقرئى، الخطط، ج ٢، ص ٣٧١.

(٤) المنذرى، التكملة لوفيات النقلة، ج ٢، ص ٣٦١، ج ٣، ص ٣٦٨، ج ٢، ص ٣٤١.

الفصل الثانى

النويرى عن شرف الدين أبى عبد الله محمد بن عمر بن جعفر الأزدي الفسائى المالكى المعروف بابن اللهيب من "أنه تولى التدريس بالمدرسة الصاحبية بالقاهرة إلى حين وفاته"^(١)، ومن الذين تولوا التدريس بالمدرسة الصاحبية أبو إسحاق يوسف المتوفى سنة ٦٣٢هـ - ١٢٣٤م وهو ابن واقف هذه المدرسة^(٢).

وفى هامش أربعة من صفحة ٢٨٠ من الجزء السادس من كتاب النجوم الزاهرة تحقيق حول مكان هذه المدرسة وفيه أن هذه المدرسة يشغل محلها اليوم منزلان متجاوران أحدهما رقم ٨ بشارع الوزير صاحب والأخر رقم ٤ بزقاق سعادة بعطفة الست بيرم بشارع درب سعادة^(٣).

٨ - مدرسة الزكى التاجر:

وهى من المدارس التى استدل على وجودها الباحث فى العصر الأيوبي بمصر من خلال ماكتبه المنذرى عن أبى الحسن على بن إسماعيل بن على بن حسن الأبيارى المالكى نزيل الإسكندرية والمتوفى سنة (٦١٦هـ-١٢١٩م)، ومولده بأبيار^(٤) سنة (٥٥٧هـ-١١٦٢م). من أنه تفقه بالإسكندرية على مذهب الإمام

(١) النويرى، نهاية الأرب، ج٣، ص٣٩٢- النويرى، نهاية الإرب، ج٢٩، ص٢١٠.

(٢) المنذرى، التكملة لوفيات الثقله، ج٣، ص٣٩٢- النويرى، نهاية الإرب، ج٢٩، ص٢١٠.

(٣) أحمد أحمد بدوى، الحياة العقلية، ص١٤٥. ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة ج٦ ص٢٨٠،

(٤) هى قرية بجزيرة بنى نصر بين مصر والإسكندرية.

ياقوت الحموى، معجم البلدان، ج١، ص٨٥.

الفصل الثانى

أبى عبد الله مالك بن أنس رضى الله عنه وحدث ودرس بالمدرسة المعروفة بالزكى التاجر مدة^(١)، وبالطبع فإن هذه المدرسة من مدارس الفقه المالكى على الأرجح .

٩ - مدرسة ابن رشيق:

قال ابن دقماق "كان التكاثر نسبة إلى بلاد التكرور إذا قدموا من بلادهم قاصدين الحجاز قبل بنائها - أى مدرسة ابن رشيق - ينزلون عند قاضى القضاة علم الدين ابن رشيق فى داره عند حمام الريش فدفعوا إليه مالا عمر به هذه المدرسة ودرس بها إلى حين وفاته فعرفت به"^(٢)، وكان بناء هذه المدرسة بعد سنة (٦٤٠هـ - ١٢٤٢م)، بقليل، على حد قول المقرئى^(٣) وهى من مدارس المالكية^(٤)، ولم يكن لدينا أى معلومات عن نشاطها العلمى سوى ما ذكره المقرئى من شهرتها الواسعة فى بلاد التكرور^(٥).

وبالطبع فإن هذه المدرسة تلاشت الآن ولم يبق لها أى ذكر .

١٠ - مدرسة بنى حديد :

وهى من مدارس الفقهاء المالكية بمصر فى العصر الأيوبي على الاستنتاج من خلال ما كتبه المقرئى عن أحد مدرسيها وهو محمد بن محمد بن سلامة بن يوسف أبو البركات القضاعى المتوفى سنة (٦٢٠هـ - ١٢٢٣م)، والظاهر أنها كانت من

(١) المنذرى، التكملة لوفيات النقلة، ج٢، ص٤٧٨ - ياقوت الحموى، معجم البلدان، ج١، ص٨٥ .

(٢) ابن دقماق، الانتصار، ج٤، ص٩٦ .

(٣) المقرئى، الخطط، ج٢، ص٣٦٥ .

(٤) ابن دقماق، الانتصار، ج٤، ص٩٦ - المقرئى، الخطط، ج٢، ص٣٦٥ .

(٥) المقرئى، الخطط، ج٢، ص٣٦٥ .

الفصل الثانى

مدارس المالكية بالإسكندرية وكانت تدعى بالمدرسة المكتبية، ويفهم ذلك من خلال ماكتبه المقرئى نفسه عن محمد هذا قال المقرئى "محمد بن محمد بن سلامة الإسكندرانى مولده بالإسكندرية سنة (٥٧٣هـ - ١١٧٧م)، وتفقه على عمه أبى القاسم عبد الرحمن بن سلامة وناب عنه بالشغل ودرس بالمكتبة مدرسة بنى حديد، وسمع بها من أبى الطيب عبد المنعم بن يحيى وقدم إلى القاهرة، وشهد عند قاضى القضاة صدر الدين أبى القاسم عبد الملك بن درباس ومن بعده من الحكام ودرس بالمدرسة الفاضلية من القاهرة" (١).

والظاهر أن محمد هذا كان له ابنا يدعى أحمد قد تولى التدريس من بعده بالمدرسة المذكورة يفهم ذلك من خلال ماكتبه ابن فرحون عن أحمد هذا قال ابن فرحون "أحمد بن محمد بن سلامة المتوفى سنة (٦٤٥هـ - ١٢٤٧م). درس بمدرسة بنى حديد وهو من رؤساء المالكية" (٢).

(١) المقرئى، المقفى الكبير، ج ٧، ص ٢١٧ .

(٢) ابن فرحون- الديباج المذهب، ص ٧٠، ٧١ . المقرئى، المقفى الكبير، ج ٧، ص ٢١٧ .

الفصل الثانى

ثالثاً: المدارس التى خصصت لتدريس المذهب الحنفى:

١ - المدرسة السيوفية :

أول وأهم مدارس الفقهاء الحنفية وقفها السلطان صلاح الدين الأيوبي فى (٥٧٢هـ-١١١٦م)^(١)، وقد وقف المقرئى على كتاب وقفها، ونقل منه "أن هذه المدرسة بالقاهرة وهى من جملة دار الوزير المأمون البطائحي"^(٢). وقال ابن ميسر

(١) أحمد أحمد بدوى، الحياة العقلية، ص ٤٥ - عبد الرحيم غنيم، نشأة الجامعات، ص ٨٦، أخطأ بعض المؤرخين فى نقل اسم هذه المدرسة وأطلقوا عليها المدرسة اليوسفية - ابراهيم بن وصيف، تاريخ أخبار الديار المصرية، مخطوط بدار الكتب المصرية تاريخ ٥٧٨١١ ورقة رقم (٦٩-). - ابن إياس، (أبو البركات محمد بن أحمد ت ٩٣٠هـ-١٥٢٣م) بدائع الزهور، فى وقائع الدهور، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة (١٤٠٢هـ-١٩٨٢م) ج ١، القسم الأول، ص ٢٥٨. ويبدو أن ذلك راجع إلى ظنهم بأنها قد أخذت تسميتها من اسم السلطان صلاح الدين يوسف وقد يدع لنا ذلك احتمالاً وبالأحرى شكاً فى مسميات المدارس التى أنشأها صلاح الدين كالناصرية والصلاحية باعتبار أنها قد تكون مسميات أطلقها العامة على تلك المدارس .

Creswell, K.A. C. Op. Cit, P. 130.

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن الأمير نور الدولة أبى شجاع فاتك المستنصرى ولد سنة ٤٧٨هـ- اتصل بخدمة الأفضل بن أمير الجيوش سنة ٥٠١هـ وحسن عند الأفضل موقع خدمته فاعتمد عليه وسلم له جميع أموره وصرفه فى كل أحواله فصار يخاطب القائد ويكتب به، وصار عنده بمنزلة الأستاذار. فلما قتل الأفضل قام القائد أبو عبد الله ابن فاتك لخدمة الخليفة الأمر بأحكام الله فترقى عنده وتقدم ومازالت أحواله تتقلب فى الدولة الفاطمية، بين نعمة ورخاء إلى أن مات فى سنة ٥٢٢هـ-١١٢٨م.

- المقرئى، الخطط، ج ١، ص ٤٦٢.

الفصل الثانى

"دار نصر بن عباس وهى الدار المعروفة بدار جبر بن قاسم ثم عرفت بدار المأمون بن البطائحى وهى الآن المدرسة السيوفية"^(١). وقد عرفة بالمدرسة السيوفية من أجل أن سوق السيوفيين كان حينئذ على بابها^(٢)، وقد أخطأ ابن عبد الظاهر عند نقله لخبر تلك المدرسة حيث قال عن المدرسة السيوفية "وقفها الأمير عز الدين فرحشاه قريب صلاح الدين"^(٣) وظلت هذه المدرسة عامرة إلى وقت قريب^(٤).

وقد توافرت لنا الأخبار حول النشاط العلمى لهذه المدرسة فى العصر الأيوبى وذلك من خلال سير أعلام مدرسيها، فمن ذلك ما ذكره المقرئى عن مجد الدين محمد بن محمد الجبتي من "أنه كان أول من قام بالتدريس بالمدرسة السيوفية"^(٥) وما ذكره السيوطى عن عبد البه بن محمد بن سعد الله الجريرى من "أنه برع فى مذهب أبى حنيفة وقدم صحبة صلاح الدين بن أيوب بمصر، فأقام بها يفتى ويدرس بالمدرسة السيوفية ويعظ إلى أن مات سنة (٥٨٤هـ - ١١٨٨م)^(٦)، وكذلك

(١) ابن ميسر، أخبار مصر، ص ١٤٧. ابن عبد الظاهر، الروضة البهية، ص ٨٩.

- المقرئى (تقى الدين أحمد بن على ت ٨٤٥هـ - ١٤٤٢م)، اتعاظ الخنفا، بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، نشر جمال الدين الشيال، القاهرة، ١٩٤٨م، ج ٢، ص ٣٢٥.

(٢) المقرئى، الخطط، ج ٢، ص ٣٦٥.

Creswell, K. A. C., Op. Cit. P. 130.

(٣) ابن عبد الظاهر، الروض البهية، ص ٨٩.

(٤) على مبارك، الخطط التوفيقية، ج ٦، ص ١٩.

(٥) المقرئى، الخطط، ج ٢، ص ٣٦٥.

(٦) بن أبى الرقاء القرشى (أبو محمد عبد القادر بن محمد) الجواهر المضيه فى طبقات الحنفية - تحقق د / عبد الفتاح محمد الحلو مطبعة عيسى البابى الحلبي - القاهرة (د).

الفصل الثانى

ما ذكره المنذرى عن أبى محمد عبد الوهاب بن يوسف بن على بن الحسين الدمشقى الحنفى المنعوت بالبدر "من أنه قدم القاهرة ودرس بالسيوفية ومات بها سنة (٥٩٩هـ - ١٢٠٢م)" (١)، وفى تاريخ الإسلام لشمس الدين الذهبى. خبر عن مدرس رابع من مدرسى المدرسة السيوفية وهو ندى بن عبد الغنى بن على الأنصارى توفى سنة (٦٠٤هـ - ١٢٠٧م) (٢)، وأما عن المدرس الخامس بالمدرسة السيوفية كما يذكر صاحب الجواهر المضية هو صقر بن أبى على الحسن بن إبراهيم الدميرى (٣)، وكتب عنه المنذرى وأسماءه جعفر بدلاً من صقر وهو الأصوب وذكر "أنه تولى التدريس بالمدرسة التى بالسيوفيين بالقاهرة مدة طويلة إلى حين وفاته سنة (٦٢٣هـ - ١٢٢٦م)" (٤)، ونعتقد أن على بن أحمد بن محمود المنعوت بالعماد

== - الدارودنى (شمس الدين محمد بن على طبقات المفسرين، بيروت- لبنان، ط ١، ١٤٠٣ هـ. ١٩٨٣م، ج ١، ص ٢٩٠، ٢٩١ - السيوطى، حسن المحاضرة، ج ١، ص ٤٦٤، ٤٦٥، ٤٦٦ .

(١) المنذرى، التكملة. لوفيات النقلة، ج ٢ ص ٤٤٧. السيوطى حسن المحاضرة، ج ١، ص ٤٦٤ - ابن أبى الوفاء القرشى، الجواهر المضية، ج ٢، ص ٤٨٩ .
(٢) الذهبى (شمس الدين محمد بن عثمان ت ٧٤٨هـ - ١٣٧٤م)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير الأعيان. تحقيق بشار عواد معروف، وشعيب الأرنؤوط، وصالح مهدى عباس. مؤسسة الرسالة، بيروت، (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م)، ط ١، ص ١٦٨، ١٦٩ - ابن أبى الوفاء القرشى - الجواهر المضية فى طبقات الحنفية، ج ٣، ص ٥٣٣ .

(٣) ابن أبى الوفاء القرشى، الجواهر المضية فى طبقات الحنفية، ج ٣، ص ٢٧٠، ٢٧١ .
(٤) المنذرى، التكملة لوفيات النقلة، ج ٣، ص ٢١٦ - ابن تغرى بردى، (جمال الدين أبو المحاسن يوسف) المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى - تحقيق/ محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٤م، ج ٤، ص ٢٦٨ .

الفصل الثانى

المعروف بابن الغزنوى المتوفى سنة (٦٣٣هـ - ١٢٣٥م) هو سادس هذه القائمة. كما فى التكملة للمنذرى^(١)، وكذلك قد ذكر لنا كتاب السير عن إثنين من الذين قاموا بالتدريس بالمدرسة السيوفية. وقد اتفق فى تاريخ وفاتهما سنة (٦٤٢هـ - ١٢٤٤م) أحدهما محمد بن عبد الوهاب بن يوسف^(٢)، وقد سبقه أبوه فى الجلوس للتدريس فى هذه المدرسة وأما الثانى فهو أبو إسحق إبراهيم بن على بن عبد الوهاب الأنصارى المعروف بابن جمود. وقال عنه المنذرى "أنه أعاد بالمدرسة السيوفية مدة طويلة"^(٣)، وآخر من نعتقد أنه درس بالمدرسة السيوفية فى العصر الأيوبي محمد بن عباد بن ملك داد الخلاطى المتوفى فى سنة (٦٥٢هـ - ١٢٥٤م)^(٤).

٢ - المدرسة الأزكشية :

وهى من مدارس الفقهاء الحنفية أنشأها الأمير سيف الدين أيازكوج الأسدى مملوك أسد الدين شيركوه وأحد أمراء السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب وكان بناؤها سنة (٥٩٢هـ - ١١٩٦م)^(٥)، قال المقرئى "هذه المدرسة بالقاهرة على رأس

(١) المنذرى، التكملة لوفيات النقلة، ج٣، ص٤١٥ - ابن أبى الوفاء القرشى، الجواهر المضية، ج٢، ص٥٤٢.

(٢) ابن أبى الوفاء القرشى، الجواهر المضية، ج٣، ص٢٤٢. المنذرى، التكملة لوفيات النقلة، ج٣، ص٦٤٢.

(٣) المنذرى. التكملة لوفيات النقلة، ج٣، ص٦٣٧ - ابن أبى الوفاء القرشى، الجواهر المضية، ج١، ص٩٤.

(٤) ابن أبى الوفاء القرشى، الجواهر المضية، ج٣، ص١٨٠، ١٨١.

(٥) ابن عبد الظاهر، الروضة البهية، ص٨٧. ابن دقماق، الانتصار، ج٤، ص٩٥ - المقرئى، الخطوط، ج٢، ص٣٦٧.

الفصل الثانى

السوق الذى كان يعرف بالحروقيين ويعرف اليوم بسوقة أمير الجيوش^(١)، والظاهر أن هذا السوق كان يعرف على عهد ابن دقماق بسوق الغزل فهذه المدرسة على حد قوله "وهى المعلقة بسوق الغزل"^(٢)، والذى يراجع ماكتبه المقرئى عن سوقة أمير الجيوش يجده يقول "وكان مابعد هذا السوق إلى باب القنطرة معمر الجانبين بالخوانيت المعده لبيع الطرائف والمغازل والكتان والأنواع من المأكولات - وقد خرب أكثر هذه الخوانيت فى سنى المحنة ومابعداها"^(٣)، وقد ذكر على مبارك أن هذا السوق موضعه اليوم يعرف بسوق مرجوش وتعرف هى - أى المدرسة الأزكشية - بزاوية جنبلاط^(٤).

٣ - المدرسة الغزنوية :

وهى من مدارس الفقهاء الحنفية على الأغلب^(٥) قال عنها المقرئى "هذه المدرسة برأس الموضوع المعروف بسوقة أمير الجيوش تجاه المدرسة اليازوكجية بناها الأمير حسام الدين قايماز النجمى مملوك نجم الدين أيوب والد صلاح الدين الأيوبي وأقام بها الشيخ شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن يوسف بن محمد الغزنوى البغدادى المقرئ الفقيه الحنفى (٥٣٢هـ: ٥٩٩هـ - ١١٢٨: ١٢٠٢م). ودرس بها فعرفت به"^(٦) وهذه المدرسة من المدارس التى انقطعت أخبارها منذ ذلك الحين .

(١) المقرئى، الخطط، ج٢، ص٣٦٢.

(٢) ابن دقماق، الانتصار، ج٤، ص٩٥.

(٣) المقرئى، الخطط، ج٢، ص١٠١.

(٤) على مبارك، الخطط التوفيقية الجديدة، ج٢، ص٢.

(٥) أحمد عزت، التربية والمجتمع فى العصر الأيوبي، ص٢٨.

(٦) المقرئى، الخطط، ج٢، ص٣٩٠.

الفصل الثانى

٤ - المدرسة العاشورية :

وهى من مدارس الفقهاء الحنفية أوقفها الست عاشوراء بنت ساروح الأسدى زوجة الأمير ياذكوج الأسدى قال بن عبد الظاهر "كانت فى الأصل داراً لأبن جميع الطبيب اليهودى الكاتب، ثم اشترتها الست عاشوراء وأوقفتها على الحنفية"^(١) وقد عين المقرئى موقعها وقت إنشاءها بحارة زويلة من القاهرة بالقرب من المدرسة القطبية الجديدة برجة كوكاي^(٢).

ويلاحظ أن هذه المدرسة من المدارس التى لم يحدد تاريخ إنشائها^(٣)، كما أنه لم تتوفر لدينا معلومات عن الذين قاموا بالتدريس فى هذه المدرسة باستثناء ما ذكره المؤرخون عن مدرسين أحدهما على بن أحمد بن محمود المنعوت بالعماد مدرس السيوفية الذى سبق الإشارة إليه فقد ذكر لنا المنذرى "أنه درس بالمدرسة التى بحارة زويلة والمعروفة بالعاشورية قبل انتقاله إلى التدريس بالمدرسة السيوفية"^(٤)، وأما الثانى فقد ذكرت المصادر التاريخية عن عبد الرحمن بن محمد بن عبد العزيز أنه تتلمذ بالمدرسة السيوفية ثم تولى التدريس بالمدرسة العاشورية إلى حين وفاته سنة (٦٣٤هـ - ١٢٤٥م)^(٥)، والظاهر أن هذه المدرسة قد تلاشت مبكراً على حد قول المقرئى وصارت طول الأيام مغلقة لا تفتح إلا قليلاً فإنها فى زقاق لا يسكنه إلا اليهود ومن يقرب منهم فى النسب .

(١) ابن عبد الظاهر، الروضة البهية، ص ٨٩ .

(٢) المقرئى، الخطط، ج ٢، ص ٣٦٨ .

(٣) أحمد عزت عثمان، التربية والمجتمع، ص ٤١٤ .

(٤) ابن أبى الوفاء القرشى، الجواهر المضية، ج ٢، ص ٣٩٤، ٣٩٥ - المنذرى التكملة لوفيات النقلة، ج ٣، ص ٤١٥ .

(٥) ابن أبى الوفاء القرشى، الجواهر المضية، ج ٢، ص ٣٩٤، ٣٩٥ - الدارودنى، طبقات المفسرين، ج ١ ص ٢٩٠ .

الفصل الثانى

٥ - المدرسة الفخرية :

وهى من المدارس التى لم يفصح فيها المقرئى عن المذهب الذى أوقفت من أجله، ولم يكن لدينا سوى معلومات محدودة عن تاريخ إنشائها واسم واقفها ومدرس واحد لها فلم يكن لدى ابن عبد الظاهر ومن سبق المقرئى سوى إشارة إلى أن أستاذ دار الملك الكامل الأمير فخر الدين ابن قزل ت سنة (٦٢٩هـ - ١٢٣١م) كان قد بنى مكان دار الأمير حسام الدين ساروح المدرسة الفخرية^(١)، ولم يصف لنا المقرئى بعد ذلك سوى الإشارة لتاريخ اتمامها وهو سنة (٦٢٢هـ - ١٢٢٥م)، ولم يكن لدينا بعد ذلك أى معلومات عن هذه المدرسة خلال العصر الأيوبى سوى ما ذكره المقرئى عن أبى أحمد اسماعيل الحنفى المتوفى سنة (٦٣٧هـ - ١٢٣٩م)، المعروف بابن فلوس من "أنه تفقه على مذهب الإمام أبى حنيفة رضى الله عنه ودرس بمدرسة الأمير فخر الدين عثمان بالقاهرة مدة"^(٢)، وهو الأمر الذى يضع احتمالاً بأن تكون المدرسة من مدارس فقهاء الحنفية .

٦ - مدرسة جهار كس:-

وهى من مدارس الفقهاء الحنفية بمصر فى العصر الأيوبى وقد استنتجنا ذلك من خلال ما كتبه (ابن أبى الوفاء القرشى عن القاضى صدر الدين موسى بن زكريا بن إبراهيم بن محمد توفى سنة (٦٥٠ هـ ١٢٥٢م) من "أنه لما قدم إلى مصر أقام بها فى خدمة الملك الصالح أيوب بن محمد وولى التدريس بمدرسة جهار كس

(١) ابن عبد الظاهر، الروضة البهية الزاهرة، ص ٨٧، النويرى، نهاية الإرب ج ٢٩، ص ١٦٩ -

ابن سعيد المغربى، النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة، ص ٦٠ .

(٢) المقرئى، المواعظ والاعتبار، ج ٢، ص ٣٦٨ - السخاوى - تحفة الأحياب ص ٨٩ - سعاد

ماهر محمد، مساجد مصر وأولياؤها الصالحون، ج ٢، ص ١٩٩ .

الفصل الثانى

قضاء العسكر، وأرسل رسولاً إلى حلب سنة (٦٤٤هـ-١٢٤٦م) ثم فى سنة (٦٤٧هـ-١٢٤٩م) عاد إلى مصر ولما مات الصالح، وولى بعده ولده فوثبوا عليه الأتراك فعزلوه عن تدريس تلك المدرسة فلزم بيته إلى أن مات فى السنة المذكورة^(١)، ولم نكن لنعلم عن تلك المدرسة سوى ما استنتجناه من ذلك النص فقد وقفت المصادر التاريخية صامته حيال الإفصاح عن موضعها وواقفها وتاريخ انشاءها .

(١) ابن أبى الوفاء القرشى، الجواهر المضية فى طبقات الحنفية، ج٣، ص٥١٦، ٥١٧ .

الفصل الثانى

رابعاً: المدارس التى أعدت لتدريس مذهبين:

١ - المدرسة الفاضلية:

وهى أول مدرسة بمصر توقف على مذهبين^(١) وقد تم بناءها (بعد المدرسة الأسديه بستة عشر عاماً، وهى أول مدرسة لمذهبين فى سوريا) حيث أن واقفها وهو القاضى عبد الرحيم بن على البيسانى قد خصصها لتدريس فقهى مالك والشافعى كما جعل فيها درساً للقراءات وكان إبتدأ التدريس بها سنة (٥٨٠هـ - ١١٨٤م)، وكان موقع هذه المدرسة بدرب ملوخيا بالقاهرة^(٢) والذى يفهم من كتابات المؤرخين حول تلك المدرسة أن القاضى الفاضل قد جعل بها قاعتين أحدهما لتدريس المذهبين الشافعى والمالكي على أن يقوم بهذه المهمة مدرساً واحداً اشترط فيه الإمام بالفقهين معاً وقد جعلت الأخرى لتدريس علم القراءات.

فأما عن الذين جلسوا لتدريس الفقهاء المالكي والشافعى خلال تلك الفترة الزمنية فتروى لنا المصادر التاريخية عن إثنين من الذين تولوا هذه المهمة أولهما أبو القاسم عبد الرحمن بن سلامة بن يوسف القضاعى المتوفى سنة (٦٠٣هـ - ١٢٠٦م)^(٣). وثانيهما ابن أخى الأول وهو أبو البركات محمد بن محمد بن سلامة القضاعى المتوفى سنة (٦٢٠هـ - ١٢٢٣م)^(٤).

(١) Creswell K. A. C, Op. Cit P.123 .

(٢) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٣، ص١٦٣. - ابن عبد الظاهر، الروضة البهية، ص٨٨، -النويرى ، نهاية الأرب، ص٢٨٢، ص٣٧٠. - المقرئى، الخطط ج٢، ص٣٦٦ .

(٣) المنذرى، التكملة لوفيات الثقله، ج٢، ص٩٨. الذهبى، تاريخ الإسلام، والطبقة ٦٢ ص٣٢١، ١٣٣. -النويرى، نهاية الأرب، ج٢٨، ص٣٧٠. -المقرئى الخطط، ج٢، ص٣٦٦ .

(٤) المنذرى، التكملة لوفيات الثقله، ج٣، ص١٠٦، المقرئى، المقفى الكبير، ج٣، ص٢١١ .

الفصل الثانى

وكذلك يحدثنا المنذرى عن إثنين من الذين تولوا الإعادة لهذه المدرسة وهما أبو المنصور القاسم بن على بن شريف الشافعى البلبيسى المتوفى سنة (٦٢٧هـ- ١٢٢٩م) المنعوت بالشرف وأبو إسحاق إبراهيم بن صالح بن أحمد المهنى الشافعى المتوفى سنة (٦٤٢هـ- ١٢٤٤م) والمنعوت بالجمال^(١).

وأما عن الذين جلسوا لتدريس علم القراءات بهذه المدرسة خلال العصر الأيوبى، فقد وصلت إلينا أخبارهم جميعاً من خلال كتاب السير الذين اهتموا بإبراز تلك المرحلة فى حياة كل واحد منهم، وأول من يمكن الإشارة إليه فى ذلك الصدد أبو محمد القاسم بن فيرة بن خلف بن أحمد الرعينى الأندلسى والمعروف بالشاطبى* المتوفى سنة (٥٩٠هـ- ١١٩٤م)^(٢)، ومن بعده غياث بن فارس بن مكى بن عبد الله المصرى* فقد ذكر لنا كتاب السير أنه -أى غياث بن فارس- قد تصدر لتدريس علم القراءات بالمدرسة الفاضلية بعد الشاطبى حتى توفى سنة (٦٠٥هـ- ١٢٠٨م)^(٣) ونعتقد أن الذى تلى غياث هذا هو زيادة بن عمران بن زيادة* المتوفى سنة (٦٢٩هـ- ١٢٣١م)^(٤).

-
- (١) المنذرى، التكملة لوفيات النقلة، ج٣، ص٢٧١، ص٦٤٣ .
(٢) أبو شامة، تراجم رجال القرنين، ص٧. -السبكى، طبقات الشافعية، ج٦، ص٢٧١ -ابن الجزرى، غاية النهاية، ج٢، ص٢٠. - بن الزيات، الكواكب السيارة، ص٣١٠ .
(٣) المنذرى، التكملة، لوفيات النقلة، ج٢، ص١٦٢، الذهبى، تاريخ الإسلام ووفيات الأعيان ص١٨٢- بن الجزرى، غاية النهاية، ج٢، ص٤ .
(٤) السيوطى، حسن المحاضرة، ج١، ص٤٩٩- المنذرى، التكملة لوفيات النقلة ج٣، ص٣١٥.

* سيأتى عنهم الكلام بالتفصيل فى الفصل الرابع .

الفصل الثانى

ثم من بعده محمد بن عمر بن يوسف القرطبى المتوفى سنة (٦٣١هـ- ١٢٣٣م)، والذي قيل عنه خطأ أنه جلس للتدريس فى هذه المدرسة بعد الشاطبى^(١) ونظن أن الذى تلا القرطبى فى هذه المهمة على بن عبد الصمد بن محمد بن نقيع بن الرماح المصرى الشافعى المتوفى سنة (٦٣٣هـ- ١٢٣٥م) الذى قال عنه السيوطى أنه قرأ على غياث بن فارس السابق الإشارة إليه وتصدر للإقراء بالفاضلية^(٢)، ثم من بعده محمد بن المسلم بن نبهان بن سالم التميمى البغدادى الكوفى المتوفى سنة (٦٤٦هـ- ١٢٤٨م). قال المقرئى قدم إلى مصر وتصدر بالمدرسة الفاضلية من القاهرة لإقراء القرآن بالقراءات^(٣). وآخر من وصل إلينا خبره فى العصر الأيوبي من هؤلاء عثمان بن عمر بن أبى بكر بن يونس بن الحاجب الكردى الأصل الاسنائى المولد المالكى الذى تلقى دروسه فى صباه بالمدرسة الفاضلية ثم انتقل إلى الشام وبقي بها مدة إلى أن دخل القاهرة سنة (٦٣٨هـ- ١٢٤٠م) فتولى مهمة تدريس علم القراءات بالمدرسة الفاضلية مدة ثم انتقل إلى الاسكندرية فكانت وفاته بها سنة (٦٤٦هـ- ١٢٤٨م)^(٤).

(١) السيوطى (الحافظ جلال الدين بن عبد الرحمن ت ٩١١هـ- ١٥٠٥م)، بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة - مطبعة عيسى البابى الحلبي وشركاه، ط ١، حلب، (١٣٨٤هـ- ١٩٦٤م)، ص ١١٦- ابن الجزرى، غاية النهاية، ج ٢، ص ٢٢٠.

(٢) السيوطى - حسن المحاضرة، ج ١، ص ٢٣٤.

(٣) المقرئى، المقفى الكبير، ج ٧، ص ١٩٨.

(٤) السيوطى، بغية الوعاة، ج ٢، ص ١٣٣ - ابن الجزرى، غاية النهاية، ج ١، ص ٥٠٨.

الفصل الثانى

خاسماً: المدارس التى أعدت لتدريس أربع مذاهب:

١ - المدرسة الصالحية:

فى ١٣ ذى الحجة من السنة (٦٣٩هـ-١٢٤١م) شرع الملك نجم الدين أيوب فى بناء المدرسة الصالحية وموضعها كان من جملة القصر الكبير الشرقى وكان الإنتهاء من بنائها فى السنة (٦٤١هـ-١٢٤٣م) وهى أول مدرسة بمصر يعمل بها دروس للمذاهب الأربعة، فكان بالمدرسة أربعة أواوين لكل طائفة إيوان خاصة بها^(١)، وأول ما يلاحظ فى روايات المؤرخين عن تلك المنشأة أنهم أطلقوا عليها اسم المدرسة الصالحية وتارة أخرى بالمدرستين الصالحيتين^(٢) وكذلك بالمدارس الصالحية، والظاهر أن ذلك راجع إلى أن هذه المنشأة كانت من الناحية المعمارية وحدة واحدة من الخارج فجاز أن يطلق عليها اسم مدرسة ولما كان التصميم الداخلى لهذه المنشأة مقسماً إلى قسمين أحدهما وهو الجانب الجنوبى وبه إيوانين أولهما للحنفية والآخر للحنابلة. وثانيهما بالجانب الشمالى وبه إيوانين أيضاً أولهما للمالكية والآخر للشافعية فجاز أن يطلق عليها اسم (مدرستين)، وأما إطلاق كلمة «مدارس» على هذه المؤسسة فعائد فى الحقيقة إلى الأربع مواضع التى خصصت للتدريس وهذه

(١) ابن عبد الظاهر، الروضة البهية، ص ٨٥، المقرئى، الخطط، ج ٢، ص ٣٧٤ - المقرئى

(تقى الدين أحمد بن على ت ٦٤٥هـ-١٤٤٢م)، السلوك لمعرفة دول الملوك، تصحيح

محمد مصطفى زياده، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٣٤م، ج ١، القسم الأول

ص ٣٨- ابن إياس، بدائع الزهور فى وقائع الدهور ج ١، القسم الأول، ص ٣٣٨ .

(٢) إبراهيم بن وصيف، تاريخ أخبار الديار المصرية وما فى ذلك من جواهر البحور ووقائع

الأمر وعجائب الدهور- ورقة رقم ٧٥ - ابن دقماق- الجواهر الثمين، ج ٢، ص ٣٧

الفصل الثانى

التسمية - أى مدارس - هى التى وجدت على الوجهة الرئيسية لهذه المؤسسة والتى تقرأ عليها بخط النسخ مانصه :-

"بسم الله الرحمن الرحيم" أمر بإنشاء هذه المدارس المباركة مولانا السلطان الأعظم الملك الصالح نجم الدين والدنيا أبو الفتح أيوب خليل أمير المؤمنين أعزه الله ونصره فى سنة (٦٤١هـ - ١٢٤٣م) (١).

والواقع أن هذه المنشأة جاءت مشابهة لمنشأة أخرى كانت قد سبقتها فى تدريس المذاهب الأربعة وهى المدرسة المستنصرية ببغداد التى كان إنشاؤها فى سنة (٦٣١هـ - ١٢٣٣م) (٢)، ولكن الاختلاف بينهما أن المدرسة الصالحية كانت تشتمل على أربعة أواوين كل إيوان منها خاص لطلبة مذهب من المذاهب السنية الأربعة (٣)، والظاهر أن بناء هذه المدرسة كان عملاً ضخماً وقد حاول الصالح نجم الدين أيوب أن يوفر له كل مايسمح بإتمامه فى وقت قياسى (٤) من ذلك ما ذكره المقرئى فى حوادث سنة (٦٣٨هـ - ١٢٤٠م) عندما تكلم عن الحروب الصليبية وأن السلطان الصالح نجم الدين أيوب أسر كثيراً من الفرنجة وأنه سخرهم فى بناء قلعة الروضة وبناء المدرسة الصالحية (٥).

(١) أحمد فكرى، مساجد القاهرة ومدارسها ج٢، ص ٦٧، ٦٨، أبو أحمد محمود فرغلى، الدليل الموجز، أهم الآثار الإسلامية والقبطية، ط ١، القاهرة، سنة ١٩٩١، ص ١٩٨.

(٢) ناجى معروف.. (تاريخ علماء المستنصرية)، دار الشعب، القاهرة، ١٩٧٥م، ج ١، ص ٣٠ - عبد الرحيم غنيمه، تاريخ الجامعات الإسلامية ص ٩١ - حسن أمين - المدرسة المستنصرية، مطبعة شفيق، القاهرة ١٩٦٠م، ص ١٢٢.

Creswell, K. A, C. op. Cit. P. P. 123, 24 .

(٣) عبد الغنى عبد العاطى، التعليم فى مصر، ص ٨٤.

(٤) Devonshire, Quatre- Vingt Mosques Et Autres Monuments
musulmans Du Cairo, De L' Institut Francais D' Archeologie
Orientale Pour La Societe Royale De Geographie D'Egypt Imprime L'
Imprimeris Cairo, 1924, P. 15.

(٥) المقرئى، السلوك. ج ١، القسم الثانى، ص ٣٠٥.

الفصل الثانى

وقد تعجب الباحثون من شدة اهتمام الصالح نجم الدين أيوب بإتمام هذه المنشأة التعليمية وقالوا كيف ذلك والصالح نجم الدين أيوب لا يميل إلى مطالعة الكتب، ويؤثر العزلة على مجالسة العلماء والطلاب رغم مجيئهم من بلاد بعيدة واكتفى فقط بإطلاق الجرايات عليهم^(١)، ولعل ذلك يتفق مع ما أورده النويرى من أنه - أى الصالح - لما فرغ من عمارتها ندم لكونه لم يبنى مكانها جامعاً ويرتب فيه الدروس التى رتبها فيها^(٢) على الرغم من ذلك فقد وجدناه - أى الصالح - فيما روى عن انتقال عز الدين بن عبد السلام السلمى^(٣) من الشام إلى مصر أواخر سنة (٦٣٨هـ - ١٢٤٠م) ما يعبر عن إحترام الصالح نجم الدين أيوب للعلماء فبمجرد أن اتصل عز الدين بن عبد السلام به ولاء قضاء مصر وخطابة جامع عمرو بن العاص وعلى الرغم من وقوع الوحشة بينهما والتى أدت إلى عزل الصالح للشيخ من هاتين المهمتين فى سنة (٦٤٠هـ - ١٢١٢م). إلا أنه بمجرد أن اكتسب بناء المدرسة الصالحية فى سنة (٦٤١هـ - ١٢٤٣م) وجدناه - أى الصالح - قد أسند مهمة التدريس

(١) أحمد عزب عثمان - التربية والمجتمع، ص ٤١١ - عباس حلمى اسماعيل، السياسة الداخلية فى الدولة الأيوبية فى مصر بعد السلطان العادل، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب جامعة القاهرة ١٩٤٣م، ص ١٤٧ - محمد محمد أمين، السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب، رسالة ماجستير - كلية الآداب - جامعة القاهرة ١٩٦٨م، ص ١٩٥.

(٢) النويرى - نهاية الإرب، ج ٢٩، ص ٢٨١.

(٣) هو عبد العزيز بن عبد السلام بن القاسم بن الحسن بن محمد المذهب الشيخ السلمى الدمشقى الشافعى مولده سنة ٥٨٧هـ / ١٠٩٤م سمع بدمشق على بن عساكر ودخل القاهرة سنة ٦٣٨هـ - ١٢٤٠م وبقي يتنقل بين المناصب الهامة إلى أن مات سنة ٦٦٠هـ ١٢٦٢م.

إبن كثير، البداية والنهاية، ج ١٣، ص ٢٣٥.

الفصل الثاني

بالقاعة الشافعية إلى عز الدين هذا والتي بقي فيها إلى حين وفاته في سنة (٦٦٠هـ-١٢٦٢م)^(١)، ويبدو أن الشيخ بن عبد السلام كان يعاونه عدد من المدرسين فمن ذلك ما ذكره السبكي عن محمد بن عبد الملك القاضي وهو المتوفى سنة (٦٤٦هـ-١٢٥٨م) من أنه تولى مهمة التدريس بالمدرسة الصالحية^(٢)، وكذلك يفهم من كلام البونيني عن يوسف بن الحسن السنجاري من أنه قد تولى مهمة التدريس بالمدرسة الصالحية للطائفة الشافعية مدة وذلك في الأيام الأيوبية^(٣). وأما عن مدرسي الفئات الأخرى بالمدرسة الصالحية فلم يكن يتوفر لدينا سوى ما ذكره ابن رجب وأيده فيه المقرئ عن القاضي شمس الدين أبي بكر محمد بن العماد إبراهيم بن عبد الواحد المقدسي سنة (٦٠٣هـ: ٦٧٦هـ-١٢٠٦م: ١٢٧٧م)، من أنه أول من جلس للتدريس في قاعة الحنابلة بالمدرسة الصالحية^(٤).

(١) السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج٨، ص٢٠٩، وما بعدها - العيني - عقد الجمان، ص٣٣٩. - ابن حجر العسقلاني (أحمد بن علي ت ٨٥٢هـ-١٤٤٨م)، رفع الأثر عن قضاة مصر. تحقيق حامد عبد المجيد، ومحمد المهدي أبو سنة، ومحمد إسماعيل، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩٥٧م، ج١، ص٣٥٣-السلامي، تاريخ علماء بغداد، ص١٠٤. - رضوان على الندوي، (العز بن عبد السلام أئمة الفكر الإسلامي العربي بعد الإسلام) دار الفكر بدمشق، د. ت، ص٤٧، ٤٨.

(٢) السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج٨، ص١٠٥.

(٣) اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ج٢، ص٣٣٥.

(٤) ابن رجب (زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين أحمد ت ٧٩٥هـ-١٣٩٢م) كتاب الذيل على طبقات الحنابلة، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٣٧٢هـ-١٩٥٣م، ج٢، ص٣٩٥-المقرئ، الخطط، ج٢، ص٣٧٤.

الفصل الثانى

وقد عانت مدرسة الصالح نجم الدين أيوب كثيراً من الإهمال قبل أن تقع تحت إشراف لجنة متابعة الآثار العربية فلم يتبقى منها ما يلفت اهتمام أى شخص إن لم يكن قام بدراسة خاصة حولها ورغم قيامها على أساس وحدة عضوية إلا أنها فى الحقيقة تتكون من بنائين البناء الجنوبي والبناء الشمالى ويفصل بينهما دهليز كما هو الحال فى مسجد وضريح قلاوون على الجانب الآخر من الطريق والباب الرئيسى تعلوه مآذنه جميلة وهى تشكل مدخل هذا الدهليز والاثنان هما أقل الأجزاء المحطمة من البناء الأمامى وتحت المآذنة يوجد سقف خشبى أنيق ذو زخارف ثمانية الشكل، ولكنها ليست كالجزء الباقى حتى الآن فى مسجد الناصر بالقلعة أو فى قلعة بشتاق المحطمة بالجوار ولم يتبقى شيئاً مطلقاً من البناء الجنوبي عدا الجزء السفلى من الحائط الخارجى الذى تكس بالمنازل والمحلات الذى يشكل الآن جزء من سوق الأحذية، ومن البناء الشمالى يبقى السرداب المقفل من القاعة الغربية والذى مازال يستخدم فى العبادة بالرغم من عدم الاهتمام به^(١).

(1) Devorshire, Some Cairo Mosques And Their Founders, Constable Companylimited, London.1921, P. P. 11, 12.

Creseall, K. A. C, Op. Cit, P. P. 123, 24 .

Dimard, S. M, AHand book of muhammadan Art, Harts dale House, New York. 1974, P. 101 .

Milad Salwe, Registers Judiaires Du tribunal De la Salihiyye Nagmiyya, Annales. Islamo Logiques. Op. Cit, P163 .

الفصل الثانى

سادساً: المدارس التى لم يهتدى إلى المذهب الذى خصت من أجله :

١ - مدرسة المعظم توران شاه :

ذكر المقرئى فى حوادث سنة (٥٧٧هـ-١١٨١م) أن صلاح الدين الأيوبى كان قد عمر مدرسة على ضريح المعظم توران شاه^(١) وذلك بالإسكندرية أثناء زيارته لها^(٢)، ولم تذكر لنا المصادر أى شئ عن هذه المدرسة لامن ناحية موقعها ولا المذهب الذى أنشأت من أجله ولا عن من قام بالتدريس فيها^(٣)، وقد عثر على لوحة إنشائية بالإسكندرية يعتقد أنها تؤرخ لبناء هذه المدرسة نطالع فيها ما يلى .
"مما أمر بعمله السيد الأجل الملك الناصر جامع كلمة الإيمان قانع عبدة الصلبان، صلاح الدنيا والدين، وسلطان الإسلام والمسلمين أبو المظفر يوسف بن السيد الأجل الأ... أيوب أدام الله قدرته وأعلى أبدا كلمته، وتشرف الخافقين أعلامه (أتم) عمارتها وإنشائها الأمير الإسفهلار الكبير... زين الدين... جلا الأمراء مملوك أمير المؤمنين أبو سعيد قراجا سنة (٥٨٣هـ-١١٨٨م)"^(٤).

(١) وهو شمس الدولة توران شاه بن نجم الدين أيوب أخو صلاح الدين قدم إلى مصر فى صعبة إخوته سنة ٥٦٤ هـ ولما زالت الدولة الفاطمية أقطعه قرص وأعمالها وسيره فى سنة ٥٦٩ هـ إلى اليمن ففتحها وفى سنة ٥٧١ هـ سيره إلى دمشق فناب بها لأخيه كما ناب أيضاً له ببعلبك وفى سنة ٥٧٤ هـ دخل القاهرة وتوجه إلى الإسكندرية إلى حين وفاته سنة ٥٧٦ هـ .

المقرئى الخطط ج ٢ ص ٣٧ .

(٢) المقرئى، السلوك، ج ١، القسم الثانى، ص ٧٦ - أحمد عبد الحميد خفاجى، المرجع السابق، ص ٢٣ .

(٣) جمال الشيال، الاسكندرية طبوغرافية المدينة وتطورها من أقدم العصور إلى الوقت الحاضر، ص ٢٤٢ .

(٤) السيد عبد العزيز سالم (تاريخ الاسكندرية وحضارتها فى العصر الإسلامى) مؤسسة شباب الجامعة الاسكندرية، ١٩٨٢م، ص ٢٤٩ .

الفصل الثانى

٢ - مدرسة السديد :

أنشأها على بن محمد بن سليم بن القاضى السديد وقد وصل إلينا خبر تلك المدرسة من خلال ما أورده اليونينى عن أحمد بن على بن السديد، وذكر أنه قد درس بمدرسة أبيه التى أنشأها بزقاق القناديل بالقاهرة^(١).

ولم يكن لدينا أية معلومات عن تلك المدرسة من حيث تاريخ إنشائها ولا المذهب الذى خصصت من أجله، والذى جعلنا نميل إلى إثباتها بين مدارس مصر فى العصر الأيوبي ما أورده ابن الزيات عن أبى يعقوب يوسف الأصولى المالكى المتوفى سنة (٥٧٦هـ - ١١٨٠م) والذى قال عنه "أنه كان مدرساً بالمدرسة التى بزقاق القناديل"^(٢)، وما ذكره المنذرى عن أبى الثناء حامد بن أحمد بن حامد بن غياث الأنصارى الأرتاحى المتوفى فى سنة (٦١١هـ - ١٢١٤م) من "أنه تصدر للإقرار بمدرسة السديد الطيب المظلة على النيل مدة طويلة"^(٣).

٣ - المدرسة الصيرمية:-

والمدرسة الصيرمية هى التى أنشأها الأمير جمال الدين شويخ بن صيرم أحد أمراء الدولة الكاملية والمتوفى سنة (٦٣٦هـ - ١٢٣٨م) قال ابن عبد الظاهر أنها كانت فى الأصل سوقاً للرقيق^(٤)، وحدد المقرئى موقعها بالقرب من رأس سويقة أمير الجيوش فيما بينها وبين الجامع الحاكمى^(٥). ولم يكن لدينا أية معلومات تعيننا على تحديد تاريخ إنشاء تلك المدرسة ولا على المذهب الذى خصصت من أجله ولا حتى عن الذين جلسوا للتدريس بهذه المدرسة، وقد قال عنها صاحب الخطط التوفيقية الجديدة أنها قد زالت بعد ذلك وبنى مكانها زاوية صغيرة تعرف بزاوية سوق الصينية أغلب أوقاتها معطلة^(٦).

-
- (١) اليونينى، ذيل مرآة الزمان، ج ٣، ص ٣٥.
 - (٢) ابن الزيات، الكواكب السيارة، ص ٢٥٨.
 - (٣) المنذرى، التكملة لوفيات النقلة، ج ٢، ص ٣٢١.
 - (٤) ابن عبد الظاهر، الروضة البهية، ص ٨٦.
 - (٥) المقرئى، الخطط، ج ٢، ص ٣٧٨.
 - (٦) على مبارك، الخطط التوفيقية الجديدة، ج ٦، ص ٢٢.

الفصل الثانى

٤ - المدرسة المسرورية:

حدد موقعها ابن عبد الظاهر عند بنائها بحارة الأمراء^(١) وهى منسوبة إلى شمس الخواص مسرور أحد خدام القصر فى العصر الفاطمى وقد إمتد به العمر إلى أيام صلاح الدين الأيوبى فأختص بخدمته ومات فى أيام سلطنة الكامل على مصر، وقد تحولت داره بعد وفاته إلى هذه المدرسة بناءً على وصية منه بذلك.^(٢) ولم يتضح لنا بعد ذلك نوع الدراسة ولا المذهب التى وقفت عليه هذه المدرسة، والتى صارت بعد ذلك زاوية متخربه برأس حارة درب شمس الدولة بالسكة الجديدة. تجاه عطفة جامع الجوهري^(٣).

(١) ابن عبد الظاهر، الروضة البهية، ص ٩٠- القلقشندى، صبح الأعشى، ج ٣ ص ٤٠٢ .

(٢) المقرئى، الخطط، ج ٢، ص ٣٧٨ .

- أخطأ كروسويل فى تحديد إنشاء المدرسة المسرورية حيث ذكر أنها أنشأت فى عام (٦١٠هـ-١٢١٣م).

Creswell, K. A. C Op. Cit. P. 130 .

(٣) على مبارك (الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهره، ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة) ج ٦، ص ٣٧ .

الفصل الثالث

التنظيمات المالية والإدارية للمدارس في مصر
في العصر الأيوبي

الفصل الثالث

الفصل الثالث

التنظيمات المالية والإدارية للمدارس في مصر

في العصر الأيوبي

على الرغم من كثرة عدد المدارس في العالم الإسلامي، إلا أننا لم نعثر في المصادر أو المراجع التاريخية ما يفيد بأن الدولة كان لها سياسة معينة تدير وفقها هذه المدارس أو تلتزم بأحكامها، إلا أن حجج الوقف والحبوس التي حبست عليها كانت بمثابة الدستور الذي نظم الحياة بتلك المعاهد الدراسية، إذ لم يقتصر أثر الأوقاف على الموارد المالية فحسب بل شمل كذلك كافة الجوانب التعليمية والدينية والإدارية، ومن ثم فإنه يمكن القول بأن حجة الوقف كانت أشبه ما يكون باللائحة الأساسية للمدرسة التي تضم الأسس التربوية للتعليم موضعاً بها الشروط الواجب توافرها في المدارس والمدارس على حد سواء، وما يتبع ذلك من النظم والقواعد الإدارية والمالية ولم يكن معنى ذلك أن العملية التعليمية في المدارس الإسلامية قد تركت لأهواء مؤسسيها بل أن الأصل في ذلك أنه مادامت أهواء هؤلاء تتفق والسياسة العامة التي تنتهجها دولهم فلا مانع في ذلك والحق أن سياسات الدول في ذلك الوقت كان لا يحددها دستور أو قانون بأكثر ما كان يحددها الملوك والسلاطين، والذي يهمنا في ذلك الموضوع ما كتب عن المدارس الإسلامية في مصر في العصر الأيوبي وكيف أن ملوك تلك الأسرة كانوا قد ساهموا في إحياء حركة مدرسية كبيرة بمصر وبخاصة زمني صلاح الدين والكامل، جاء ذلك تابعاً لما ورثه هؤلاء من السلاجقة والزنكيين وهو أن العلم أساس للحكم والسياسة^(١)، ولذا فإننا

(1) Stanley Lane- Poole, Saladin and the Fall of The Kingdom of Jerusalem. Khayats, Beirut, 1964. p. 108.

الفصل الثالث

سوف نلاحظ أن هؤلاء الملوك كانوا قد بدأوا سياستهم بالتركيز على المؤسسات العلمية وبخاصة المدارس فأنشأوا منها ما أشرنا إليه فى الفصل السابق فكان ذلك فى الوقت نفسه دعوة للوزراء والأمراء والعلماء والتجار وغير هؤلاء من القادرين للإكثار من إنشاء المدارس^(١)، وليس ذلك فحسب بل أننا سوف نرى محاكاتهم الملوك فى أوقافهم على المدارس وما يتبع ذلك من تنظيمات مالية وإدارية.

أولاً: تمويل البناء :-

ينبغى علينا فى ذلك الموضوع أن نميز بين نوعين من المدارس وهما المدارس الحكومية والمدارس الخاصة.

(١) المدارس الحكومية :-

وهى المدارس التى أنشأها سلاطين البيت الأيوبي وكان أول ما يميزها عن غيرها هو أن أماكن إنشائها كان مختاراً بعناية^(٢)، بحيث يضمن ذلك لها البقاء والاستمرار فإما أن تكون موضعاً بجوار جامع له من الشهرة والمكانة الواسعة كالمدرسة الناصرية الأولى والمدرسة القمحية اللتان أنشأهما صلاح الدين بجوار الجامع العتيق أو بجوار أحد المشاهد العامة كالمشهد الحسينى ومشهد الإمام الشافعى وإما أن تكون جزءاً من جملة القصر الفاطمى وبالمواضع العامرة كخط

(١) أحمد عبد الحميد خفاجى، المرجع السابق، ص ٢٥.

(٢) أحمد فؤاد سيد، نظم الحكم والإدارة فى العصر الأيوبي بمصر، رسالة ماجستير

غير منشورة، كلية الاداب، جامعة عين شمس ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، ص ٢٨١.

الفصل الثالث

بين القصرين وبالأسواق الكبيرة^(١)، ولكى نوضح أهمية تلك النقطة ينبغى علينا أن نشير إلى ما كتبه المقرئى عن الأسباب التى عجلت بخراب المدرسة العاشورية وفى ذلك يقول "وقد تلاشت هذه المدرسة وصارت طول الأيام مغلقة لاتفتح إلا قليلاً فإنها فى زقاق لايسكنه إلا اليهود ومن يقرب منهم فى النسب"^(٢).

ومن ناحية أخرى فقد تميزت المدارس السلطانية باتساع بناءها وعظم تأسيسها وعلى الرغم من أن النصوص التاريخية التى توافرت لنا قد أوضحت ذلك إلا أنها لم تعيننا فى الرد على تساؤل هام حول ما إذا كانت تلك النفقات السلطانية من بيت مال المسلمين أم من أموالهم الخاصة، ومن تلك النصوص الهامة ما دونه ابن جبير من مشاهدته فى السنة (٥٧٨هـ-١١٨٢م) فيما كان يجرى بجوار القبر الشافعى إذ يقول "وبإزائه -أى القبر الشافعى- مدرسه لم يعمر بهذه البلاد مثلها لا أوسع مساحة ولا أحفل بناء، يخيل لمن يتطوف عليها أنها بلد مستقل بذاته وبإيزائها الحمام إلى غير ذلك من مرافقها، والبناء فيها حتى السعة والنفقة عليها لا تحصى تولى ذلك بنفسه الشيخ الإمام الزاهد المعروف نجم الدين الخبوشانى وسلطان هذه الجهات صلاح الدين يسمح له بذلك كله ويقول زد احتفالاً وتأنقاً وعلينا القيام بمؤنة ذلك كله فسبحان الذى جعله صلاح دينه كاسمه"^(٣).

(١) ابن ظهيرة، الفضائل الباهرة فى محاسن مصر والقاهرة، تحقيق مصطفى السقا، كامل المهندس، مركز تحقيق التراث وزارة الثقافة، القاهرة، ١٩٦٩م، ص ١٩٠- أندريه ريموت، القاهرة، تاريخ حاضرة، ص ٩٢.

(٢) المقرئى، الخطط، ج ٢، ص ٣٦٨.

(٣) ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص ٥٠.

- Creswell, K.A.C., Op.Cit, p. 4.

الفصل الثالث

والذى يزيد الأمر غموضا حول تلك النقطة ما كتب عن صلاح الدين نفسه قبل زوال الدولة الفاطمية، وأثناء وزارته للعاضد آخر خلفائهم من بنائه لمدرستين أحدهما كانتا سجنا للمعونة وهى الناصرية الأولى وأما الأخرى فهى التى كانت دار الغزل فحولها صلاح الدين إلى المدرسة التى عرفت بعد ذلك بالمدرسة القمحية وبالطبع فإن هذين الموضوعين كانا من بين ممتلكات بيت المال، وكذلك الأموال التى أنفقت على بنائها كانت أيضا خاصة ببيت المال ولا نستطيع قبول ذلك إلا على اعتبار أن صلاح الدين كان قد اطلقت يده فى أموال الخلفاء الفاطميين يتصرف فيها كيفهما شاء إلى الحد الذى ينفق منها على بناء مؤسسات كهاتين المدرستين لدراسة فقهاء مالكا والشافعية، ومن الطبيعى أن يستمر ذلك الحال فى زيادة بعد زوال الدولة الفاطمية، وانفراد صلاح الدين بالملك: وإن كان ذلك هو الحال فى دولة صلاح الدين فقد قنع خلفاؤه من بعده (ولده العزيز وأخوه العادل) بما أحدثه فى ذلك الجانب فكانت أول مدرسة حكومية تقابلنا بعد ذلك العصر المدرسة الكاملية، والتى حكى لنا ابن إياس عنها أن البناء فيها قد استمر طوال سبع سنوات حتى تمت فى سنة (٦٣٠هـ - ١٢٣٢م)، "قيل لما حفر أساس هذه المدرسة وجد فيه صنم كبير من الذهب فأمر الملك الكامل أن يسبك دنائيرا ويصرف على بناء هذه المدرسة" (١).

وكانت المدرسة الصالحية آخر المدارس السلطانية التى ينطبق عليها نفس الشئ فقد استمر البناء بها سنتين (٦٣٩هـ: ٦٤١هـ - ١٢٤١م: ١٢٤٣م) (٢). وقد

(١) إبراهيم بن وصيف، تاريخ أخبار الديار المصرية وما فى ذلك من جواهر البحور ووقائع الأمور وعجائب الدهور، ورقه ٦٩.

- ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١، القسم الأول، ص ٢٦٤ - عباس حلمى إسماعيل، السياسة الداخلية بمصر بعد الملك العادل، ص ٥٩.

(2) Mahmud Ahmed, Guide des Principaux Monuments Arabes Du Caire, Impimeire Nationale, Bulak, Cairo 1939, p. 103.

الفصل الثالث

ذكر لنا المقرئ أن الصالح أيوب كان قد استخدم أسرى الفرنج في بناء المدرسة الصالحية^(١) وعلى الرغم من قيام الصالح نجم الدين أيوب بعمله الضخم هذا والذي خلد إسمه على مر العصور التالية إلا أنه وعلى جد قول النويري قد ندم على بناء تلك المدرسة بعد اتمامها وتمنى لو كان قد بنى جامعاً^(٢) ولانعلم عن الأسباب التي دعت الصالح للندم على بناء المدرسة أى شىء يذكر.

ب) المدارس الأهلية :-

جاءت هذه المدارس أقل من المدارس الحكومية من ناحية الاتساع حيث أن إمكانيات الأفراد أقل من إمكانيات الحكومة الأيوبية، وأول ما يمكن الإشارة إليه فى ذلك الصدد أن مدارس الوزراء والأمراء جاءت مشابهة إلى حد كبير لمدارس الملوك والسلاطين مثل المدرسة التقوية التي اشترى مؤسسها تقي الدين عمر موضعها من بيت المال كما أشرنا إلى ذلك فى الفصل السابق، والتي كانت فى موضع متميز وهو الأمر الذى سهل لها مهمة القيام بدورها المطلوب، وينطبق ذلك أيضاً على المدرسة السيفية والتي كانت فى الأصل موضعاً يسكنه مؤسسها سيف الإسلام طغتكين، ونفس الشىء يقال على المدرسة الشرفية والمدرسة الفخرية، وكذلك المدرسة الفائزية والتي قال ابن العميد عن مؤسسها الأسعد شرف الدين بن هبه الله الفائزى "أنه كان له أموال كثيرة وعمر مدارساً ومساجداً وأوقف عليها الأوقاف الكثيرة"^(٣).

(١) المقرئى، السلوك، ج ١، القسم الأول، ص ٣٠٥.

(٢) النويرى، نهاية الأرب، ج ٢٩، ص ٢٨١.

(٣) ابن العميد (المكين جرجس بن العميد)، أخبار الأيوبيين، طبع المعهد الفرنسى، دمشق،

الفصل الثالث

وأما بقية الطوائف فقد سارعوا إلى محاكاة ساداتهم فكانوا يبذلون كل ما هو غال ورخيص، فهذا شمس الخواص مسرور قد أوصى ببناء مدرسة من ثمن ضيعة له بالشام^(١)، وكذلك كانت مدرسة ابن رشيق من جملة الأموال التي جمعت من التجار الوافدين من بلاد التكرور^(٢) وقد ينطبق ذلك أيضا على مدرسة ابن صيرم التاجر العسقلاني ومدرسة الزكي التاجر وغيرهم ممن ساهموا في إحياء تلك الحركة بمصر.

ثانياً: الأوقاف :-

لم يغفل بناء المدارس بمصر عن وقف الأوقاف عليها، حتى تؤدي رسالتها على خير وجه ولم يكن ذلك الاتجاه غريب في المدارس الأيوبية بمصر بل سبقهم إلى ذلك بناء المدارس في العالم الإسلامي من قبلهم، وبالطبع فإن تلك الأوقاف والحبوس كانت تؤول إلى ديوان الأعباس الذي صار من بين مهامه الرئيسية الإشراف على أوقاف المدارس^(٣)، والحق أن صلاح الدين كان أول من اهتم بتلك الخطوة فبمجرد أن تم بناء المدرسة الناصرية الأولى أوقف عليها الصاغة التي بجوارها وقرية بالفيوم^(٤).

(١) المقرئى، الخطط، ج ٢، ص ٣٧٨.

(٢) ابن دقماق، الانتصار، ص ٩٦.

- بلاد التكرور: وهى بلاد تنسب إلى قبائل من السردان فى أقصى جنوب المغرب وأهلها أشبه الناس بالزنوج.

- ياقوت الحموى، معجم البلدان، ج ٢، ص ٣٨.

(٣) النابلسى (عثمان بن إبراهيم)، لمع القوانين المضية فى دوواين الديار المصرية، الناشر مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ص ٢٥، القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٥، ص ٣٢٧.

(٤) المقرئى، الخطط، ج ٢، ص ٣٦٣.

الفصل الثالث

ونفس الشيء فعله بالمدرسة القمحية (٥٦٦هـ - ١١٧٠م)، والتي أوقف عليها قيسارية الوراقين، وضيعة بالفيوم تعرف بالحنبوشييه وقرية بها تعرف بالاعلام^(١)، وكذلك أوقف صلاح الدين على المدرسة السيوفية اثنتين وثلاثين حانوتاً بخط سويقة أمير الجيوش وباب الفتوح^(٢) وحارة بروجوان^(٣)، وكذلك أوقف على المدرسة الناصرية الثانية حماماً بجوارها وفرنّاً تجاهها وحنانيتا بظاهرها والجزيرة التي يقال لها جزيرة الفيل ببحر النيل خارج القاهرة^(٤).

ولم تقف نفقات صلاح الدين على المدارس عند ذلك الحد بل تعدتها إلى الإنفاق على المدارس التي أنشأت بمصر والشام على وجه العموم سواء كان هو واقفها أو غيره، وذلك من أموال بيت المال، وفي ذلك يقول ابن جبير "ومن العجب أن بالقرافة المذكورة مساجدا مبنية ومشاهدا مغمورة يأوى إليها الغرباء والعلماء والصلحاء والفقراء والاجراء على كل موضع منها متصل من قبل السلطان في كل شهر، والمدارس التي بمصر والقاهرة كذلك، وقد تحقق عندنا أن الاجراء على ذلك كله نيف على ألفى ديناراً مصريه في الشهر ويقول أيضاً "وما منها - أى مصر جامع من الجوامع ولا مسجد من المساجد ولا روضة من الروضات المبنية على القبور ولا محرس من المحارس ولا مدرسة من المدارس إلا وفضل السلطان يعم جميع من

(١) المقرئى، الخطط، ج ٢، ص ٣٦٤ - ابن دقماق، الانتصار، ص ٩٥ - النابلسى، تاريخ الفيوم وبلاده، ص ٦٠.

(٢) هو أحد أبواب مدينة القاهرة المعزية وضعه أمير الجيوش وكان قبله يطلق ذلك الاسم على باب آخر كان قد وضعه جوهر الصقلى ثم أن أمير الجيوش غير موضعه وأطلق عليه نفس الاسم.

- المقرئى، الخطط، ج ١، ص ٣٨١.

(٣) المقرئى، الخطط، ج ٢، ص ٣٦٦.

(٤) المقرئى، الخطط، ج ٢، ص ٤٠٠.

الفصل الثالث

يأوى إليها ويلزم السكنى فيها تهون عليه في ذلك نفقات بيوت الأموال^(١) ويروي لنا المقرئ في نفس الاتجاه من أن "صلاح الدين لما دخل إلى دمشق في السابع عشر من ذي القعدة سنة (٥٧١هـ - ١١٧٥م) وكان دخوله يوما مشهودا فأحسن إلى الناس وخلع على الأعيان وتصدق على أهل المدارس والربط وأرباب البيوت بأربعين ألف درهم وسار بعد خمسة عشر يوما إلى بعلبك فرتب أحوالها وأعطى لأهل المدارس والربط وأرباب البيوت عشرين ألف درهم وسار إلى بصرى^(٢)، وقد تسلمها نواب السلطان من الأمير سيف الدين غازي^(٣) نائب الملك الصالح إسماعيل فتصدق على مدارس بصرى، وربطها وأرباب البيوت بعشرين ألف درهم"^(٤).

وهناك معلومات أخرى متفرقة في المصادر التاريخية تشير إلى اهتمام صلاح الدين بأحوال العلماء والفقهاء من الناحية الإقتصادية وذلك لضمان استمرارهم في

(١) ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص ٥١، ٥٣.

(٢) وهي بلدة بالشام من أعمال دمشق وهي قصبة حوران وأما عن أول ذكر لها في الإسلام فإن خالد بن الوليد لما سار لمدد أهل الشام قدم على المسلمين وهم نزول في بصرى فضايقوا أهلها حتى صالحوهم على أن يؤدوا عن كل حالم دينار وجريب خنطه وفتح المسلمون صيغ أرض حوران وغلبوا عليها وقتلوا سنة ١٣هـ - ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص ٤٤١.

(٣) هو الملك غازي بن مودود بن زنكي بن آق سنقر التركي وابن أخى السلطان الملك العادل نور الدين محمود كان غازي من أحسن الناس صورة وكان وقورا عاقلا غيورًا ما يدع خادما بالغًا يدخل داره على حرمة وكان طاهر اللسان عفيفًا عن أموال الناس، قليل السفك للدماء مع شح كان فيه (ت ٥٧٧هـ - ١١٨١م).

- ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج ٦، ص ٨٨.

(٤) المقرئ، السلوك، ج ١، القسم الأول، ص ٣٢٦.

الفصل الثالث

الخطاء فمن ذلك ما ذكره ابن شداد بأنه - أى صلاح الدين - قد مر على صغير بين يدي أبيه وهو يقرأ القرآن فاستحسن قراءته فقربه وجعل له حظاً من خاص طعامه ووقف عليه وعلى أبيه جزءاً من مزرعة^(١)، وما ذكره المقرئى من أن "صلاح الدين كان قد أوقف صادر الفرنج (أى غنائم الحرب مع الفرنجة) على الفقهاء بالإسكندرية"^(٢).

وعلى الرغم من ذلك فقد اهتم مؤسسوا المدارس بمصر طوال العصر الأيوبي بأن يوقفوا عليها الأوقاف المناسبة لضمان بقائها وبالطبع فقد تأثرت تلك الأوقاف بأحوال مؤسسيها المالية، ولذا فقد وجدنا أولى الثروة والجاء قد جاءت أوقافهم على مدارسهم كبيرة كتقى الدين عمر الذى أوقف على مدرسه منازل العز الحمام المجاور لها وما حولها وعمر الإسطبل المجاور لها فندقاً وأوقفه عليها ووقف عليها جزيرة الروضة^(٣) وكذلك أوقف على المدرسة التقوية الشافعية بمدينة الفيوم ضيعة تعرف بالروبيون^(٤) وكذلك أوقف على مدرسته التى أوقفها بالفيوم على الفقهاء

(١) ابن شداد، سيرة صلاح الدين، ص ٩.

(٢) المقرئى، السلوك، ج ١، القسم الأول، ص ٦٣.

(٣) المقرئى، الخطط، ج ٢، ص ٣٦٤ - ابن دقماق، الانتصار، ج ٤، ص ٩٣.

جزيرة الروضة وهى محلة من محال الخطاط وإنما سميت جزيرة لأن النيل إذا فاض احاط بها الماء وحال بينها وبين عظم الفسطاط واستقلت بنفسها وبها أسواق وجامع ومنبر وهى من متنزهات مصر فيها بساتين، وللشعراء فى وصفها إشعار كثيرة .

- ياقوت الحموى ، معجم البلدان، ج ٢، ص ١٣٩.

(٤) النابلسى، تاريخ الفيوم، ص ٦٠.

الفصل الثالث

المالكية ضيعة أخرى بنفس المدينة تعرف بقشوش^(١)، وكذلك أوقف ابن الأرسوفى على مدرسته التي أوقفها على الفقهاء الشافعية بمصر أوقافاً كبيرة ذكرها لنا ابن دقماق وهي حوانيت داخل البزارين وداخل الزقاق المسلوك فيه على النخالين والقيسارية الكبرى ذات البابين المقابل بعض حوانيتها لبعض حوانيت شبل الدولة بجميع حوانيتها التى بباطنها وظاهرها وجميع القيسارية الصغرى الملاصقة لجدار هذه القيسارية القبلى المتوصل إليها من زقاق العاقد^(٢) ومن جهة أخرى قد جاءت أوقاف بعض المدارس ضعيفة كالمدرسة المسروورية التى اوقف عليها فندق صغير^(٣)، وأما مدرسة ابن رشيق فما لها إعانة إلا من جهة قبائل الشكرور فى كل سنة وأوقافها ضعيفة^(٤) وأما المدرسة القوصية فلم يكن لها وقف بالديار المصرية ويقال إن لها وقفاً بالشام^(٥) ولم يكن ذلك الأمر غريباً فقد كان للمدرسة الفتحية بدمشق أوقاف بالديار المصرية سنة (٦٢٦هـ - ١٢٢٩م) على حد قول النعيمى^(٦)، ومن أصغر الأوقاف التى وقفت عليها لمدرسة بمصر فى ذلك العصر وقف المدرسة الشافعية الحسامية بمدينة الفيوم ووقفها جزء من بستان صغير بمنية الأسقف بمدينة الفيوم ومجموع ما يتحصل منه سنوياً ١٧٧ درهماً^(٧).

ولقد لعبت تلك الأوقاف والإقطاعات دوراً هاماً فى استمرار تلك المدارس فى أداء مهمتها التعليمية خلال ذلك العصر، فالمقرئى يذكر لنا عبارات عند ذكره

(١) النابلسى ، تاريخ الفيوم، ص ١٤٣.

(٢) ابن دقماق، الإنتصار، ج٤، ص ٩٨.

(٣) المقرئى - الخطط، ج ٢، ص ٣٧٨.

(٤) ابن دقماق، الإنتصار، ج٤، ص ٩٦.

(٥) ابن عبد الظاهر، الروضه البهيه، ص ٩٣.

(٦) النعيمى، الدارس فى تاريخ المدارس، ج ١، ص ٥٦٠.

(٧) النابلسى، تاريخ الفيوم، ص ١٧٧.

المنصل الثالث

للمدارس في مصر تدل دلالة واضحة على أهمية الأوقاف بالنسبة للمدارس لأنها تعمل على تثبيت أركانها وتكفل لها الاستقرار والاستمرار وتجنبها الاندثار والزوال، ومن هذه العبارات التي ذكرها المقرئى مثلاً عند حديثه عن المدرسة الناصرية الأولى " أنه ولولا ما يتناوله الفقهاء من المعلوم بها لخرت فإن المزايل ملاصقة لها بعدما كان حولها أعمر موضع في الدنيا^(١) "، ويقول كذلك عن المدرسة القمحية "وقد أحاط بها الخراب ولولا ما يتحصل منها للفقهاء فيها لدثرت"^(٢).

والحق أن أوقاف المدارس في مصر في العصر الأيوبي قد ساهمت وبشكل ملحوظ في استقرار أحوال المدرسين والمعيددين والطلبة فقد كانت رواتب هؤلاء عالية ولائقة بمنزلتهم ومكانتهم يقول المقرئى خلال حديثه عن المدرسة السيوفية "أن صلاح الدين قرر في تدريسها الشيخ مجد الدين محمد بن محمد الجبتي ورتب له في كل شهر أحد عشر ديناراً وباقي ريع الوقف يصرفه على ما يراه لطلبة الحنفية المقررين عنده على قدر طبقاتهم وجعل النظر لمجد الدين الجبتي ومن بعده إلى من له النظر في أمور المسلمين"^(٣). ويقول أيضاً عند حديثه عن المدرسة الناصرية الثانية "من أن صلاح الدين رتب بها مدرساً^(٤) يدرس الفقه الشافعي وجعل له في كل شهر من المعلوم عن التدريس أربعين ديناراً وعن معلوم النظر في أوقاف المدرسة عشرة

(١) المقرئى، الخطط، ج ٢، ص ٣٦٤.

(٢) المقرئى، الخطط، ج ٢، ص ٣٦٤.

(٣) المقرئى، الخطط، ج ٢، ص ٣٦٥.

(٤) كشف لنا السيوطي عن شخصية هذا المدرس وقال أنه نجم الدين الخبوشاني وهذا يتفق مع

ما سبق ذكره من أن الخبوشاني كان أول مدرس بالمدرسة الناصرية الثانية.

- السيوطي، حسن المحاضرة، ج ٢، ص ٢٥٧- انظر الرسالة الفصل السابق.

الفصل الثالث

دنانيير ورتب له من الخبز في كل يوم ستين رطلاً بالمصرى وراويتين من ماء النيل^(١).

وهذان النصان وإن كانا قد ارتبطا بمدرسى المدارس السلطانية إلا أننا نستطيع أن نقف منهما على نتيجة مؤداها أن رواتب المدرسين وغيرهم من العاملين والقائمين بالمدارس الأيوبية بمصر قد اختلفت باختلاف ريع الوقف الموقوف على كل مدرسة وكذا مكانه كل مدرس أو معيد أو غيرهم من الهيئة التعليمية^(٢).

التنظيمات الإدارية بالمدارس :-

كانت المدارس الإسلامية قبل العصر الأيوبي قد اكتملت من الناحية الإدارية، ولم يكن ما أحدثه الأيوبيون في مصر في تلك الناحية سوى النقل والتقليد وفيما يلي سوف نتعرض لأهم النصوص التاريخية التي أفادت الباحث . وذلك من خلال الحديث عن أهم الوظائف التعليمية والتنظيمات الإدارية داخل تلك المدارس.

أولاً: المدرسون :

والحق أننا لا نملك نصاً صريحاً معاصراً لتلك الفترة قام بتعريف تلك الوظيفة، وليس لدينا سوى نصين متأخرين عن تلك الحقبة أحدهما للسبكي في كتابه (معيد النعم ومبيد النقم) وأما الآخر فللقلقشندي في كتابه (صبح الأعشى)، وموجز ذلك أنه الشخص الذي أسند إليه مهمة تدريس الفقه أو الحديث أو التفسير في إحدى

(١) المقرئى، الخطط، ج ٢، ص ٤٠٠.

(٢) محمد محمد أمين على، السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب، ص ١٩٤ - حسنين

محمد ربيع، النظم المالية في مصر زمن الأيوبيين، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٩٠،

ص ٧٥ وما بعدها.

الفصل الثالث

المدارس يكون ذلك مطابقا لشروط الواقف لايزيد ولاينقص^(١) وبالعودة إلى ماكتب عن مدرسى تلك الفترة اتضح لنا مايلي :-

١ - ان المدرسين كانوا هم الدافع الأول وراء إنشاء الأيوبيين للمدارس^(٢)، وقد لاحظنا خلال الفصل السابق أن كثيرا منها قد أنشئ من أجل مدرس بعينه إلى الحد الذي كانت تعرف باسمه بأكثر ما كانت تعرف باسم واقفها كالمدرسة الهكارية، والمدرسة الغزنوية، ومدرسة ابن رشيق، وكذلك المدرسة الناصرية الأولى التي عرفت في كثير من الأحيان بإبن زين التجار وأحيانا أخرى بالمدرسة الشريفة، نسبة إلى إثنين من أهم من قاموا بالتدريس بها^(٣) ويدعونا ذلك إلى اعتبار أن المدرسين كانوا بمثابة النواة الحقيقية للمدارس ودعامة من الدعائم الرئيسية التي ساهمت في انتشارها في تلك الفترة بالذات إذ أن المدارس بمصر في ذلك الوقت كانت بالأمر الجديد والتي لم تكن قد اكتملت صورتها في عقول المصريين لذا فقد حرص مؤسسوا المدارس الأيوبية بمصر على استقطاب المشاهير من العلماء للتدريس بمدارسهم^(٤).

(١) السبكي (تاج الدين أبو النصر عبد الوهاب ت ٧٧١هـ-١٣٦٩م)، معيد النعم ومبيد النقم. تحقيق محمد علي النجار، وأبو زيد شلبي ومحمد أبي العيون، القاهرة، ط٢، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م، ص ١٠٥- القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٥، ص ٤٣.

(2) Stanley Lane- Poole. Op. Cit. p. 108.

(٣) انظر الفصل السابق.

(٤) إيرا الابدوسي، السياسة الدينية في عهد الأيوبيين وتطور المذاهب الشيعية في القاهرة، أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة، مطبعة دار الكتب، القاهرة، ١٩٧٠م، ج ١، ص ٢٥٤.

- Devonshire, Moslem Builders of Cairo, Schindler, Cairo 1943, p. 43.

الفصل الثالث

٢- كانت تولية المدرسين فى أول أمر أى مدرسة من المدارس بيد واقفها وأما بعد ذلك فإنها تصبح من مهام ناظر الأوقاف بالديار المصرية يولى بها من يراه صالحاً لتلك المهمة، ولذلك فقد ذكر لنا النابلسى عن ناظر الأوقاف "أنه ينبغى أن يكون عالماً متفنناً مفتياً فى أنواع من العلوم مشاركاً فى الفضائل والأدب شريف المهمة عظيم المقدار فى نفسه فإنه يحكم على العلماء والفقهاء والقراء والمحدثين والفضلاء والخطباء والمتصدرين والمدرسين وأئمة المساجد ينفرد بالإطلاق لمن يختار ما يختار ينفذ توقيعه من غير إذن السلطان وبغير إحاطة علمه فإن العادة أن يستقل بالإطلاق ما شاء لمن شاء ويبقى ما يطلقه مؤيداً لمن أطلق له ولورثته من بعده فيحتاج من يكون له هذه المنزلة ويوثق به هذه الثقة ويلى على هذه الطائفة أن يكون من المشهورين بالدين والعلم الكبير والنزاهة والعفاف وحسن السمعة وأن يكون أهلاً بما فيه من العلم لأن يعرف من يصلح للتدريس والتصدر والخطابة والإمامة وشروط ذلك بعيداً عن الهوى، وقبول رشوة يفضح بها نفسه عند هذه الطائفة فليكن أهلاً لتردد العلماء والقراء والفضلاء إليه^(١)".

وعلى الرغم من ذلك فقد وجدنا تدخل الملوك الأيوبيين فى تولية وعزل المدرسين، ولعل أكبر شاهد على تلك الحقيقة ما حدث بالمدرسة الكاملية من تدخل الملك الكامل فى تولية ابن دحية^(٢) مدرسا بها ثم عزله بعد ذلك

(١) النابلسى، لمع القوانين المضيه فى دواوين الديار المصرية، ص ٢٦.

(٢) هو أبو الخطاب عمر بن الحسن بن على بن محمد بن فرج بن خلف بن خليفه الكلبى الحافظ، مولده بالمغرب سنة ٥٤٦هـ-١١٥١م طاف البلاد ودخل مصر وحكاياته مع الملك الكامل مشهورة ومعروفة توفى بمصر سنة ٦٣٣هـ-١٢٣٥م.

- ابن كثير، البدايه، النهايه، ج ١٣، ص ١٤٤ وما بعدها.

الفصل الثالث

وتولية أخيه بدلا منه^(١)، وذلك على الرغم من حماس الكامل الشديد لابن دحية وهو الأمر الذى يفهم من خلال ما كتبه السلامى رواية عن أبى اسحق إبراهيم بن خلف منصور الغسانى من أنه "لما دخل مصر تكلم فى أبى الخطاب بن دحية فشكاه ابن دحية إلى الملك الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن أيوب فأمر الكامل بضربه بالسياط، وطيف به على جمل مبالغته فى اهانتته وأخرج من ديار مصر^(٢)".

ويروى لنا المؤرخون عن الأسباب التى جعلت الكامل يتغير على ابن دحية وتفصيل ذلك أن الناس كانوا قد تكلموا فى أبى الخطاب ونسبوه إلى التزبد فى كلامه مع ما كان يعانيه من الوقوع فى بعض العلماء، فمن ذلك ادعاءه بنفسه بذى النسبين (دحية- الحسين) ودحية باجماع المحدثين لم يعقب كما حكى أبو الخطاب أنه كان يدعى أن له بالمغرب أموالاً عظيمة وأملاكاً كثيرة وغير ذلك من عظم القدر والجاه والمال، وذكر ذلك للملك الكامل فتعجب من ذلك وذكر أنهم قوم فقراء لا يؤيه لهم فى تلك البلاد وليس لهم بها ذكر^(٣)، وكما حكى عن أبى الخطاب من أنه مع فرط معرفته وحفظه كان مهتماً بالمجازفة فى النقل فبلغ ذلك الملك الكامل فأمره أن يعلق شيئاً على كتاب الشهاب فعلق كتاباً فيه على أسانيده وأراه الكامل. فقال له الكامل بعد أيام ضاع منى الكتاب فعلق لى مثله ففعل فكان متنافياً للأول، فعلم السلطان صحة ما قيل غنه وعزله من المدرسة الكاملية وولى مكانه أخاه الإمام أبو عمرو اللغوى^(٤).

(١) انظر الفصل السابق.

(٢) السلامى- تاريخ علماء بغداد، ص ٩.

(٣) اليونينى- ذيل مرآة الزمان، ج ٢، ص ٤٢٧.

(٤) الذهبى تذكرة الحفاظ، ج ٤، ص ١٤٢١، ١٤٢٢، اليونينى، ذيل مرآة الزمان، ج ٢،

الفصل الثالث

٣- إن وظيفة التدريس لم تكن من الوظائف المستقلة في مصر في العصر الأيوبي إذ تروى لنا المصادر التاريخية عن بعض المدرسين الذين جمعوا بين وظيفة التدريس في إحدى المدارس الأيوبية بمصر، وبين وظائف أخرى كالخطابة، والإفتاء، والقضاء في الوقت نفسه فمن ذلك ما كتبه الإدقوى عن القاضي أبي الطاهر اسماعيل^(١) من أنه كان حاكماً بأسوان ومدرساً بمدرستها^(٢) وكذلك ما حكى عن العز بن عبد السلام أنه كان يجمع بين يديه كل من القضاء والخطابة بجامع مصر والتدريس بالمدرسة الصالحية^(٣)، وكذلك يفهم من كلام ابن حجر العسقلاني عن القاضي عماد الدين ابن السكري^(٤) أنه كان يجمع بين وظيفتي القضاء والتدريس في أكثر من مدرسة والخطابة بالجامع الحاكمي إذ ذكر أن عماد الدين لما هم على عدم العوده بعد العزل عن القضاء عزل من تدريس المدرسة الصلاحية المجاورة لضريح الشافعي، وتدريس المشهد الحسيني، وخطابة الجامع الحاكمي، وتدريس المدرسة المعروفة بمنازل العز^(٥).

(١) هو أبو الطاهر اسماعيل بن محمد بن حسان الأسواني الأنصاري الشافعي المتوفى سنة ٥٩٩هـ-١٢٠٢م.

راجعته في الفصل السابق، ص

(٢) انظر الفصل السابق.

(٣) الدارودني، طبقات المفسرين، ج ١، ص ٣١٨.

(٤) هو عبد الرحمن بن محمد بن عبد العلي بن علي المصري عماد الدين بن السكري الشافعي مولده بمصر سنة ٥٣٣هـ-١١٣٨م تفقه على الشهاب الطوسي بمدرسة منازل العز التي درس فيها بعد ذلك وكانت وفاته بمصر سنة ٦٢٤هـ-١٢٢٧م ودفن بها.

- النويري- نهاية الأرب، ج ٢٩، ص ١٤٢.

(٥) ابن حجر العسقلاني، رفع الأثر، ج ١، القسم الأول، ص ٣٤١.

الفصل الثالث

٤- وكما لاحظنا أيضا فى بعض المدارس أن عائلات بعينها قد تولت مهمة التدريس بها بمعنى أن الإبن كان يلي أبيه فى مهمة الجلوس لتلك المهمة كعماد الدين بن السكرى وأولاده الذين تولوا مهمة التدريس بالمدرسة التقوية واحداً تلو الآخر، ونفس الشئ بالمدرسة الناصرية الأولى إذا تولها صدر الدين بن حموية^(١) وأولاده من بعده وقد وجدنا تلك الظاهرة بالمدرسة السيوفية ومدارس أخرى^(٢)، والظاهر أن تلك العادة قد بلغت حد العرف الواجب اتباعه على أولى النظر فى تلك الأمور، ويتضح ذلك من خلال ما ساقه إلينا المؤرخون عن خبر مؤداه أن الملك الظاهر بيبرس لما أحس بدنو أجل الشيخ عز الدين بن عبد السلام مدرس الصالحية سعى إليه وسأله عن من يوصى من أولاده ليكون خلفا له فى التدريس بالمدرسة المذكورة فاستعفى من ذلك بسبب أنه لا يرى فيهم أحداً مناسباً لذلك^(٣)، وأوصى بها إلى القاضى تاج الدين بن بنت الأعز^(٤) من بعده^(٥).

٥- وقد بلغت وظيفة المدرس بمصر فى العصر الأيوبي إلى حد كبير من الاحترام والتوقير لدرجة أنه إن عين مدرس فى إحدى المدارس وتغيب لسبب مــــن

(١) انظر الفصل السابق.

(٢) انظر الفصل السابق.

(٣) الإسنى، طبقات الشافعية، ج ٢، ص ٨٥.

(٤) هو قاضى القضاء تاج الدين عبد الوهاب بن خلف المصرى الشافعى، صدر الديار المصرى ورئيسها كان ذا ذهن ثاقب وحس صائب ونزاهة فتشبت فى الأحكام توفى بمصر سنة (٦٦٥هـ-١٢٦٦م).

- ابن اسعد اليافعى - مرآة الجنان، ج ٤، ص ١٩٤.

(٥) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٣، ص ٢٣٥-٢٣٦ - العينى، عقد الجمان، ص ٣٣٩.

الفصل الثالث

الأسباب عين له نائب عوض عنه إلى حين عودته، وبعد ذلك تقليداً جديداً^(١) القصد منه إطفاء الهيبة على تلك الوظيفة والذي يراجع الفصل السابق يقف على بعض من تولوا تلك المهمة^(٢).

ثانياً: المعيدون :-

ارتبطت تلك الوظيفة أيضاً بنشأة المدارس فقد روعى تفاوت مستويات الطلبة في الفهم والاستيعاب، لذا فقد حرص مؤسسوا تلك المدارس على أن يولوا بها معيدين يكون مهمتهم الرئيسية إعادة الدرس الذي ألقاه المدرس على الطلبة^(٣)، وعلى ذلك فالمعيد على حد قول السبكي عليه قدر زائد على سماع المدرس من تفهيم بعض الطلبة ونفعهم وعمل ما يقتضيه لفظ الإعاد^(٤) وبالطبع فإن وظيفة المعيد قد عرفت بمصر قبل العصر الأيوبي والذي يراجع ما كتبه السلفي في معجم السفر يجد بعض من الذين تولوا تلك الوظيفة بالمدرسة السلفية وذلك قبل قيام الدولة الأيوبية^(٥)، وأما بعد ذلك فقد وقفنا على كثير من النصوص والتراجم لبعض من هم تولوا تلك الوظيفة في مدارس مصر في العصر الأيوبي^(٦)، والظاهر أن تلك الوظيفة كانت أحياناً تساهم في سد العجز الذي كانت تواجهه

(١) ماجده محمد حسن، الثقافة والتربية في مصر على عهد بنى أيوب، رسالة ماجستير غير

منشورة، كلية التربية، جامعة المنيا، ١٩٨٣م، ص ١٢٣.

(٢) انظر الرسالة، الفصل السابق.

(٣) ماجده محمد حسن، الثقافة والتربية في مصر على عهد بنى أيوب، ص ١٢٣.

(٤) السبكي، معيد النعم، ص ١٠٨.

(٥) جمال الدين الشيال، أعلام الإسكندرية، ص ١٤١.

(٦) راجع ما كتب عن هؤلاء في كل مدرسة من المدارس التي سبق الإشارة إليها في الفصل

السابق.

الفصل الثالث

بعض المدارس من جراء نقص المدرسين فقد حكى المقرئى رواية عن المدرسة الناصرية الثانية من أنها بقيت ثلاثين عاماً (٦٤٨هـ-١٢٤٨م-٦٧٨هـ-١٢٧٩م) خالية من المدرسين واكتفى فيها بالمعيدين وكانوا عشرة أنفس^(١) وليس معنى ذلك أن المعيد كان يبقى فى تلك الوظيفة طوال حياته بل أننا لاحظنا كثير من المدرسين بدأوا أول ما بدأوا بالإعادة لأحد المدرسين ثم استقلوا بعد ذلك بالتدريس^(٢)، ومعنى ذلك أن الإعادة بالمدارس كانت وظيفة محددة من ناحية العدد فى أى مدرسة من المدارس بحسب ما تقضى بذلك شروط وقفها وكذلك أيضاً كان التدريس فلا يصح أن يرقى معيداً مهما طال مدة إقامته بالمدرسة إلى درجة مدرس بها أو غيرها من المدارس إلا فى حالة خلو ذلك المنصب ممن يشغله مع مراعاة أن يكون موافقاً لبقية شروط الواقف^(٣).

ويبدو أن وظيفة المعيد بالمدارس الأيوبية بمصر كانت وظيفة محترمة ولها أهميتها داخل المدرسة فهذا أبو الطاهر المحلى لما قدم إلى مصر وأراد أن يلتحق بالمدرسة الناصرية الأولى كواحد من طلابها ولم يجد أبو الطاهر هذا بالمدرسة مسكناً له فأخذ يتودد ويتقرب لمعيد المدرسة عسى أن ينفعه فى ذلك ويفهم ذلك من خلال ما كتبه السبكى عن أبى الطاهر إذ يقول "إن الفقيه أبا الطاهر قصد مصر للاشتغال وكان على حالة من القلة ونزل المدرسة الصلاحية، المجاورة للجامع العتيق أى الناصرية الأولى. ولم يحصل فيها على بيت بل خزانة يضع فيها كتابه وثوبه وكوزا وأبريقا وكان معه شئ من العنبر فكان يبخر ذلك الكوز، وإذا جاء المعيد

(١) المقرئى، الخطط، ج٢، ص ٤٠٠.

(٢) انظر الرسالة، الفصل السابق.

(٣) المنذرى، التكملة لوفيات النقلة، ج٣، ص ٤٧٩.

الفصل الثالث

والتمس ماء أتاه بذلك الكوز تقرباً إليه وخدمة له ثم حكى له بعد ذلك الكثير من قلة ذات يده" (١).

ثالثاً: الإمام:-

وهي من الوظائف التي وجدنا لها مثلاً في مدارس مصر في العصر الأيوبي إذ يذكر لنا المنذري عن أحد معاصريه، وهو أبو إسحاق إبراهيم المازني (٢) المقرئ الشافعي الضرير المتوفى سنة ٦٣٩هـ ١٢٤١م من "أنه أم بالمدرسة الفاضلية إلى حين وفاته قال المنذري "أبو إسحاق المازني قرأ القرآن الكريم بالقراءات على شيخنا أبي الجود غياث بن فارس وسمع من غير واحد وتصدر بالجامع العتيق وأم بالمدرسة الفاضلية بالقاهرة إلى حين وفاته" (٣)، وكذلك ما ذكره المنذري أيضاً عن إمام آخر بنفس المدرسة وهو أبو المهند حسام ابن مرهف ابن اسماعيل الفزاري الشافعي المتوفى سنة (٦١٣هـ-١٢١٥م)، وقال المنذري "أبو المهند الفزاري قرأ القرآن الكريم بالقراءات وسمع معه- أي المنذري- على غير واحد من متأخري شيوخ تلك الفترة وتفقه على مذهب الإمام الشافعي رضى الله عنه على غير واحد واشتغل بالجامع الظافري مدة وتصدر أيضاً في الجامع المذكور وأم بالمسجد الذي بين القصرين

(١) السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج ٨، ص ٤٨.

(٢) هو الشيخ الأجل أبو إسحاق إبراهيم ابن ترجم ابن حازم المازني المقرئ الشافعي الضرير. قرأ القرآن الكريم بالقراءات على غياث بن فارس وسمع من غير واحد وتفقه على مذهب الإمام الشافعي رضى الله عنه بمصر وأم بالمدرسة الفاضلية بالقاهرة إلى حين وفاته سنة ٦٣٩هـ.

- المنذري، التكملة لوفيات النقلة، ج ٣، ص ٤٧٩.

(٣) المنذري، التكملة لوفيات النقلة، ج ٣، ص ٤٧٩.

الفصل الثالث

مدة وأم أيضا بالمدرسة الفاضلية بالقاهرة المحروسة مده^(١) وبالطبع فإن صاحب تلك الوظيفة كانت مهمته قاصرة على إمامة المقيمين بالمدرسة فى الصلاة.

رابعاً: القسارى :-

وهو من موظفى المدارس الأيوبية بمصر، ولقد استدللنا على وجوده من خلال ما كتبه المنذرى عن الصالح أبى الربيع سليمان أبى عبد الله بن يوسف الهوارى من "أنه أقرأ وأم بالناس بالمدرسة الصاحبية المتوفى سنة (٦١٢هـ-١٢١٦م)^(٢) ولقد أورد لنا السبكى ثلاثة من الوظائف التى تتعلق بقراءة القرآن داخل المدرسة^(٣) فلا ندري أكان قارئاً للعشر وهو الذى ينبغى عليه أن يقدم قراءة العشر وذلك قبل الدرس^(٤) أم أنه كان من القراء الذين كانوا يقرأون القرآن بالالحن وهم الذين عليهم إعمال جهدهم فى تأدية كلام الله تعالى كما أنزل بلفظ بين أم أن الصالح أبا الربيع كان قارئاً للكرسى وهو من يجلس على كرسى يقرأ على العامة شيئاً من الحديث والتفسير^(٥).

خامساً: المؤذن :-

قد عثرنا أيضا على بعض النصوص التى تشير إلى وجود وظيفة أخرى قد عرفت بمدارس مصر فى العصرين الفاطمى والأيوبي معاً، وهى وظيفة المؤذن فكانت

(١) المنذرى، التكملة لوفيات النقلة، ج ٢، ص ٣٦١.

(٢) انظر الفصل السابق، المدرسة الصاحبية.

(٣) السبكى، معيد النعم ومبيد النقم، ص ١٠٩.

(٤) السبكى، المصدر نفسه، ص ١١٠.

(٥) السبكى، المصدر نفسه، ص ١١٣.

الفصل الثالث

هيئة المدرسة السلفية تضم غير الأستاذ، وهو الحافظ السلفى وغير المعيدين مؤذناً يؤذن للناس فى أوقات الصلاة، وقد توالى على تلك المدرسة عدد من المؤذنين أشار السلفى إلى واحد منهم، ومن الغريب إنه يذكر أن هذا المؤذن كان شديد الصمم وقد بدأ حياته مؤذناً فى مدرسة السلفى قال فى معجم السفر "أبو القاسم نجا بن على بن الحسن الرملى المؤذن بالأسكندرية شيخ صالح كبير السن شديد الصمم كان يؤذن فى دار الفقيه الطرطوشى ثم كان يؤذن عندى وكان جهورى الصوت^(١)" وفى العصر الأيوبى كتب لنا المنذرى عن أبى الحسن على اللخمى، "ومن أنه سمع بدمشق وبمصر من غير واحد وحدث وولى التأذين بالمدرسة الصحابية بالقاهرة المخروسة إلى حين وفاته سنة (٦٣٩هـ-١٢٤١م)"^(٢).

سادساً: الناظر :-

والظاهر أنه كان يعين بالمدرسة رجلاً كانت مهمته الرئيسية الإشراف على مصالح الوقف بها وما يحتويه، إلا أننا لم نعثر فى مدارس مصر فى العصر الأيوبى على مثال واحد لهذا الناظر عدا ما ذكرناه عن مدرسى المدرسة الناصرية الثانية والمدرسية السيوفية من انهما كانا يتقاضيا بجوار راتبهما عن التدريس راتباً آخر عن النظر فى أوقاف المدرسة^(٣)، ومعنى ذلك أن تلك الوظيفة جاءت فى هاتين الحالتين غير مستقلة بذاتها ومن الجائز أن يكون صاحبها مدرساً أو غير ذلك.

(١) السلفى، معجم السفر، ورقة رقم ٧٨- جمال الدين الشيال، اعلام الإسكندرية فى العصر الإسلام، ص ١٤١، ١٤٢.

(٢) المنذرى، التكملة لوفيات النقلة، ج ٣، ص ٥٧٢.

(٣) انظر الرسالة، الفصل نفسه، ص .

الفصل الثالث

سابعاً: الخدم :-

وبالطبع فإن مؤسسى تلك المدارس قد اهتموا بتوفير الخدم بمدارسهم، وذلك للنظر فى مصالح المدرسين والطلبة وغيرهم من أهل المدارس وقد أشار لنا ابن جبير عن هؤلاء الخدم فى أثناء مقامه بالإسكندرية إشاره سريعة فى النص الذى سنذكره فيما يلى^(١)، وبالطبع فأننا لم نعثر على تراجم لبعض هؤلاء نظراً لأن أوضاعهم كانت لاتسمح بأن يكون منهم ذا ذكر.

ثامناً: موظفوا المكتبة :-

ولاشك أن مكتبات المدارس كان يلحق بها موظفون مهمتهم الرئيسية المحافظة على الكتب والإشراف على اعادتها، وقد ذكر لنا السبكى بعضاً من هؤلاء^(٢) إلا أننا لم نجد من أفصح لنا عن واحد من هؤلاء فى إحدى المدارس الأيوبية بمصر لاتلميحا ولاتصريحا، وهو نفس ما حدث فى بقية الوظائف الأخرى التى لم نذكرها والتى ذكرها السبكى باعتبارها الهيئة التعليمية والإدارية التى ينبغى أن تكون بأى مدرسة، لذا فإننا لانستطيع أن نسلم بوجود كل هذه الوظائف مجتمعة فى مدارس مصر فى العصر الأيوبي خاصة أن السبكى كان متأخراً عن تلك الفترة.

تاسعاً: طلاب المدارس :-

يعتبر طلاب المدارس هم الأساس الذى كانت تبنى عليه العملية التعليمية بتلك المدارس، لذا فقد حرص مؤسسوها على توفير الرعاية لهؤلاء فى مدارسهم، وقد أمدتنا المصادر التاريخية بمعلومات قيمة تعيننا على إيضاح ذلك إلا أنها فى

(١) انظر الرسالة، الفصل نفسه، ص .

(٢) السبكى، معيد النعم، ص ١١.

الفصل الثالث

الوقت نفسه لم تعيننا في الرد على كثير من التساؤلات المتعلقة بذلك الموضوع كعمر الملتحق بالمدرسة هل كان محدداً في حجه واقفها وان كنا لا نعتقد بذلك ولا نميل إلا بأكتفائهم بأن يكون المتقدم عاقلاً راشداً، وان كنا نحتاج إلى دليل ونفس الشيء يمكن أن نقوله عن سنوات الدراسة التي لم تبدوا لنا واضحة في المصادر وقبل أن نتناول ذلك الموضوع للدراسة ينبغي علينا أولاً أن نفرق بين طلاب المدرسة الأساسيين أو فقهاءها على حد قول السبكي وهم أحد العناصر الرئيسية بالمدرسة^(١) والطلاب غير المنتظمين :-

(أ) الطلاب المنتظمون :-

وهم الطلبة النظاميون الذين رتبوا على حسب ما تقتضيه حجة وقف كل المدرسة على حدة ويحتمل أن عددهم كان معروفاً ثابتاً بشرط الواقف، وإن كنا لم نعثر في المصادر على من وضع لنا تحديداً لأعداد هؤلاء في أي مدرسة قال المقرئ عند الحديث عن المدرسة القمحية "ورتب فيها أربعة من المدرسين عند كل مدرس عده من الطلبة"^(٢) والذي يزيد الأمر وضوحاً ما كتبه المقرئ نفسه عن المدرسة السيوفية ومدرستها مجد الدين الجبتي الذي جعل له النظر في أوقاف المدرسه، فقد سمح له بحريه التصرف بعد راتبه في باقى ريع الوقف حيث قال "وباقي ريع الوقف يصرفه على ما يراه لطلبة الحنفية المقررين عنده على قدر طبقاتهم"^(٣) والذي يدقق النظر في ذلك النص يكتشف أن طلبة الحنفية بالمدرسة السيوفية كانوا

(١) السبكي، معيد النعم، ص ١٠٩.

(٢) المقرئ، الخطط، ج ٢، ص ٣٦٤.

(٣) المقرئ، المصدر السابق، ج ٢ ص ٣٦٤.

الفصل الثالث

السعى بنفسه وراء كل ما يتعلق بالعلم الذى يدرس من الكتب والعلماء سواء كان ذلك داخل المدرسة أواخرها (١).

ويلحق بهذه الطوائف طائفة أخرى من الطلاب الغرباء الذين حلت بهم الرحلة بديار مصر لأسباب منها وقوع مصر على طريق الحج والتجارة وهو الأمر الذى كان يؤدى ببعض من الحجاج والتجار وبخاصة المغاربة والأندلسيين الإقامة بمصر بعض الوقت قبل استكمال الرحلة من وإلى بلادهم وقد كان أكثر هؤلاء يفضلون الإقامة بالمدارس الأيوبية بمصر للاستفادة من الخدمات التى كانت تقدمها تلك المدارس لهؤلاء ومن أولها الاستماع لدروس الفقه على يد متخصصين ولقد مر بنا مثال شاهد على بلوغ أفضلية نزول هؤلاء بالمدارس إلى حد بناء تجار البهار من قبائل التكرور لمدرسة ابن رشيق لذلك الغرض (٢)، ولعل ما شاهده ابن جبير بالإسكندرية ودونه فى رحلته يتفق مع ذلك الاتجاه إذ يقول "ومن مناقب هذا البلد. ومفاخره العائدة فى الحقيقة إلى سلطانه. المدارس والمحارس الموضوعة فيه لأهل الطلب والتعب. يقدون من الأقطار النائية فيلقى كل واحد منهم مسكنا يأوي إليه ومدرسا يعلمه الفن الذى يريد تعليمه وإجراء يقوم به فى جميع أحواله واتسع اعتناء السلطان بهؤلاء الغرباء الطائرين حتى أمر بتعين حمامات يستحمون فيها متى احتاجوا إلى ذلك ونصب لهم مارستانا لعلاج من مرض منهم ووكل بهم أطباء يتفقدون أحوالهم وتحت أيديهم خدام يأمرؤنهم بالنظر فى مصالحهم التى يشيرون بها من علاج وغذاء، وقد رتب أيضا فيه أقوام برسم الزيارة للمرضى الذين

(١) السبكي، معيد النعم، ص ١٠٨، ١١١.

(٢) انظر الرسالة، الفصل السابق.

الفصل الثالث

لا يستطيعون الوصول للمارستان المذكور من الغرباء خاصة، وينهون إلى الأطباء أحوالهم ليتكفلوا بمعالجتهم^(١)، ومعنى ذلك أن هذه الطائفة من الغرباء قد اتفقت مع طلاب المدرسة المنتظمين في كافة الحقوق التي كانت توفرها لهم المدارس.

ب) طلاب غير منتظمين :-

وهم من الذين كانوا يحضرون مجالس العلماء بالمدارس بصفة غير منتظمة على حسب ما تقتضيه في ذلك ظروفهم، ولذا فإنه لم يكن بالضرورة أن يشملهم شرط الواقف من حقوق أو واجبات وقد مر بنا مثال لهؤلاء بالمدرسة السلفية، حيث ذكرت لنا المصادر التاريخية أن صلاح الدين وولديه لما كانوا بالإسكندرية قصدوا تلك المدرسة للاستماع إلى دروس الشيخ السلفي^(٢).

المنشآت الرئيسية بالمدرسة :-

أولاً: قاعات الدرس :-

كما تميزت المدارس بقاعات إلقاء الدرس فيها وقد حرص مؤسسوها على أن تكون مناسبة لعدد الطلبة المقررين بأي مدرسة، ولعل أكبر دليل على ذلك ما أشرنا إليه عند الحديث عن المدرسة القمحية من أن صلاح الدين قد جعل بها أربعة قاعات للدرس بحيث أن يكون لكل قاعة منها مدرس وذلك على الرغم من أن المدرسة القمحية بقاعاتها الأربعة قد اوقفت على مذهب واحد وهو المذهب المالكي ومعنى

(١) ابن جبير، رحله بن جبير، ص ٤٦، أحمد عبد الحميد خفاجي، المرجع السابق، ص ٣.

(٢) أحمد عبد الحميد خفاجي، المرجع السابق، ص ٢٣، راجع الرسالة الفصل الأول.

الفصل الثالث

ذلك إنه قد روعى عند تأسيسها ملائمة أعداد القاعات مع الغرض الذى أنشأت من أجله تلك المدرسة.

ثانياً: مساكن المدرسة :

سبق لنا أن أشرنا إلى أن المدارس قد اهتم مؤسسوها بجعلها مشتملة على أهم ما ميز المؤسسات التعليمية الأخرى كالحوائق والخانات، والى كان أهم ما يميزها هو اشتمالها على مساكن ودور للطلبة والمدرسين وفى مصر حرص مؤسسوا تلك المدارس منذ نشأتها بأن يلحقوا بها دوراً ومساكن للطلبة والمدرسين، وقد سبق لنا الإشارة إلى دار الطرطوشى التى كانت بحق جزءاً لا يتجزأ من مدرسته^(١)، وفى العصر الأيوبي نجد إشارات متفرقة عن تلك الدور كالدور التى خصصت للعز بن عبد السلام بالمدرسة الصالحية^(٢)، وكذلك الدور التى خصصت لأبى عبد الله محمد بن عبد الوهاب بالمدرسة السيوفية يفهم ذلك من كلام المنذرى إذ يقول عنه- أى أبى عبد الله- "وكانت وفاته بمنزله الذى بالمدرسة السيوفية التى بالقاهرة"^(٣).

ومن الملاحظ أن تلك الدور كان لها دور كبير فى استقرار أحوال المدرسين إلى الحد الذى أصبح وجودها من أهم الأسباب والدوافع وراء حرص هؤلاء المدرسين على البقاء بوظائفهم داخل تلك المدارس وفى ذلك يذكر لنا ابن حجر العسقلانى فى رواية عن عماد الدين بن السكرى من أنه لما عزل من تدريس مدرسة منازل العز كان أول ما اشتكى به من ذلك العزل هو فقدته لداره بالمدرسة التى هى سكنه وسكن عائلته يقول ابن حجر، "فاجتمع عماد الدين بن السكرى بالشيخ أبى العباس، وتشكى

(١) انظر الرسالة، الفصل الأول.

(٢) الدارودنى، طبقات المفسرين، ج ١، ص ٣١٨.

(٣) المنذرى، التكملة لوفيات النقلة، ج ٣، ص ٦٤٢.

الفصل الثالث

إليه أنه شق عليه عزله من المدرسة المذكورة- أى منازل العز- لكونها سكن عائلته وهم كثير" (١).

وجدير بالذكر أن تلك الدور والمساكن قد لعبت دوراً هاماً فى تحسين العلاقات بين المدرسين والطلبة فها هو العالم نجم الدين الخبوشانى الذى عينه صلاح الدين على المدرسة الصلاحية كان يعامل الطلبة معاملة الأب لأبنائه ويحاول تقصى أخبارهم والسؤال عن مشاكلهم، ومحاولة حلها حتى يتفرغوا لطلب العلم وقد خرج فى بعض الليالى يطوف على بيوت الطلبة بالمدرسة فسمعهم يقرأون القرآن حتى أتى على خلوة فنظر من خلال الباب فرأى صاحب الخلوة وقد وضع الكتاب من يده وأنشد يقول:-

تطاول هذا الليل والعين تدمع	وأورنى حزناً بقلبي يوجع
فبث أقاسى الليل أرعى لجممه	وباب فؤادى خائفاً يتفزع
إذا غاب عنى كوكب فى مغيبه	تغيب عطفى آخر حين يطلع
إذا ما تذكرت الذى كان بيننا	وجدت فؤادى بالهوى يتقطع
وكل 'محب ذاكر لحبيبـه	يرى لقاء كل يوم ويطمع
فذا العرش فرج ما ترى فى صبايتى	فأنت الذى ترعى أمورى وتسمع

فلما أصبح الخبوشانى قال للفقيه ما الذى كنت تقول الليلة فقال كنت أقرأ العلم فقال حدثنى حديثك فقد سمعت إنشادك فقال ياسيدى كانت لى ابنة عم بانت عنى بالطلاق فوجدت عليها جداً عظيماً وسألت أباهما أن يردها لى فأبى وحلف أن

(١) ابن حجر العسقلانى رفع الأثر عن قضاء مصر، ج ١، القسم الأول ص ٣٤١.

الفصل الثالث

لايردها لى حتى يأتيه الخبوشانى ماشياً وأنا أستحى أن أذكر ذلك لك ياسيدى فضحك الخبوشانى فبينما هما كذلك فإذا بصلاح الدين قد أقبل ودخل على الشيخ فرآه ضاحكا فسأله فأخبره بقضية الرجل فأمر له بثلاثمائة دينار ثم ذهب الشيخ معه ماشيا إلى منزل أبيها فخرج وقبل يده وقال له ياسيدى أنه فقير فأخرج له المال فقال له ردها له فردها له^(١).

ثالثاً: مكتبات المدارس :

كما اقتبست المدارس من دور العلم فكرة الحاق مكتبات بها لتسهيل على الدارسين البحث والدرس ولدينا مثال واضح لمكتبات المدارس فى مصر فى العصر الأيوبي وهى المكتبة التى الحقها القاضى الفاضل بمدرسته^(٢)، قال المقرئى رواية عن الفاضل "ووقف بهذه المدرسة جملة عظيمة من الكتب فى سائر العلوم يقال أنها كانت مائة ألف مجلد"^(٣) وقد أوردت لنا المصادر التاريخية معلومات تفيد بأن القاضى الفاضل قد جمع معظم تلك الكتب من خلال ما بيع من الكتب التى

(١) ابن الزيات، الكواكب السياره، ص ٢١٤، ٢١٥، - عفاف صبره المدارس فى العصر الأيوبي، ندوة المدارس الإسلامية، ص ١٨٨.

(2) Fahmy, A.H. The Educational Ideas of The Muslims In the Middle Ages, (Thesis for the M.A.) in Education, The University of Bermingham, 1937. p. 36.

- السيد السيد النشار، تاريخ المكتبات فى مصر فى العصر المملوكى، تقديم د/ محمد فتحى عبد الهادى وآخرون ، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م، ص ٦٩.

(٣) المقرئى، الخطط، ج٢، ص ٣٦٦، محمد زغلول سلام، الأدب فى عصر صلاح الدين الأيوبي، ط١، القاهرة، ١٩٥٩م، ص ٨٩.

الفصل الثالث

أحتوتها مكتبة القصر الفاطمي وقد اشترى القاضي الفاضل ذلك من ماله الخاص وهذه الكتب قد ذهبت كلها "وكان أصل ذهابها أن الطلبة التي كانت بها لما وقع الغلاء بمصر في سنة (٦٩٤هـ - ١٢٩٤م) والسلطان يومئذ الملك العادل كتبغا المنصوري مسهم الضر فصاروا يبيعون كل مجلد برغيف خبز حتى ذهب معظم ما كان فيها من الكتب ثم تداولت ايدي الفقهاء عليها بالعارية ففرقت وبقي بها إلى زمان المقرئى مصحف قرآن كبير القدر جداً مكتوب بالخط الأول الذي يعرف بالكوفي تسميه الناس مصحف عثمان بن عفان، ويقال أن القاضي اشتراه بنيف وثلاثين ألف دينار على أنه مصحف أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه وكان في خزانة مفردة له بجانب المحراب من غريبه وعليه مهابة وجلاله" (١).

رابعاً: بيت الصلاة :-

كما اهتم مؤسسوا تلك المدارس بإيجاد بيت صلاة بالمدرسة لكي لا يحتاج الدارسون بها الخروج خارجها في أوقات الصلاة، وقد لاحظنا ذلك من خلال الوظائف الإدارية التي فيها إشارة لذلك كالمؤذن والإمام ومن خلال ما كتبه المقرئى في النص الذي اشرنا عن مكتبة المدرسة الفاضلية الذي فيه إشارة إلى محراب الصلاة بتلك المدرسة.

خامساً: الحمامات :-

كما لاحظنا من خلال النصوص السابقة حرص مؤسسى المدارس على إلحاق حمامات بمدارسهم من أجل أن يستحم بها المقيمون في المدرسة كمدرسة منازل العز والمدرسة الناصرية الثانية والمدارس التي شهدها ابن جبير بالإسكندرية (٢).

(١) المقرئى، الخطط، ج ٢، ص ٣٦٦.

(٢) أحمد عبد الحميد خفاجى، المرجع السابق، ص ١٨.

الفصل الثالث

سادساً: المارستان :-

كما اهتم مؤسسوا المدارس الأيوبية بالطلبة والمدرسين من الناحية الصحية فأنشأوا المارستانات والحقوها بالمدارس^(١) ويعد ما ذكره ابن جبير عن المارستانات التي ألحقت بمدارس الإسكندرية في النص الذي أشرنا إليه آنفاً لأوضح دليل على ذلك.

ومما يدعونا للأسف بعد ذلك هو إننا لم نهتدي في المصادر التاريخية لتلك الفترة عن أية معلومات عن التنظيمات الداخلية بالمدارس الأيوبية بمصر من ناحية طريقة التدريس المتبعة ومواعيد الدراسة والعطلات وما يتعلق بذلك من طريقة منح الإجازات العلمية والضوابط المنظمة لعلاقه الاستاذ بالطالب فلا نملك في تلك الناحية سوى بعض الكتب العامة والتي لم تشر إلى عصر بعينه أو مدرسة بذاتها ككتاب "تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم" لمؤلفه بدر الدين بن جماعة^(٢)، وقد حاول كثير من الباحثين الاستفاة من ذلك الكتاب وغيره من الكتب التي ألقت في ذلك الشأن في كتاباتهم عن الأنظمة التعليمية في مدارس مصر في العصر الايوبي^(٣)، ولكن ذلك كله جاء من وجهة نظر الباحث دون جدوى حيث انهم لم يأتوا في دراساتهم بأى استدلال عن ذلك العصر وسوف نحاول في الفصل التالي عرض ما استطعنا جمعه من شتات الكتب في ذلك الموضوع.

(١) أحمد عبد الحميد خفاجي، المرجع السابق، ص ٢٣.

(٢) ابن جماعة (بدر الدين إبراهيم سعد الله ت ٧٣٣هـ-١٣٣٢م)، تذكرة السامع والمتكلم

في آداب العالم والمتعلم، تحقيق أحمد عبد الغفور العطار، بيروت، ١٩٦٧م.

(٣) أحمد عزت عثمان، التربية والمجتمع المصري في العصر الايوبي، ص ٤١٧ وما بعدها-

ماجدة محمد حسن، الثقافة والتربية في مصر على عهد بني ايوب، ص ١١١ وما بعدها-

ناظم رشيد، التعليم في ظل الدولتين الزنكية والايوبية، مجلة آداب الرافدين، سنة

١٩٧٩م، العدد العاشر، ص ٢٧٨، وما بعدها- اميل فهمي، التعليم في مصر، مكتبة

الانجلو المصرية، القاهرة، سنة ١٩٧٥م، ص ٢١٤.

الفصل الرابع

الآثار العلمية والثقافية لمدارس مصر
في العصر الأيوبي

الفصل الرابع

الفصل الرابع

الآثار العلمية والثقافية لمدارس مصر

فى العصر الأيوبي

لم يكن قدوم الأيوبيين إلى مصر وإحلالهم فى الحكم بدلاً من الفاطميين بالشكل الذى اعتدنا عليه فى التاريخ الإسلامى من سقوط دول، وقيام أخرى بدلاً منها فلم تكن الدولة الفاطمية مجرد أسرة من الأسر الحاكمة التى توالى على مصر بل أنها كانت الممثل الأول للفكر الشيعى فى العالم الإسلامى، ومعنى ذلك أن بقائها بمصر طوال قرنين كان ولا بد أن يؤثر فى كافة المعتقدات الفكرية لدى المصريين لذا فإنه قد تحتّم على الذين تولوا حكم البلاد من بعدهم لاسيما إذا كانوا مخالفين لهم فى المذهب أن تكون قاعدة حكمهم للبلاد تركز على أصل واحد وهو التركيز على صياغة البناء الفكرى للمجتمع المصرى صياغة جديدة تتفق مع كافة التغيرات السياسية والحضارية التى سوف يحدثها الأيوبيون ولم يكن أمامهم سوى علوم أهل السنة وعلمائها لتحقيق ذلك الغرض^(١)، وقد وجد الأيوبيون فى المؤسسات التعليمية الجديدة وهى المدارس معيناً رئيسياً على تحقيق أهدافهم التى لم تتوقف عند حد القضاء على المذهب الشيعى وإحياء المذهب السنى بل تعدتها إلى اعتبار أن تلك الخطوة بمثابة مرحلة أولى فى إعداد المجتمع المصرى لمواجهة الخطر

(١) أحمد النجار (الانتاج الأدبى فى العصرين الفاطمى والأيوبي فى مدينه الإسكندرية)،

المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، القاهرة، ١٩٦٤م، ص ٦٥.

محمود مصطفى، الأدب العربى فى مصر، ص ٣١٥ - ستانلى لينيبول، سيرة القاهرة، ص

الفصل الرابع

الصليبي^(١)، وذلك عن طريق تحويل انتماءاتها الدينية والثقافية إلى مركز الخلافة العباسية ببغداد وقد حاولت المصادر السنية أن تعطى صورة هادئة لرد فعل الشعب المصرى بإزاء هذا التغيير المذهبى للدولة فذكر البعض أن هذا الأمر لم ينكره أحد لأن معظم المصريين كانوا سنيين لذلك قبلوا هذا التصرف من صلاح الدين وخلفائه، وهكذا عرضت وجهه النظر الرسميه لمعظم مؤرخى السنة المصريين فى صورة المبتهجين والمنصاعين فى هدوء للتغيير الذى أحدثه صلاح الدين ولكن وقائع الأحداث لا تتطابق هذه النظرة فقد حدثت محاولات كثيرة لإعادة الخلافة الفاطمية طوال العصر الايوبى^(٢).

وتشير حركة إنشاء المدارس بمصر الايوبية إلى الدور الذى لعبته تلك المؤسسات فى مواجهة ذلك الخطر^(٣) من خلال ما أوضحتها لنا المصادر التاريخية عن الآثار العلمية لهذه المؤسسات، وذلك عن طريق أحدهما وهو مساهمتها فى الاستفادة من العناصر السنية من المصريين الذين عاشوا فى العصر الفاطمى، وأما الثانى فهو مساهمتها فى فك العزلة الثقافية التى ضربها الفاطميون على المصريين فى عهدهم.

(١) أحمد النجار، الإنتاج الأدبى فى العصرين الفاطمى والأيوبى فى مدينة الإسكندرية،

ص ٥٧- أحمد عزت، التربية والمجتمع المصرى، ص ٤٠٨ - ماجدة محمد حسن، الثقافة والتربية فى مصر على عهد بني أيوب، ص ٤٢- سعاد ماهر، مساجد مصر وأولياؤها الصالحون، ج ١، ص ١٢٤.

(٢) انظر سهام مصطفى أبو زيد، الدعوة الإسماعيلية ومدى نجاحها فى مصر الإسلامية، ص ٢٨٢- محمد زغلول سلام، الأدب فى عصر صلاح الدين الايوبى، ص ٩٦.

(٣) أندريه ريموت، القاهرة تاريخ حاضرة، ص ٩٨- محمد أمين، الأوقاف والحياة الإجتماعية فى مصر، ص ٦٥.

الفصل الرابع

أولاً: الاستفادة من رجال الدولة الفاطمية السنيين :

ساهمت مدارس مصر في العصر الأيوبي وبصورة ملحوظة في إتاحة الفرصة أمام المصريين للوصول إلى درجات علمية محترمة وخصوصاً هؤلاء الذين عاشوا وتربوا في كنف الدولة الفاطمية كنجم الدين محمد بن الموفق بن سعيد بن الحسن بن عبد الله الخبوشاني كان مولده بنيسابور في رجب سنة (٥١٠هـ-١١١٦م) وتفقه بها وقدم مصر سنة (٥٦٥هـ-١١٦٩م) في خلافة العاضد فأقام بمسجده بالقاهرة مدة، ثم تحول إلى تربة الشافعي رضى الله عنه، وتبتل لعمارة التربة المذكورة والمدرسة ودرس بها مدة، قال عنه السبكي: كان إماماً جليلاً كبير المحل في الورع قل أن ترى العيون مثله، زاهداً وعالمًا، وأمراً بالمعروف^(١) وكان السلطان صلاح الدين حسن العقيدة في الشيخ الخبوشاني وكان الخبوشاني له حال غريبة ومحل مكين ومقام في الدين، وكان يقول بملء فيه اصعد إلى مصر وازيل ملك بني عبيد اليهودي، فصعدها وصرح بلعنهم، وحاروا في أمره وأرسلوا إليه بمال عظيم، قيل: مبلغه أربعة آلاف دينار فلما وقع نظره على رسولهم نهض إليه بأشد الغضب، وقال: ويلك ما هذه البدعة؟ وكان الرجل قد زور في نفسه كلاماً يلاطفه به، فأعجله عن ذلك فرمى بالدنانير على رأسه ويسب أهل القصر^(٢) ثم إن العاضد توفي وتهيب صلاح الدين خوفاً من الخطبة لبني العباس حزراً من الشيعة فوقف الخبوشاني أمام

(١) السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج٦، ص ١٤- ابن أسعد اليافعي، مرآة الجنان، ج٣،

ص ٤٣٣- سعاد ماهر، مساجد مصر وأولياؤها الصالحون، ج٢، ص ١٧٦.

(٢) السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج٦، ص ١٥- ابن أسعد اليافعي، مرآة الجنان، ج٣،

ص ٤٣٣- سعاد ماهر، مساجد مصر وأولياؤها الصالحون، ج٢، ص ١٧٧.

الفصل الرابع

المنبر بعصاه، وأمر الخطيب أن يذكر بنى العباس ففعل، ولم يكن إلا الخير، ووصل إلى بغداد الخبر، فزينوها وأظهروا من الفرح فوق الوصف^(١).

وأما القاضى الفاضل عبد الرحيم بن على البيسانى فقد دخل إلى مصر شاباً طموحاً فى وزارة ابن رزيك^(٢)، وقد أخذه طموحه إلى صعود مستمر فى مناصب متتالية إلى أن دخل القصر الفاطمى، وتولى مهمة الإشراف على مراسلات الخليفة وساعده فى ذلك موهبته الأدبية الفزة وقد سهل ذلك عليه مهمة الاتصال بنور الدين محمود ونوابه إلى مصر أسد الدين ومن بعده صلاح الدين^(٣)، وقد لاحظنا أن حركة إنشاء المدارس بمصر فى العصر الأيوبي لإحياء المذهب السنى بها قد لقت هواً فى نفس القاضى الفاضل فابتنى المدرسة التى نسبها إليه فى سنة (٥٨٠هـ - ١١٨٤م) ووفر لها كل ما يسمح بنجاحها فى أداء رسالتها.

ثانياً : فك العزلة الثقافية :-

ومن أكثر ما يمكن الإشارة إليه فى ذلك الموضوع أن المدارس الإسلامية بمصر فى ذلك العصر قد ساهمت وبصورة فعالة على فك العزلة الثقافية التى كان الفاطميون قد فرضوها على المصريين وإعادة فتح الباب أمامها للاتصال بالعالم السنى وذلك

(١) السبكى، طبقات الشافعية الكبرى، ج٦، ص ١٥ - ابن أسعد اليافعى، مرآة الجنان، ج٣،

ص ٤٣٣ - سعاد ماهر، مساجد مصر وأولياؤها الصالحون، ج٢، ص ١٧٧.

(٢) وهو: الملك الصالح طلائع بن رزيك دخل القاهرة عند قتل الملك الظافر فتولى الوزارة فى

أيام الفائز واستمرت وزارته إلى أيام العاضد وكانت له رئاسة وسلطة فى الدولة الفاطمية

ولم يكن حظه احسن من غيره الذين سبقوه فى الوزارة فقد انتهى أمره بمقتله فى حدود

السنة (٥٥٦هـ - ١١٦١م).

- ابن اسعد اليافعى، مرآة الجنان، ج٣، ص ٣١٠.

(٣) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، ص ٢٤ - أحمد أحمد بدوى، الحياة الأدبية فى عصر

الحروب الصليبية، دار نهضة مصر، القاهرة، ١٩٩٧م، ص ٣٥٧.

الفصل الرابع

عن طريق استقطابها لكثير من علماء البلاد الإسلامية الأخرى يروى لنا السيوطى رواية عن العزيز عثمان بن صلاح الدين الأيوبي يشير فيها إلى مكانة هؤلاء العلماء الواقدين إلى مصر، قال السيوطى أن الحسن بن أبى الحسين النعمانى الفارسى^(١) لما دخل الشام وأقام بالقدس مدة، فاجتاز به العزيز بن صلاح الدين بن أيوب، فرآه عند الصخرة يدرس، فسأل عنه فعرف منزلته فى العلم فأحضره ورغبه فى المسير معه إلى مصر ليقمع به الشهاب الطوسى مدرس منازل العزف فورد أبو الحسن معه إلى مصر وأجرى له العزيز كل شهر ستين ديناراً ومائة رطل خبز وخروفاً وشمعة كل يوم ومال إليه الناس وقرر العزيز المناظرة بينه وبين الطوسى وعزم الحسن على أن يسلك معه مسلكاً فى المغالطة لأن الطوسى كان قليل المحفوظ إلا أنه كان جريئاً مقداماً، فركب العزيز يوم العيد وركب معه الطوسى والحسن، فقال الحسن للعزيز فى أثناء الكلام: أنت يا مولاي من أهل الجنة، فوجد الطوسى السبيل إلى مقتله، فقال له : وما يدريك أنه من أهل الجنة، وكيف تزكى على الله ومن أخبرك بهذا ما أنت إلا كما زعموا أن فأرة وقعت فى دن خمر فشربت فسكرت فقالت : أين القطار؟ فلاح لها هر فقالت : لا تؤاخذ السكارى بما يقولون وأنت شربت من خمر دن هذا الملك فسكرت، فصرت تقول خالياً: أين العلماء؟ فأبلس الحسن ولم يحر جواباً وانصرف وقد انكسرت حرمة عند العزيز وشاعت هذه الحكاية بين العوام

(١) وهو أحد شيوخ المذهب الحنفى فى زمانه أصله من العراق ثم انتقل إلى الشام فأشتغل بها مدة ثم انتقل إلى مصر فى خلافة العزيز عثمان ثم عاد إلى الشام مره أخرى فأقام بها بالمدرسة الأسدية يفتى ويدرس إلى أن مات سنة ٥٩٨هـ - ١٢٠١م وكان أبو الحسن هذا مبرزاً فى النحو والعروض والقوافى والشعر والاخبار عالماً بتفسير القرآن والفقه والخلاف والكلام والحساب والمنطق والهيئة والطب.

الدارودنى، طبقات المفسرين، ج ١، ص ١٣٥، ١٣٦.

الفصل الرابع

وصارت تحكى فى الأسواق والمحافل^(١) وللشهاب الطوسى هذا (٥٢١:٥٩٦هـ-١١٢٧:١١٩٩م) مكانة عالية بين العلماء وأصلة من طوس^(٢) قدم بغداد وعظم قدره بها ثم حج، وأتى مصر سنة ٥٧٩هـ-١١٨٤م ودرس بمنازل الغز وتخرج به أئمة وكان جامعاً للفنون غير محتفل بأبناء الدنيا^(٣) وكان طوالاً مهيباً مقداماً، ساد الجواب فى المحافل وكان يرتاعه كل أحد ويتضاءل له وكان يحق بظرافة وبتيه على الملوك بلباقة ويخاطب الفقهاء بصرامة وجاء يوم عيد والسلطان بالميدان فأقبل الطوسى وبين يديه منادى ينادى هذا ملك العلماء وجرى له مع العادل ومع ابن شكر قضايا عجيبة لما تعرضوا لأوقاف المدارس فذب عن الناس، وثبت^(٤).

وكان أمين الدين التبريزى مدرس الناصرية الأولى عراقى الأصل قدم إلى مصر واستوطنها دهرأ يؤلف ويدرس، قال عنه السبكى: وكان أمين الدين التبريزى من أجل مشايخ العلم فى ديار مصر فقيهاً أصولياً عابداً زاهداً كثير العبادة، إماماً مناظراً مبرزاً^(٥).

(١) الدارودنى، طبقات المفسرين، ج ١، ص ١٣٦- السيوطى، بغية الوعاة، ج ١، ص ٣٠٥.
(٢) طوس هى مدينة بخراسان بينها وبين نيسابور نحو عشرة فراسخ تشتمل على بلدين يقال لاحدهما الطابران وللأخرى نوقان ولهما أكثر من ألف قرية فتحت فى عهد عثمان بن عفان.

ياقوت الحموى، معجم البلدان، ج ٤، ص ٤٩.

(٣) الذهبى، سير أعلام النبلاء، ج ٢١، ص ٣٨٧- ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٣، ص ٢٤- المقرئى، السلوك، ج ١، ص ١٦١.

(٤) الذهبى، سير أعلام النبلاء، ج ٢١، ص ٣٨٨، ٣٨٩- المنذرى، التكملة لوفيات النقلة، ج ١، ص ٣٦٥.

(٥) السبكى، طبقات الشافعية الكبرى، ج ٨، ص ٣٧٣- السيوطى، حسن المحاضرة، ج ١، ص ٤١٠- المنذرى، التكملة لوفيات النقلة، ج ٣، ص ١٣٤.

الفصل الرابع

ومن العراق أيضاً جاء إلى مصر أولاد صدر الدين بن حموية وكانوا من بيت رياسة وعلم ولهم عند بنى أيوب حرمة وافرة وهم من أئمة المدرسين بالمدارس الأيوبية المختلفة^(١) وصدر الدين هذا هو أبو الحسن بن عمر بن حموية الجوينى، شيخ الشيوخ هكذا يكتب بخطه اسمه ولا يسمى نفسه^(٢) وبعضهم يسميه محمداً^(٣) وأما ابن العديم فقال إن اسمه الصحيح حسن بن عمر^(٤) والذي يهمننا فى ذلك الموضوع ما اتفق عليه الجميع بأن مولده كان بجوين^(٥) فى سنة (٥٤٣هـ-١١٤٨م) ثم إنه تردد فى شبابه بين العراق والشام لطلب العلم من شيوخ تلك الديار وكان من بين هؤلاء أبوه الذى كان له مكانة مرموقة فى العلم بين أهل الشام واتفق أثناء ذلك أن توفى أبوه فى سنة (٥٧٧هـ-١١٨١م) وصدر الدين عنده^(٦) فمنعه السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب من العودة إلى العراق وولاه مكان والده^(٧) وجعله شيخ الشيوخ بدمشق وزوجه الشيخ قطب الدين مسعود النيسابورى ابنه فأولدها ابنة شمس الدين الذى توفى صغيراً ثم تزوج ابنة ابن أبى عصرون وأولدها أولاده

-
- (١) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، ص ٩٣- المقرئى، المقفى الكبير، ج٦، ص ٤٢٠.
(٢) ابن العديم (كمال الدين عمر بن أحمد بن أبى جواده ت ٦٦٠هـ-١٢٦٢م) بغية الطلب فى تاريخ حلب، تحقيق سهيل ذكار، دمشق، ١٤٤٩هـ-١٩٨٩م، ج ١٠، ص ٤٣٩٤.
(٣) السبكى، طبقات الشافعية الكبرى، ج ٨، ص ٩٦- ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٣، ص ٩٣- ابن أسعد اليافعى، مرآة الجنان، ج ٤، ص ٣٩.
(٤) ابن العديم، بغية الطلب، ج ١٠، ص ٤٣٩٤- أبو شامة، تراجم رجال القرنين، ص ١٢٥.
(٥) إسم كورة جليلة نزهة على طريق القوافل من بسطام إلى نيسابور، تسميها أهل خراسان كويان فعريت فليل جوين. ياقوت الحموى، معجم البلدان، ج ٢، ص ١٩٢.
(٦) أبو شامة، تراجم رجال القرنين، ص ١٢٥.
(٧) أبو شامة، تراجم رجال القرنين، ص ١٢٥- المقرئى، المقفى الكبير، ج ٦، ص ٤٢٠.

الفصل الرابع

الأربعة المشهورين عماد الدين عمر^(١) وكمال الدين أحمد^(٢) ومعين الدين حسين^(٣) وفخر الدين يوسف^(٤) ثم قدم صدر الدين إلى القاهرة بأولاده وتولى فيها المناصب الكبار هو وأولاده من بعده وكانت وفاة صدر الدين هذا فى سنة (٦١٧هـ- ١٢١٩م)^(٥).

وعلى الجانب الآخر فقد لاحظنا أن من القادمين من كان ينهى حياته العلمية فى أحد المدارس المصرية، فهذا هو العز بن عبد السلام عندما مر بالكرك^(٦) فتلقيه صاحبها وسأله الإقامة عنده فقال له: بلدك صغير على علمى ثم توجه إلى القاهرة فتلقيه سلطانها الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل وكرمه وولاه التدريس

(١) ذكره أبو شامة فى وفيات سنة ٦٣٦هـ، قال (وفيهما أي سنة ٦٣٦ قفز عليه ثلاثة نفر داخل قلعة دمشق فقتله أحدهم ودفن فى الغد بجبل قاسيون، حضرت الصلاة عليه بجامع دمشق وشيعته إلى مسرح سوق الخيل والغنم وكانت له جنازة حفلة وكان من بيت علم وتصوف وإمرة رحمة الله وكان من أعيان المتعصبين لمذهب الأشعرى وكان ومولده سنة ٥٨١هـ).

- أبو شامة، تراجم رجال القرنين، ص ١٦٨.

(٢) ذكره أبو شامة فى وفيات سنة ٦٤٠هـ وقال عنه (توفى بهذه السنة بغزة وكان يومئذ مقدم العساكر الصالحية).

- أبو شامة، تراجم رجال القرنين، ص ١٧٢.

(٣) قال عنه أبو شامة فى وفيات سنة ٦٤٣هـ (وفيهما توفى معين الدين ابن شيخ الشيوخ صدر الدين بن حموية وكان نائب السلطنة بها وهو الذى فتحها الملك الصالح أيوب ابن الملك الكامل وأخذها من عمه اسماعيل ابن أبى بكر بن أيوب صاحب بعلبك وصلى عليه بجامع دمشق ومولده فى سنة ٥٨٨هـ).

- أبو شامة، تراجم رجال القرنين، ص ١٧٧.

(٤) ذكره أبو شامة فى وفيات سنة ٦٤٨هـ وقال عنه (قتل فى هذه السنة وهو آخر إخوته موتاً).

- أبو شامة، تراجم رجال القرنين، ص ١٨٤.

(٥) أبو شامة، تراجم رجال القرنين، ص ١٢٥- المقريزى، المقفى الكبير، ج ٦، ص ٤٥.

(٦) وهى قرية كبيرة قرب بعلبك كان بها قبر طويل يزعم أهل تلك النواحي أنه قبر نوح، عليه السلام.

- ياقوت الحموى، معجم البلدان، ج ٤، ص ٤٥٣.

الفصل الرابع

فى المدرسة الصالحية وكثيراً من المناصب السياسية والعلمية الأخرى كخطابة جامع عمرو بن العاص بمصر والقضاء بها وبالوجه القبلي.

وكان خروج الشيخ عز الدين بن عبد السلام من دمشق بسبب غضبه غضبها عليه الصالح إسماعيل عندما أنكر عليه الشيخ استعانتته بالفرجة وإعطائهم مدينة صيدا وقلعة الشقيف^(١) فترك الدعاء له فى الخطبة وساعده فى ذلك الشيخ أبو عمرو بن الحاجب المالكي^(٢) فغضب السلطان منهما فخرجا إلى الديار المصرية فى حدود السنة (٦٣٩هـ-١٢٤١م)^(٣).

وفى مصر حدث للشيخ ابن عبد السلام كثيراً من العوارض التى دعت الصالح نجم الدين أيوب يحذره بعدما كان مقبلاً عليه إلى الحد الذى دعى الأخير لعزل الشيخ عن كافة مناصبه باستثناء وظيفته كمدرس بالمدرسة الصالحية التى وجدها كافية لكى يبقى بمصر إلى حين وفاته سنة (٦٦٠هـ-١٢٦١م)^(٤).

والحق أن السياسة التى اتبعها الأيوبيون فى الإهتمام بحركة إنشاء المدارس قد تعدت نتائجها إلى أبعد من ذلك فقد ساهمت وبصورة ملحوظة فى إحياء علوم أهل السنة كما سيأتى فيما بعد.

(١) وهى قلعة حصينة جداً فى كهف من الجبل قرب بانياس من أرض دمشق بينها وبين الساحل.

- ياقوت الحموى، معجم البلدان، ج ٣، ص ٣٥٦.

(٢) وهو: عثمان بن عمرو الكردي الاسناوى الفقيه المالكي الاصولى النحوى صاحب التصانيف الجادة المشتملة على التحقيق والافادة ومولده بإسنا فى سنة ٥٩٠هـ-١٢٩١م ثم انتقل إلى دمشق ودرس بجامعة فى زاوية المالكية ثم عاد إلى القاهرة فى صحبة العز بن عبد السلام وذلك سنة ٦٣٨هـ وتولى بها مشيخة الإقتراء بالمدرسة الفاضلية ثم انتقل بعد ذلك إلى الاسكندرية ثم كانت وفاته بها سنة ٦٤٦هـ-١٢٥٨م.

- ابن أسعد اليافعى- مرآة الجنان، ج ٤، ص ١١٤.

(٣) السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج ٨، ص ٢١٠-السلامى، تاريخ علماء بغداد، ص ١٠٥- ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٣، ص ٢٣٦.

(٤) السيوطى، حسن المحاضرة، ج ١، ص ٣١٤- ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٣، ص ٢٣٥- الدارودنى، طبقات المفسرين، ج ١، ص ٣٢٠.

الفصل الرابع

إحياء علوم أهل السنة:-

كان لانتشار حركة إنشاء المدارس في مصر في العصر الأيوبي أثراً كبيراً في إحياء علوم أهل السنة بها وينبغي علينا قبل الحديث عن تلك العلوم التنبيه على حقيقة هامة مؤداها أننا لم نهتدي إلى سياسة محددة ومنهجية واضحة قد اتبعتها تلك المدارس مجتمعة للوصول لذلك الغرض، فقد اقتضت حجة وقف كل مدرسة على حدة، بالإشارة إلى المذهب الذي أنشئت من أجله دون الدخول في أية تفاصيل ولم يكن أمامنا بعد ذلك سوى التسليم بحقيقة مؤداها- أن المناهج الدراسية في تلك المدارس آنذاك كانت غير ثابتة فقد كان المدرس هو الذي يحدد المنهج الذي يتبعه في إلقاء دروسه.

وأول ما يمكن الإشارة إليه في ذلك الصدد أن الأوقاف التي كانت تحدد للطلبة بغرض الاستماع إلى الدرس قد جاءت على رغبة المدرس فمن ذلك ما ذكره المنذرى عن أبي المنصور ظافر بن الحسين الأزدي مدرس المدرسة القمحية من أنه كان يدرس في أول النهار ثم يجيء بعد الظهر للمناظرة إلى العصر، ويأخذ درساً بعد العصر والمناظرة بعد المغرب^(١)، وأما الشاطبي فقد حكى لنا ابن الجزري عنه في طبقاته "انه كان يصلي الصبح بالفاضلية ثم يجلس للإقراء فكان الناس يتسابقون السرى اليه ليلا وكان إذا أقعد لايزيد على قوله من جاء أو لا فليقرأ ثم يأخذ على الاسبق فالاسبق فاتفق في بعض الايام أن بعض اصحابه سبق أولا فلما استوى الشيخ قاعداً قال من جاء ثانيا فليقرأ فشرع الثاني في القراءة وبقي الأول لايدري حاله وأخذ يتفكر ماوقع منه بعد مفارقة الشيخ من ذنب أوجب حرمان الشيخ له ففطن

(١) المنذرى، التكملة لوفيات النقلة، ج ١، ص ٣٨٨.

الفصل الرابع

أنه أجنب تلك الليلة ولشدة حرصه على النوبة نسي ذلك فلما انتبه ذلك الرجل بادر إلى حمام بجوار المدرسة فاغتسل به، ثم رجع قبل فراغ الثاني والشيخ لا يزال قاعداً على حاله فلما فرغ الثاني قال الشيخ من جاء أولاً فليقرأ^(١).

وأما غير ذلك من الروايات فإنها لم تكن لتفيدنا عن ذلك الموضوع إلا بإشارات ضعيفة عن السمات العامة لحياة المدرسين داخل تلك المدارس كالعلاقة الطيبة التي كانت تربط بين أحد المدرسين وطلّبه في إحدى المدارس كأبي القاسم القضاعي مدرس الفاضلية الذي قال عنه المنذرى "إنه كان محباً للطلبة ومتفقداً لأحوالهم ساعياً لهم فيما يعود بنفعهم"^(٢)، وشرف الدين ابن السكري مدرس منازل العز الذي قال عنه المقرئى "إنه كان على طريقة والده في السكون والوقار والمعاملة الجميلة"^(٣)، ومن ذلك ما ذكره المؤرخون عن المعاملة اللطيفة التي كان بين المدرسين وطلّبتهم في أثناء الدرس فقد حكى لنا السبكى عن محمد بن الحسين بن عبد الرحمن الانصارى مدرس المدرسة الناصرية الثانية "إن أحد طلبته نعس وهو يدرس فضرب الشيخ إحدى يديه على الأخرى فانتبه الشخص"^(٤)، وحكى السبكى عنه أيضاً "أنه كان مرة في الدرس في باب الهبة فأنتهى إلى أنه يستحب لمن وهب لأولاده أن يسوى بينهم ثم أخذ يمثّل بابنى السطحى وهما أخوان طالبان في الدرس فقال كما لو وهب والد هذين لأحدهما دواة وترك الآخر فقال أحدهما : والله

(١) ابن الجزرى، غاية النهاية في طبقات القراء، ج٢، ص ٢١.

(٢) المنذرى، التكملة لوفيات النقلة، ج٢، ص ٩٨ - الذهبى، تاريخ الإسلام، الطبقة ٦٢، ص

١٣٣.

(٣) المقرئى، المقفى الكبير، ج٦، ص ٣٥.

(٤) السبكى، طبقات الشافعية الكبرى، ج٨، ص ٥٤.

الفصل الرابع

يا سيدنا هكذا اتفق^(١) وأما عن طريق إلقاء هؤلاء المدرسين للدروس على طلبتهم فى مدارس تلك الفترة بمصر فإن المصادر التاريخية تكاد تخلو من أية إشارات تذكر عن ذلك الموضوع باستثناء ما كتبه المؤرخون عن العز بن عبد السلام مدرس المدرسة الصالحية من أنه "كان لطيفا ظريفا يستشهد بالاشعار فى محاضراته"^(٢) وما دونه الذهبى فى سيره الشهاب الطوسى مدرس منازل العز من أنه "كان يلقي الدرس من كتاب"^(٣).

والحق أن مدارس مصر فى العصر الايوبي كانت قد أسهمت وبشكل واضح وملموس فى إحياء علوم أهل السنة من خلال ما وفرته من تهيئه الجو المناسب للمدرسين والطلبة على حد سواء بقصد الوصول إلى ذلك الغرض، فقد حكى لنا السبكي عن عبد العظيم المنذرى مدرس المدرسة الكاملية خبرا مؤداه أن المنذرى "درس بالآخرة فى دار الحديث الكاملية وكان لا يخرج منها إلا لصلاة الجمعة حتى إنه كان له ولد نجيب محدث فاضل توفاه الله تعالى فى حياته فصلى عليه الشيخ داخل المدرسة وشيعه إلى بابها ثم دمعت عيناه وقال أودعتك لله يا ولدى ورفاقه"^(٤).

ومعنى ذلك أن المدارس الإسلامية بمصر فى ذلك العصر كادت أن تبلغ حد الخوانق من ناحية انعزال بعض المدرسين بها بقصد التدريس والتأليف والتصنيف. ومعنى ذلك أنها قد أصبحت المركز الأول للإشعاع الفكرى لأهل السنة، وخصوصاً ذلك النوع من العلوم الذى كان بحاجة إلى ذلك النوع من المؤسسات المتخصصة وفيما يلى عرض لأهم تلك العلوم :-

(١) السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج٨، ص ٥٤.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، ص ٢٣٥ - الاسنوى، طبقات الشافعية، ج٢، ص ٨٥.

(٣) الذهبى، سير اعلام النبلاء، ج٢١، ص ٣٨٨.

(٤) السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج٨، ص ٢٦٠.

الفصل الرابع

أولاً: الفقه :

علم الفقه هو علم أحكام التكاليف الشرعية العملية كالعبادات والمعاملات والعادات وفائدته امتثال أوامر الله تعالى ومانهه عنه^(١)، وقد تتبع الباحثون تاريخ الحركة الفقهية بمصر منذ نشأتها وإلى نهاية العصر المملوكي. وقد خلصوا إلى تقسيمها إلى ثلاثة مراحل وهي :

المرحلة الأولى:-

وهي المرحلة التي اقترنت بظهور الأئمة الأربعة أصحاب المذاهب المعروفة. وهم مالك، وأبو حنيفة النعمان، والشافعي وابن حنبل - ومع هؤلاء الأئمة المعروفين - ظهر أئمة آخرون - لم تحفظ مذاهبهم كالليث بن سعد الذي ظهر بالديار المصرية^(٢) وفي هذه المرحلة كان الفقه قائماً على (الإجتهد المطلق) نهض به علماء المسلمين بالأمصار ومن تتبع الحركة الفقهية في مصر علم أن المذاهب الأربعة ظهرت بها على النحو الآتي :-

فقد عرفت مصر مذهب مالك أولاً حتى جاءها الشافعي وذلك حوالى عام (١٩٩هـ - ٨١٤م) ونشر بها مذهبه، ثم جاءت الدولة الإخشيدية فمالت إلى مذهب أبي حنيفة وكانت تبغض المذهب الشافعي وكان النزاع مستمرا بين هذه المذاهب الثلاثة بمصر وبخاصة بين أصحاب مالك والشافعي وأما مذهب الإمام أحمد بن حنبل فلم يظهر بمصر إلا في القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي وما بعدها لأن الإمام أحمد رضى الله عنه كان في القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي ولم

(١) البيضاوى (ناصر الدين أبى سعيد عبد الله بن عمر، ت ٦٨٥هـ - ١٢٨٦م)، تعريفات العلوم وموضوعاتها - ميكروفيلم رقم ٤ معارف عامة معهد المخطوطات العربية، ورقة رقم (٢).

(٢) المقرئى، الخطط، ج ٢، ص ٣٣١، وما بعدها.

الفصل الرابع

يبرز مذهبه خارج العراق إلا في القرن الرابع الهجرى العاشر الميلادى، وفى هذا القرن ملك العبيديون مصر وافنوا من كان بها من اتباع المذاهب الثلاثة قتلاً ونفياً وتشريداً وأقاموا مذهب الرفض والشيعة وبقوا بها إلى أواخر القرن السادس الهجرى الثانى عشر الميلادى فتراجعت إليها الأئمة من سائر المذاهب^(١).

المرحلة الثانية :-

وهى التى خضعت فيها مصر لحكم الفاطميين (٣٥٨هـ: ٥٦٧هـ- ٩٦٩م: ١١٧٢م) الذين حاولوا محو آثار المذهب السنى وفرض مذهبهم الإمامى الذى لم يكن مختلفاً عن المذهب السنى إلا فى بعض الجوانب التى تتعلق بالسياسة إلا أنهم قد فتحوا باب الاجتهاد على مصرعيه فالعقل عندهم هو أساس الفتوى وإن عارضه فى ذلك النقل ومعنى ذلك أن فقه الامامية قد حرر العقلية المصرية فى الوقت الذى قيدت فيه العقلية الإسلامية خارج مصر نفسها بقيود المذاهب الفقهية الأربعة^(٢)، وبعد أن كنا نظفر فى القرنين الثانى والثالث الهجريين الثامن والتاسع الميلاديين بمثل مالك، وأبى حنيفة، والشافعى يفتى كل منهم برأيه ويبيع لنفسه حرية واسعة فى إبداء هذا رأى أصبحنا فى القرنين الثالث والرابع الهجريين التاسع والعاشر الميلاديين أمام فقهاء يفيدون أنفسهم برأى مالك، والشافعى أو غيرهما وهؤلاء حسبهم أن يبحثوا فى مسائل الفقه داخل حدود معينة، هى حدود المذهب الذى اختاروه لأنفسهم وبعد هؤلاء جاءت طبقة ثالثة فى القرنين الخامس والسادس الهجريين الحادى عشر والثانى عشر الميلاديين من طبقات الفقهاء وسؤلاء يكتفون

(١) المقرئى، الخطط، ج ٢، ص ٣٣٣ وما بعدها.

(٢) المقرئى، الخطط، ج ٢، ص ٣٣٥.

الفصل الرابع

فى العادة بأن ينقلوا كل ما استنبطه الذين سبقوهم فى المذهب ويرجحوا ما اختاروه من الخلاف بالحجج التى يصلون إليها^(١).

المرحلة الثالثة :-

وهى التى تلت حكم الفاطميين على مصر إذ جاء الايوبيون اليها وأكثر همهم فى ذلك إحياء المذهب السنى من جديد والحق أن فقهاء مصر صاروا يومئذ مجتهدى مذهب بمعنى أنه لم يظهر فيهم صاحب مذهب جديد مخالف للمذاهب الأربعة المعروفة بحيث إذا عرضت لأحدهم حكاية لم يعرفوا فيها للأئمة نصاً، اجتهدوا على مذهبهم، ونسخوا على منوالهم، وقلبوا أقوالهم ووقفوا عند هذا الحد ومع هذا و ذاك فمن الإنصاف لفقهاء العصر الايوبى بمصر أن يقال أنهم كانوا ينطلقون إلى نوع من الاستقلال فى الفقه أولى به أن يسمى (سعة فى التصرف)^(٢).

وحقيقة الأمر أن المذاهب الفقهية الأربعة المعروفة لم تكن فقط لتمثل أربعة آراء شخصية لأصحابها بأكثر ما كانت تعبيراً عن أربعة تيارات فكرية قد تناول كل واحد منها الشريعة من أحد وجوها معتمدين فى ذلك كلهم على الأصلين الأساسيين وهما القرآن والسنة بحيث إننا إذا إنتقلنا من رأى فى أحد المذاهب،

(١) السبكى، طبقات الشافعية الكبرى، ج٣، ص ٢٠٣. وما بعدها- السيوطى، حسن

المحاضرة، ج١، ص ٢٥٤ وما بعدها.

(٢) راجع ما كتب مؤلفوا الطبقات عن فقهاء مصر فى ذلك العصر فمن هؤلاء السبكى فى

كتابه طبقات الشافعية الكبرى فى الجزئين السادس والسابع وكذلك السيوطى فى الجزء

الأول من كتاب حسن المحاضرة وابن فرحون فى الديباج المذهب وابن أبى الوفاء القرشى

فى الجواهر المضية.

الفصل الرابع

وجدنا أنفسنا أمام مذهب آخر من المذاهب الثلاثة المتبقية ومعنى ذلك أن تلك المذاهب لم تكن لتقيد العقلية الإسلامية كما ذكر أحد الباحثين^(١)، بل أنها لها قواعدها في التفكير والقياس ولعل أكثر ما يؤيدنا في ذلك الموضوع أن صلاح الدين رغم كونه شافعيّاً إلا أنه قد أمر ببناء المدارس التي خصصت لدراسة فقه مالك وأبى حنيفة وتبعه في ذلك أمراء دولته كما سبق أن قدمنا^(٢)، ولم يقف الأمر عند ذلك الحد بل إننا قد وجدنا القاضي الفاضل الشافعي المذهب قد خصص مدرسته التي أنشأها في حدود السنة (٥٨٠هـ-١١٨٤م) لدراسة فقهى مالك والشافعي معاً في درس واحد وشرط أن يكون المدرس بها ملماً بالفقهين^(٣) معاً ويعطينا ذلك فكره عن مدى الحرية التي تمتعت بها العقلية الإسلامية بمصر في ذلك العصر وعلى الرغم من أننا قد وجدنا نفوراً من الجانب الايوبي من الفقه الحنبلي، وهو الوجه الرابع من وجوه التشريع الإسلامى الأمر الذى كان يشير هؤلاء الحنابلة ضد غيرهم من أصحاب المذاهب الفقهية الأخرى^(٤) إلا أننا قد وجدناهم - أى الايوبيين -

(١) أحمد عزت، التربية والمجتمع المصرى، ص ٤٢٧ وما بعدها.

(٢) انظر الرسالة، الفصل الثانى.

(٣) انظر الرسالة، الفصل الثانى.

(٤) حكى المؤرخون في ذلك اخباراً منها على سبيل المثال ما كان من أمر الحنبلى شانى لما قصد قبر ابن الكيزانى بجوار تربة الشافعى ونبشة وقال لا يرقد صديق وزنديق فى مكان واحد وكذلك ما حكى عن الشهاب الطوسى لما سأله الحنابلة بمصر عن دم الحلاج فأستعظم ذلك وقال: المتهم يحتاج إلى تزكيه وظهر مقاله الاشعرى، فثارت الحنابلة، وبالمدرسة الكاملية فى السنة ٦٣٩هـ دارت مناقشات حول دم الحلاج فجعلنا نستنتج مدى المعاناة التى قابلت الحنابلة بمصر فى العصر الايوبي إلى نهايته.

السبكى، طبقات الشافعية الكبرى، ج ٦، ص ١٤- الذهبى، سير اعلام النبلاء، ج ٢١،

ص ٣٨٣- السلامى، تاريخ علماء بغداد، ص ١٠.

الفصل الرابع

"قدم مصر مع شيخنا الحافظ أبى الحسن المقدسى وأقام معه بالمدرسة الصاحبية بالقاهرة مدة وسمع معنا عليه" (١) كما قال ابن أبى الوفاء القرشى رواية عن المنذرى من "أنه قد أستمع لدروس الفقه الحنفى على يد عبد الرحمن بن محمد بن عبد العزيز اللخمى مدرس المدرسه العاشورية" (٢).

وإذا كان العصر الايوبى قد سمح فيه للعقلية الإسلامية بكل هذه الحرية إلا إنه قد قيدها فى جانب واحد من جوانب الفكر الإنسانى وهى المتعلقة بالفلسفة (٣) ولعل أكبر شاهد على تلك الحقيقة فيما كتبه المؤرخون عن السيف الأمدى الذى كان فى مبتدأ أمره حنبلياً ثم انتقل وصار فقيها شافعيًا واشتغل بالأصول وصنف فى أصول الفقه وأصول الدين والمعقولات عدة مصنفات وأقام بمصر مدة وتحامل عليه الفقهاء الفضلاء وعملوا محضراً ونسبوه فيه إلى انحلال العقيدة ومذهب الفلاسفة وحملوا المحضر إلى بعض الفقهاء الفضلاء ليكتب خطه حسبما وضعوا خطوطهم به فكتب.

حسدوا الفتى اذ لم ينالوا سعيه فالقوم اعداء له وخصوم

ولما جرى ذلك استنزل الأمدى المذكور وسار إلى حماه وأقام فيها مده ثم عاد إلى دمشق حتى توفى بها (٤).

ثانياً : الحديث :-

وعلم الحديث هو المكمل للشريعة الإسلامية ويشمل على ما نقل عن النبى (صلى الله عليه وسلم) قولاً وفعلاً أو تقريراً أو صفه ويجب معرفة الناسخ من

(١) المنذرى، التكملة لوفيات النقلة، ج ٣، ص ٣٦٧.

(٢) ابن أبى الوفاء القرشى، الجواهر المضيه، ج ٢، ص ٣٦٥.

(٣) أحمد فكرى، أبحاث الندوة الدولية، ج ١، ص ١٦٣.

(٤) ابو الفداء، تاريخ ابو الفداء، ج ٣، ص ١٦٣.

الفصل الرابع

المنسوخ ومعرفة أنواع الرواية وأحكامها وشروط الرواة والتأكيد من براءتهم من الجرح والغفلة^(١).

ولا يخفى على الباحثين أن الحديث كان مرتبطاً أشد الارتباط بالعلوم العربية الأخرى كالتفسير، والفقه، والنحو واللغة، والقراءات. ومع ذلك فقد كان هناك علماء اقتصوا بعلم الحديث وقضوا على دراسته جزءاً كبيراً من حياتهم حتى أوشك علم الحديث عندهم أن يستقل بنفسه استقلالاً ظاهراً عن الفقه وغيره من العلوم الأخرى^(٢).

وقد حظيت مصر منذ الفتح الإسلامى بجماعة من الذين اهتموا بنقل الحديث الشريف وتنقيحه والتصنيف فيه ولم يكن مجيء الفاطميين إلى مصر عائقاً أمام المحدثين فى إلقاء دروسهم فى ذلك العلم ولعلّى أبرز ما يمكن الإشارة إليه من هؤلاء الحفاظ السلفى المتوفى سنة (٥٧٦هـ - ١١٨٠م) وفى العصر الأيوبي ازداد الإهتمام بدراسات الحديث النبوى إلى الحد الذى وجدنا فيه ولأول مره مؤسسة قد استقلت بدراسة ذلك العلم وهى المدرسة الكاملية التى أتاحت الفرصة كاملة أمام المتخصصين فى ذلك العلم لازدهار دراساتهم وقد قدمت لنا تلك المدرسة فى ذلك العصر أبرز وأهم محدثا فى وقته وهو الحافظ زكى الدين عبد العظيم بن عبد القوى بن عبد الله بن سلامه المنذرى الشافعى المصرى (٥٨١هـ : ٦٥٦هـ - ١١٨٥م : ١٢٥٨م) وأصله من الشام ولكنه ولد بمصر قال العيني "وإليه الوفادة والرحلة من سنين متطاولة. وسمع الكثير، ورحل، وطلب، وصنف، وخرج، واختصر، صحيح مسلم، وسنن أبى داود"^(٣)، وفى تذكرة الحفاظ للذهبي إن المنذرى "كان شيخاً عديم النظر فى علم الحديث على اختلاف فنونه عالماً بصحيحه وسقيمه

(١) أبو يحيى (زكريا الانصارى : ت ٩٢٦هـ - ١٥١٨م) اللؤلؤ النظيم فى روم التعلم والتعليم - القاهرة، ١٣١٩هـ - ص ٨.

(٢) القلقشندى، صبح الأعشى، ج ٥، ص ٤٦٤.

(٣) العيني، عقد الجمان، ص ١٨٨، ١٨٩ - اليونينى، ذيل مرآة الزمان، ج ١، ص ٢٤٨.

الفصل الرابع

ومعلوله وطرقه متبحراً فى معرفة أحكامه ومعانيه ومشكله قيماً بمعرفة غريبه وإعرابه^(١) قال السيوطى "ألف الترغيب والترهيب وشرح التنبيه وغير ذلك"^(٢) وقال السبكى أن شيخ الإسلام عز الدين بن عبد السلام كان يسمع الحديث قليلاً بدمشق فلما دخل القاهرة بطل ذلك وصار يحضر مجلس الشيخ زكى الدين ويسمع عليه فى جملة من يسمع له^(٣)، وفى ذلك إشارة واضحة لمكانته المرموقة بين المحدثين فى عصره.

علم القراءات:-

وهو علم يبحث فى صور نظم كلام الله تعالى من حيث وجوه الاختلافات المتواترة، وهو يعتمد على العلوم العربية التى تعين على تحصيل هذه الملكة، وفائدة ذلك صون كلام الله تعالى من التغيير والتحريف. وقد يبحث أيضاً فى الاختلافات غير المتواترة مما وصل إلى حد الشهرة^(٤).

وقد بلغ علم القراءات بمصر حد الذروة مع إنتشار حركة إنشاء المدارس الأيوبية، التى وجدنا فى بعض مدارسها دروساً مستقلة فى ذلك العلم حكى المنذرى عن أبى الشناء حامد بن مفرج بن غياث الانصارى الأرتاحى الأصل المصرى المولد والدار المقرئ بمصر من أنه قرأ القرآن الكريم بالقراءات على الشيخ أبى الجود غياث بن فارس المقرئ وعلي الشريف الخطيب أبى الفتوح ناصر بن الحسن الزيدى، ومات قبل أن يكمل عليه القراءات وسمع بمكة شرفها الله تعالى من الحافظ أبى

(١) الذهبى، تذكرة الحفاظ، ج٤، ص ١٤٣٧.

(٢) السيوطى، حسن المحاضرة، ج١، ص ٣٥٥.

(٣) السبكى، طبقات الشافعية الكبرى، ج٨، ص ٢٥٩.

(٤) البيضاوى، المصدر السابق، ورقة رقم ٩٦.

الفصل الرابع

محمد المبارك بن الحسين البغدادي المعروف بابن الطباخ وتصدر للإقراء بالجامع العتيق بمصر، وبمدرسة السيد الطبيب المطللة على النيل المبارك مدة طويلة. وأم بالمسجد المعروف به بكوم الجراح إلى حين وفاته في سنة (٦١١هـ-١٢١٤م)، وكانت ولادته في عشر شوال سنة (٥٣٣هـ-١١٣٨م)^(١).

وفي المدرسة التي بمنية بنى الخصيب خصص درس بها لإقراء القرآن، وهو ما يفهم من كلام المنذري عن أبي الجود غياث بن فارس إذ يذكر أنه- أي أبا الجود- قد تصدر لإقراء القرآن الكريم بمدرسة ممنية بنى خصيب^(٢).

وتعتبر المدرسة الفاضلية أهم المدارس الأيوبية في ذلك الشأن فقد كون مدرسو علم القراءات بها تياراً فكرياً كبيراً اجتذب كثير من الذين اهتموا بذلك العلم من داخل مصر وخارجها، وفيما يلي عرض لأهم هؤلاء الذين تولوا تلك المهمة :-

(١) أبو القاسم الشاطبي :-

وهو القاسم بن فيرة بن خلف بن أحمد الرعيني الشاطبي الأندلسي ولد سنة (٥٣٨هـ-١١٤٣م) بشاطبة^(٣) من بلاد الأندلس وقرأ القرآن بها علي أبي عبد الله بن أبي العاصي النفري^(٤) ورحل إلى بلنسية^(٥) بالقرب من بلده فعرض بها التيسير لأبي عمرو الداني من حفظه والقراءات على ابن هزيل وسمع منه ومن أبي عبد الله

(١) المنذري، التكملة لوفيات النقلة، ج ٢، ص ٣٢١.

(٢) المنذري، التكملة لوفيات النقلة، ج ٢، ص ١٦٢.

(٣) وهي مدينة في شرقي الأندلس وشرقي قرطبة، وهي مدينة كبيرة قديمة قد خرج منها خلق من الفضلاء.

- ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٣، ص ٣٠٩.

(٤) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٣، ص ١٠-الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٢١، ص ٢٦٢-السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج ٦، ص ٢٧١.

(٥) وهي: مدينة مشهورة بالأندلس متصله بحوزة كورة تدمير وهي شرقي تدمير وشرقي قرطبة - ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص ٤٩٠.

الفصل الرابع

محمد ابن حميد أخذ عنه كتاب سيبويه والكامل للمبرد وأدب الكاتب لابن قتيبة وغيرها وعن أبي الحسن بن النعمة صاحب كتاب رى الظمان فى تفسير القرآن وعن أبى القاسم حبيش صاحب عبد الحق بن عطيه صاحب التفسير ورواه عنه^(١)، ثم أنه بعد ذلك قرر الانتقال إلى مصر وكان سبب انتقاله إليها من بلاده أنه أريد أن يلى خطابة بلده فامتنع من ذلك لأجل مبالغة الخطباء على المنابر فى وصف الملوك فاحتج بأنه قد وجب عليه الحج، وأنه عازم عليه فتركها ولم يرجع إليها نورعاً مما كان يلزمون به الخطباء من ذكرهم على المنابر بأوصاف لم يرها سائغة شرعاً^(٢)، ولما بلغت الرحلة بالشاطبى إلى الإسكندرية فى حدود السنة (٥٧٢هـ-١١٧١م) سمع من أبى طاهر السلفى^(٣)، ولما دخل مصر أكرمه القاضى الفاضل وعرف مقداره وأنزله بمدرسته الفاضلية وجعله شيخها وعظمه تعظيماً كثيراً وجلس للإقراء فقصده الخلائق من الأقطار ثم أنه لم فتح الملك الناصر صلاح الدين يوسف بيت المقدس توجه فزاره سنة (٥٨٩هـ-١١٩٣م) ثم رجع فأقام بالمدرسة الفاضلية يقرأ حتى توفى سنة (٥٩٠هـ-١١٩٤م). قال عنه ابن الجزرى فى طبقاته "كان الشاطبى إماماً كبيراً أعجوبة فى الذكاء كثير الفنون آية من آيات الله تعالى غاية فى القراءات حافظاً للحديث بصيراً بالعربية إماماً رأساً فى الأدب مع الزهد والولاية والعبادة والإنقطاع^(٤)" وقال عنه ابن فرحون "كان الشاطبى عالماً بكتاب الله تعالى قراءة وتفسيراً وبحديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مبرزاً فيه وكان إذا قرأ عليه

(١) ابن الجزرى، غاية النهاية، ج ٢، ص ٢٠.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٣، ص ١٠ - أبو شامة، تراجم رجال القرنين، ص ٧.

(٣) السبكى، طبقات الشافعية الكبرى، ج ٦، ص ٢٧١ - الذهبى، سير أعلام النبلاء، ج ٢١،

ص ٢٦٢.

(٤) ابن الجزرى، غاية النهاية فى طبقات القراء، ج ٢، ص ٢١.

الفصل الرابع

صحيح البخارى ومسلم والموطأ يصحح النسخ من حفظه ويملى النكت على المواضع المحتاج إليها وكان أوجد أهل زمانه فى علم النحو واللغة عارفاً بعلم الرؤيا حسن المقاصد مخلصاً فيما يقول ويفعل^(١) وبالمدرسة الفاضلية بمصر ألف الشاطبى قصيدته الموسومة بالشاطبية وذكر أنه ابتداءً أولها بالأندلس إلى قوله (جعلت أبا جاد) ثم أكملها بالقاهرة^(٢). قال ابن الجزرى ومن وقف على قصيدتيه علم مقدار ما آتاه الله فى ذلك خصوصاً اللامية التى عجز البلغاء من بعده عن معارضتها فإنه لا يعرف مقدارها إلا من نظم على منوالها أو قابل ما لا أعلمه لكتاب غيره فى هذا الفن بل أكاد أن أقول ولا فى غير هذا الفن فإننى لا أحسب أن بلداً من بلاد الإسلام يخلو منه بل لا أظن أن بيت طالب علم يخلو من نسخة به، ولقد تنافس الناس فيها ورغبوا من اقتناء النسخ الصحاح بها إلى غاية حتى أنه كانت عندى نسخة باللامية والرائية مجلدة فأعطيت بوزنها فضة فلم أقبل، ولقد بالغ الناس فى التغالى فيها وأخذ أقوالها مسلمة واعتبار ألفاظها منطوقاً ومفهوماً حتى خرجوا بذلك عن حد أن تكون لغير معصوم وتجاوز البعض الحد فزعم أن ما فيها هو القراءات السبع وأن ما عدا ذلك شاذ لا تجوز القراءة به^(٣).

(٢) أبو الجود غياث بن فارس:-

وهو غياث بن فارس بن مكى بن عبد الله المنذرى اللخمى المقرئ النحوى العسروى الضرير ولد سنة (٥١٨هـ - ١١٢٤م) انتهت إليه مشيخة الإقراء بالديار المصرية وتصدر للإقراء من شببته، تصدر للإقراء بالمدرسة الفاضلية

(١) ابن فرحون، الديباج المذهب، ص ٢١٧.

(٢) ابن الجزرى، غاية النهاية فى طبقات القراء، ج ٢، ص ٢١.

(٣) ابن الجزرى، غاية النهاية فى طبقات القراء، ج ٢، ص ٢٢.

الفصل الرابع

بعد الشاطبي حتى توفي في تاسع رمضان سنة (٦٠٥هـ-١٢٠٨م)^(١) قال المنذرى "وإقراء الناس مدة طويلة ورحل إليه للقراءة عليه وانتفع به خلق كثير من أهل البلد والقادمين عليها، وأكثر المتصدرين للإقراء بمصر أصحابه وأصحاب أصحابه"^(٢) كابن عمران بن زيادة المقرئ الضرير المالكي الذي تولي مشيخه الإقراء بالمدرسة الفاضلية إلى حين وفاته سنة (٦٢٩هـ-١٢٣١م) قال عنه المنذرى "كان فاضلاً وانتفع به جماعة"^(٣)، ومنهم أيضاً على بن عبد الصمد (٥٥٧هـ: ٦٣٣هـ- ١١٦٢م: ١٢٣٥م)^(٤) ومنهم أيضاً عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس أبو عمرو بن الحاجب الكردي الأصل الدوني الأسنائي المولد المالكي الأصولي النحوي المقرئ (٥٧١هـ: ٦٤٦هـ- ١١٧٥م: ١٢٤٨م)^(٥).

(٣) القرطبي (٥٥٨هـ: ٦٣١هـ- ١١٦٣م: ١٢٣٣م)

وهو محمد بن عمر بن يوسف أبو عبد الله القرطبي الأنصاري المالكي، نشأ بفاس من بلاد المغرب ثم انتقل إلى مصر فسمع بها الشاطبي ولزمه مدة وأخذ عنه القراءات قال ابن الجزري "ولم يسمع أحد من الشاطبي الرائية كاملة فيما نعلم سواه

(١) المنذرى، التكملة لوفيات النقلة، ج ٢، ص ١٦٢- ابن الجزري، غاية النهاية، ج ٢، ص ٤-

الذهبي، تاريخ الإسلام، الطبقة ٦٢، ص ١٨٢-١٨٤.

(٢) المنذرى، التكملة لوفيات النقلة، ج ٢، ص ١٦٢.

(٣) المنذرى، التكملة لوفيات النقلة، ج ٣، ص ٣١٥- السيوطي، حسن المحاضرة، ج ١، ص

٤٩٩.

(٤) السيوطي، حسن المحاضرة، ج ١، ص ٢٨١.

(٥) ابن الجزري، غاية النهاية، ج ١، ص ٥٠٩.

الفصل الرابع

وله فيها أبيات انفرد بروايتها عنه من ذلك بيتان أحدهما فى البقرة والأخرى فى الرعد^(١) وقال السيوطى "كان القرطبى إماماً زاهداً مجوداً للقراءات عارفاً بوجوهها بصيراً بمذهب مالك حاذقاً بفنون العربية وله يد طولى فى التفسير"^(٢).

النحو:-

كان ميراث النحو فى مصر ميراثاً ضخماً إذ كان يتألف من زحو الكوفة والبصرة وبنحو هاتين المدينتين تأثرت مصر تأثراً عظيماً فى أول أمرها ثم استقلت بشخصيتها النحوية بعد ذلك^(٣)، وقد لعب جامعى عمرو وابن طولون دوراً كبيراً فى تنظيم حركة علمية لدراسة النحو، وقد ظل ذلك الحال إلى أيام الأيوبيين التى لم تغفل مدارسهم بها عن تخصيص دروس بها لذلك العلم ولا أدل على ذلك من المدرسة الصاحبية التى قال عنها المقرئى (وبها درس نحو)^(٤)، وأما غير ذلك مما وصل إلينا بشأن ذلك الموضوع فإنه يؤكد لنا حقيقة هامة مؤداها أن الإمام باللغة وعلومها من نحو وغيره كان شرطاً لازماً لكل من تولى مهمة التدريس فى أى مدرسة بمصر فى ذلك الوقت وأكثر من ذلك فإننا قد وجدنا بعضاً من اللغويين الذين تولوا التدريس بهذه المدارس مثال ذلك ابن الحاجب عالم النحو الشهير والذي سبق الإشارة إليه بالمدرسة الفاضلية.

(١) ابن الجزرى، غاية النهاية، ج ٢، ص ٢٢٠.

(٢) السيوطى، (الحافظ جلال الدين عبد الرحمن ت: ٩١١ هـ - ١٥٠٥ م)، طبقات المفسرين،

تحقيق: على محمد عمر، مكتبة وهبة، القاهرة، ط ١، ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م، ص ١١٧.

(٣) راجع ما كتبه السيوطى فى كتابيه (حسن المحاضرة - طبقات اللغويين والنحاه).

(٤) المقرئى، الخطط، ج ٢، ص ٣٧١.

الفصل الرابع

التفسير :-

ودراسة تفسير القرآن تشتمل على فهمه وإدراك معانيه وأسباب نزول الآيات والتمييز بين الناسخ والمنسوخ واستخراج الأحكام وهو علم ليس قائماً بذاته وإنما يجب فيمن يشتغل به أن يكون قد سبق له دراسة علم اللغة والنحو والتصريف والمعاني والبيان وعلم البديع والقراءات كما يستعان فيه بعلم أصول الفقه وعلم الحديث^(١)، وكان الشيخ عز الدين بن عبد السلام مدرس الصالحية هو أول من ألقى دروساً في التفسير بمصر على حد قول الإسنوي^(٢)، وفي ذلك دلالة واضحة على الأثر العلمي الذي أحدثته المدارس الأيوبية في ذلك العصر.

الآثار الاجتماعية والسياسية لمدارس مصر في العصر الأيوبي :-

وجدير بنا أن ننتبه لحقيقة الدور الاجتماعي والسياسي لمدارس مصر في العصر الأيوبي باعتباره الوجه الآخر والعملى المكمل للدور العلمي الذي نهضت به تلك المدارس ويتمثل ذلك في أدوار المدرسين الاجتماعية والسياسية مستفيدين في ذلك من مكانتهم العالية لدى الملوك والأمراء في داخل مصر والتي تعدتها أحياناً إلى ملوك وأمراء الدول الأخرى بل إلى شخص الخليفة العباسي نفسه ببغداد وفي ذلك يروى لنا السبكي من بعض أخبار الخبوشاني خبرين أولهما أن صلاح الدين لما خرج لقتال الفرنج جاء الشيخ الخبوشاني إلى وداعه والتمس منه أموراً من المكوس

(١) ابن الأكفاني (شمس الدين محمد بن إبراهيم بن مساعدة الانصاري - ت ٧٤٩هـ /

١٣٤٨م)، ارشاد القاصد إلى أسنى المقاصد، ميكروفيلم رقم ٢ معارف عامة، معهد

المخطوطات العربية ورقه رقم ٣٣، ٣٤ - البيضاوي، تعريفات العلوم، ورقه رقم (١).

(٢) الإسنوي، طبقات الشافعية، ج ٢، ص ٨٥ - رضوان على الندوي، العز بن عبد السلام،

الفصل الرابع

يسقطها عن الناس فلم يفعل، فقال له الشيخ : قم لانصرك الله ووكره بعصاه فوقعت قلنسوة السلطان عن رأسه فوجم لها ثم توجه إلى الحرب فكسر، وعاد إلى الشيخ، فقبل يده وعرف أن ذلك بسبب دعوته وثانيهما أن تقى الدين عمر بن أخي السلطان له مواضع يباع فيها المزر^(١) فكتب الشيخ ورقة إلى صلاح الدين يقول فيها : إن هذا عمر يبيع المزر فسيرها صلاح الدين إلى عمر، وقال : لا طاقة لنا بهذا الشيخ فأرضه فركب إليه، فقال له حاجبه قف بباب المدرسة حتى أسبقك إليه فأوطئ لك، فدخل وقال : إن تقى الدين ليسلم عليك فقال « الشيخ » : بل شقى الدين لاسلم الله عليه، فقال : إنه يعتذر ويقول : ليس لى موضع يباع فيه المزر، فقال : يكذب فقال : إن كان هناك موضع مزر فأرنا - فقال الشيخ : إذن، وأمسك ذؤابته وجعل يلطم على وجهه وخديه ويقول : لست مزاراً فأعرف مواضع المزر فخلصوه من يده وخرج إلى تقى الدين وقال : فديتك بنفسى^(٢).

وأما عز الدين بن عبد السلام مدرس المدرسة الصالحية، فتروى لنا المصادر التاريخية من أخباره ما يفيدنا بأهمية ذلك الدور فمن ذلك أنه قد اتفق أن أستاذ دار الملك الصالح وهو فخر الدين يوسف بن شيخ الشيوخ، وهو الذى كان إليه أمر المملكة عمد إلى مسجد بمصر فعمل على ظهره بناء لطبل خانات وبقيت هنالك، فلما ثبت هذا عند الشيخ عز الدين حكم بهدم ذلك البناء وأسقط فخر الدين ابن الشيخ، وعزل نفسه من القضاء ولم تسقط بذلك منزلة الشيخ عند السلطان، وأتفق أن جهز السلطان الملك الصالح رسولاً من عنده إلى الخليفة المستعصم ببغداد فلما وصل الرسول إلى الديوان ووقف بين يدى الخليفة وأدى الرسالة، خرج إليه وسأله :

(١) المزر، بكسر الميم وهو نبيذ يتخذ من الذرة وقيل من الشعير أو الحنطة.

- ابن منظور، لسان العرب، ج ٧، ص ١٩.

(٢) السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج ٦، ص ١٦، ١٧ - سعاد ماهر، مساجد مصر

وأولياؤها الصالحون، ج ٢، ص ١٧٦.

الفصل الرابع

هل سمعت هذه الرسالة من السلطان؟ فقال: لا ولكن حملنيها عن السلطان فخر الدين بن شيخ الشيوخ أستاذ داره فقال الخليفة إن المذكور أسقطه ابن عبد السلام، فنحن لانقبل روايته فرجع الرسول إلي السلطان حتى شافهه بالرسالة ثم عاد إلى بغداد وأداها^(١).

وحكى أيضاً عن الشيخ عز الدين بن عبد السلام "أنه طلع مرة إلى السلطان في يوم عيد وهو بالقلعة، فشاهد العساكر مصطفىين بين يديه ومجلس المملكة وما السلطان فيه يوم العيد من الأبهة، وقد خرج على قومه في زينته على عادة سلاطين الديار المصرية، وأخذت الأمراء تقبل الأرض بين يدي السلطان، فالتفت الشيخ إلى السلطان وناداه: يا أيوب، ما حجتك عند الله إذا قال لك أما أبوى لك ملك مصر ثم تبيع الخمر؟ فقال: هل جرى هذا؟ فقال نعم، الحانة الفلانية تباع الخمر فيها وانت تتقلب في نعمة هذه المملكة، يناديه كذلك بأعلى صوته والعساكر واقفون، فقال: يا سيدى هذا أنا ما عملت هذا من زمان أبى. فقال: أنت من الذين يقولون (أنا وجدنا آباءنا على أمة)، فرسم السلطان بإبطال تلك الحانة"^(٢).

كما كان لبعض المدرسين مشاركة في ميدان السياسة، فهذا أبو الحسن محمد بن شيخ الشيوخ (٥٤٣: ٦١٧هـ - ١١٥٨: ١٢٢٠م)، مدرس الناصرية الثانية قد سيره الملك العادل وابنه الملك الكامل في رسائل متعددة إلى حلب وبغداد وغيرها من البلاد، واجتمع به ابن العديم^(٣)، بالياروقية ظاهر مدينة حلب، وقد وردها

(١) السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج ٨، ص ٢١١ - ابن حجر العسقلاني، رفع الأثر عن قضاة مصر، ج ١، القسم الأول، ص ٣٥٣.

(٢) السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج ٨، ص ٢١٢.

(٣) وهو صاحب العلامة المعروف بكمال الدين عمر بن أحمد العقيلي الحلبي من بيت القضاء والحشمة، سمع بدمشق وبغداد والقدس والنواحي. وأجاز له المؤيد وخلق، كان قليل المثل عديم النظير فضلاً ونبلاً ورأياً وحزماً وذكاء وبهاء وكتابة وبلاغة، درس وأفتى وصنف وجمع تاريخاً لحلب نحو ثلاثين مجلد وقد ناب في سلطنة دمشق للناصر وتوفى بمصر في سنة (٦٦٠هـ - ١٢٦٢م)

- ابن اسعد اليافعي، مرآة الزمان، ج ٤، ص ١٥٨.

الفصل الرابع

رسولاً من الملك الكامل محمد إلى أخيه الملك الأشرف موسى^(١)، وقد ظل أبو الحسن كذلك إلى آخر عمره . فقد بعثه الملك الكامل رسولاً يستنجد بالخليفة وجيشه على الفرنج فأدركه الموت بالموصل^(٢).

أما نجم الدين عبد الله بن شاس مدرس المدرسة القمحية فتروى لنا المصادر التاريخية عن أنه ترك التدريس وتوجه إلى ثغر دمياط بنية الجهاد عندما استولى الصليبيون عليه في سنة (٦١٥هـ-١٢١٨م) وهى ما تسمى بالحملة الصليبية الخامسة واستمر الشيخ ابن شاس فى جهاده إلى أن توفى سنة (٦١٦هـ-١٢١٩م)^(٣).

وقام المدرسون فى بعض الأحيان بالإشارة على الملوك فى مواقف سياسية شديدة الحساسية وفى ذلك يروى لنا السبكى حكاية عن العز بن عبد السلام وحاصلها أن التتار لما دهمت البلاد عقب واقعة بغداد وجبن أهل مصر عنهم وضائق بالسلطان وعساكره الأرض، استشاروا الشيخ عز الدين رحمة الله فقال : اخرجوا وأنا أضمن لكم على الله النصر فقال السلطان له إن المال فى خزانة قليل، وأنا أريد أن أقترض من أموال التجار فقال له الشيخ عز الدين: إذا أحضرت ما عندك وعند حريمك وأحضر الأمراء ما عندهم من الحلى وضربته سكاً ونقداً وفرقتهم فى الجيش ولم يبق بكفائتهم ذلك الوقت أطلب القرض وأما قبل ذلك فلا. فأحضر السلطان والعسكر كلهم ما عندهم من ذلك بين يدي الشيخ، وكان الشيخ له عظمة

(١) ابن العديم، بغية الطلب فى تاريخ حلب، ج ١٠، ص ٤٣٩٥.

(٢) ابن أسعد اليافعى، مرآة الجنان وعبرة اليقظان، ج ٤، ص ٣٩- ابن العديم، بغية الطلب فى تاريخ حلب، ج ١٠، ص ٤٣٩٦- السيوطى، حسن المحاضرة، ج ١، ص ٤٠٩.

(٣) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٣، ص ٦١- عبد الغنى عبد العاطى، التعليم فى مصر،

الفصل الرابع

عندهم وهيبة بحيث لا يستطيعون مخالفته فامتثلوا لأمره فانتصروا^(١)، وعلى الرغم من أن العز بن عبد السلام هذا لم يكن فى أخريات أيامه سوى مدرس للفقهاء الشافعى بالمدرسة الصالحية فقد ظلت مكانته فى تزايد مستمر إلى الحد الذى كان معه السلطان الظاهر بيبرس يخشاه ويوقره وفى ذلك يروى لنا المؤرخون رواية مؤداها أنه لما مرت جنازة الشيخ عز الدين تحت القلعة وشاهد الملك الظاهر كثرة الخلق الذين معها قال لبعض خواصه اليوم استقر أمرى فى الملك لأن هذا الشيخ لو كان يقول للناس اخرجوا عليه لانتزع الملك منى^(٢).

(١) السبكى، طبقات الشافعية الكبرى، ج ٨، ص ٢١٥.

(٢) السبكى، طبقات الشافعية الكبرى، ج ٨، ص ٢١٥ - الإسنى، طبقات الشافعية، ج ٢،

الخاتمة

الخاتمة

الخاتمة

وبعد فقد قصد الباحث من تلك الدراسة إلقاء الضوء على المدارس الإسلامية بمصر في العصر الأيوبي ودورها في نشر المذهب السني، وقد خلص الباحث إلى مايلي:-

أولاً: إن المدارس الإسلامية تعتبر بمثابة مرحلة متطورة وأخيرة بالنسبة للمراحل التي مرت بها المؤسسات التعليمية التي سبقتها، وأن ذلك التطور قد تم بفضل رغبة أهل السنة في نشر مذاهبهم، ومحاربة التشيع في العالم الإسلامي، وذلك خلال القرنين الرابع والخامس الهجريين العاشر والحادي عشر الميلاديين، فأكثروا من إنشاء تلك المدارس ببلاد فارس والعراق، والحق أن تلك المؤسسات قد نجحت نجاحاً ملحوظاً في تحقيق الغرض الذي أنشئت من أجله، عائد ذلك في الحقيقة إلى ما تميزت به تلك المؤسسات التعليمية عن غيرها من المؤسسات التي سبقتها كالمساجد ودور الكتب ودور العلم والخانات والخوانق فعلى الرغم من كونها جاءت شبيهة بأبلغ الشبه بالخوانق، وهي أكثر تلك المؤسسات تطوراً باعتبار أنها جاءت ممثلة لخلية علمية إلا أنها قد زادت عليها بمميزات أخرى فوق نوع الدراسة التي اختصت كل واحدة منها بدراسته ففي الوقت الذي قصرت فيه الخوانق اهتماماتها على الغرباء من الصوفية جاءت فيه المدارس غير منعزلة عن المجتمعات التي وجدت بها وذلك من خلال سماحها لراغبي العلم في أي مكان من الأرض في الالتحاق والاستماع إلى الدروس التي كانت تلقى فيها .

ثانياً: إن المدارس قد تأخر ظهورها بمصر إلى أوائل القرن السادس الهجري - الثاني عشر الميلادي نظراً لأنها كانت في ذلك الوقت خاضعة لحكم الفاطميين

الخلاصة

الشيعة ومع ذلك فإن ثلاثة مدارس قد ظهرت فى ذلك العصر بالإسكندرية قد جاء ذلك شاهداً على أمرين: أولهما: - مكانة أهل السنة بمدينة الإسكندرية، وثانيهما. بخصوص التغير الذى طرأ على سياسة الفاطميين التى أخذت تتجه فى أخريات أيامها بعيداً عن العصبية المذهبية. وكسب تأييد كل الجماعات والأفراد بغض النظر عن انتماءاتهم المذهبية، وقد أكدت الدراسة على أن أول ظهور لتلك المؤسسات قد ارتبط بنزول الفقيه أبى بكر الطرطوشى المتوفى سنة (٥٢٠هـ - ١١٢٦م) ... مدينة الإسكندرية الذى أسس أول مدرسة بها بل بمصر كلها على الإطلاق وذلك بقصد إحياء المذهب السنى بها ومواجهة التحديات الشيعية سيراً على السياسة التى شاهدها بالشرق.. والتى انتهجتها مجموعة المدارس النظامية التى تنسب إلى الوزير السلجوقى نظام الملك والمتوفى سنة (٥٨٥هـ، ١١٨٩م) وعلى الرغم من اختلاف ذلك رأى مع الذين قالوا بأن أول ظهور لتلك المؤسسات بمصر قد ارتبط بشخص الفقيه أبى الطاهر بن عوف أو الذين قالوا بأن صلاح الدين هو أول من أنشأ تلك المؤسسات بمصر إلا أن ذلك رأى السابق كان أقربها إلى الصواب، ومن ناحية أخرى قد لاحظنا أن المدارس التى أنشئت فى العصر الفاطمى بمدينة الإسكندرية قد انحصرت تأثيرها فى تلك المدينة ولم يتعداه إلى غيرها من المدن والبلاد المصرية الأخرى .

ثالثاً: إن الانتشار الحقيقى للمدارس بمصر باعتباره ظاهرة جديدة قد تم على أيدي الأيوبيين، وقد ظهرت تلك السياسة منذ تولى صلاح الدين الأيوبي لوزارة العاضد سنة ٥٦٥هـ، ١١٦٩م، فقد أنشأ ولأول مرة فى حاضرة ملكهم مدرستين إحداهما للشافعية والأخرى للمالكية. وهذا بالطبع يختلف اختلافاً كبيراً عن المدارس الثلاثة التى أسست بالإسكندرية قبل وزارة صلاح الدين الأيوبي للعاضد.. ومعنى ذلك أن صلاح الدين كان من المتوقع أنه بمجرد

الخلاصة

إنفراده بالملك بعد زوال الدولة الفاطمية أن يكثر هو وأفراد دولته من إنشاء تلك المؤسسات، وهو الأمر الذى حدث بالفعل فقد أنشأ صلاح الدين وحده غير هاتين المدرستين ثلاثة مدارس أخرى بالقاهرة، وواحدة بالإسكندرية وأخرى بالفيوم كما أسس أمراء دولته وعلمائها المدارس... وكذلك فقد إشتراك فى تلك النهضة فى عصر صلاح الدين التجار والعامة وبذلك وضحت ورست السياسة التى ينبغى على خلفاء صلاح الدين انتهاجها من تلك الناحية إلا أن الأحداث التى تلت عهد صلاح الدين قد كشفت لنا عن انخفاض ملحوظ من تلك الناحية ولم يكن ليقابلنا بعد ذلك سوى مدرستين سلطانيتين فى أواخر ذلك العصر قد نسبت واحدة منهما للسلطان الكامل محمد والأخرى للسلطان الصالح أيوب، وبالطبع فقد لحق بذلك الانخفاض من جانب السلاطين انخفاض من جانب بقية أفراد الشعب إلى الحد الذى جاءت فيه المدارس التى أسست فى عهد صلاح الدين وحده منذ (٥٦٥هـ: ٥٨٩هـ- ١١٦٩م: ١١٩٣م)، قريبة فى العدد مع المدارس التى أسست بعد ذلك منذ (٥٨٩هـ- ١١٦٩م) إلى نهاية العصر الأيوبي بمصر (٦٤٨هـ- ١٢٥٠م)، وقد يكون ذلك عائداً فى الحقيقة وشاهداً فى الوقت نفسه على نجاح السياسة الداخلية لصلاح الدين الأيوبي من ناحية إضعاف المذهب الشيعى فى نفوس المصريين بالقدر الذى لم يجد معه خلفاؤه من بعده داعياً للإستمرار فى نفس السياسة بنفس الوسائل ومع ذلك فقد بقى تساؤل هام فى حاجة للرد عليه وهو إذا كان ذلك صحيحاً أى انحصار الفكر الشيعى بالمجتمع المصرى فى العصر الأيوبي بالقدر الذى لم يكن فى حاجة إلى مواجهته فما الداعى إذن لانتشار تلك المؤسسات انتشاراً واسعاً فى مصر بالصورة التى وجدناها عليها فى العصر الذى تلا الأيوبيين وهو العصر المملوكى.

الخاتمة

رابعاً: إن مدارس مصر فى العصر الأيوبى جاءت شاهداً على مكانة كل مذهب من المذاهب الأربعة بين المصريين فى ذلك العصر حيث أننا وجدنا للشافعية ستة عشر مدرسة فى حين جاءت إحدى عشر للمالكية وستة مدارس للحنفية فى الوقت الذى جاءت فيه مدرسة واحدة خصصت للحنابلة. وهذا التدرج قد عبر بصورة صحيحة عن مكانة تلك المذاهب بمصر فى ذلك العصر، فقد عاد المذهب الشافعى فى ذلك العصر ليحتل مكان الصدارة بمصر بين مذاهب أهل السنة الأربعة ساعد على ذلك عدة عوامل من أهمها : -

١ - النجاح الذى حققه المذهب الشافعى فى التصدى للتحديدات الشيعية فى بلدان المشرق الإسلامى، لذا فإننا قد لاحظنا أن المدارس الأولى فى الإسلام قد أسست لتدريس ذلك المذهب .

٢ - وقد كان لوجود القبر الشافعى بمصر أثر كبير لكى يحتل ذلك المذهب مكان الصدارة بين المصريين، لذا فإننا قد وجدنا أن صلاح الدين قد إهتم بأن يكون بجوار ذلك القبر مدرسة كبرى لتدريس ذلك الفقه .

٣ - إن صلاح الدين وأفراد دولته كانوا على ذلك المذهب فإذا اجتمعت كل تلك النقاط كان من السهل علينا أن نتوقع إصطباغ السياسة الأيوبية بذلك المذهب طوال عهدها وذلك على الرغم من الحرية المذهبية التى تمتع بها أصحاب المذاهب الأخرى فى دولة صلاح الدين وخلفائه من بعده .

خامساً: إن المدارس الإسلامية بمصر فى العصر الأيوبى صحيح أن معظمها قد تركز فى القاهرة إلا أننا قد وجدنا شواهد على انتشار تلك المدارس بمدن الصعيد المختلفة بالإضافة إلى الإسكندرية التى استمرت فيها حركة إنشاء المدارس فى ذلك العصر وقد لاحظنا أيضاً أن تلك المدارس جاءت شاهداً ومعبراً عن مكانة المذاهب السنية المتباينة فى المدن والبلايا المصرية فجاءت

الخلاصة

مدارس الإسكندرية متطابقة مع مكانة المذهب المالكي. كما جاءت مدارس القاهرة معبرة أصدق تعبير عن السياسة الدينية التي اتبعتها الأيوبيين، وذلك باعتبارها حاضرة ملكهم، وقد لاحظنا أن المدارس الشافعية بها وهى إحدى عشرة مدرسة قد تساوت فى العدد مع المدارس التى أنشئت للمذهب المالكي والمذهب الحنفى مجتمعة كما جاءت مدارس الصعيد لتكون شاهدة على مكانة مذهبي مالك والشافعى دون سواهما من المذاهب الفقهية الأخرى كما عبرت تلك المدارس من ناحية أخرى عن حقيقة هامة مؤداها أن المذاهب الفقهية الثلاثة المالكية والحنفية والحنبلية قد ظلت فى تزايد مستمر حتى أننا وجدناها مع نهاية ذلك العصر قد حققت توازناً معقولاً مع المذهب الشافعى إلى الحد الذى وجدنا معه اهتمام الملك الصالح أيوب بجعل مدرسته التى أسسها فى حدود السنة (٦٣٩هـ - ١٢٤١م) لتدريس المذاهب الفقهية الأربعة، ويعد ذلك العمل من أهم الشواهد على ذلك التوازن، وقد جاءت الأحداث التاريخية التالية لتؤكد على حقيقة ذلك فقد وجدنا فى أوائل العصر المملوكى ما يعبر بقوة عن تلك الفكرة فقد حدث أن استقلت كل طائفة من طوائف المذاهب الفقهية الأربعة فى القضاء بعد أن نصب لكل طائفة قاض منهم يحكم بين أصحابه بما تقتضيه فى ذلك أحكام مذهبهم بعد أن كان ذلك قاصراً على الشافعية فقط .

سادساً: وقد عبرت إحدى المدارس التى أسست فى العصر الأيوبي بمصر على الحرية المذهبية التى تمتع بها أفراد الشعب المصرى وهى المدرسة الفاضلية التى أسسها القاضى الفاضل سنة (٥٨٠هـ - ١١٨٤م)، فعلى الرغم من أن القاضى كان شافعيّاً إلا أنه قد خصص مدرسته لتدريس فقهى مالك والشافعى معاً فى درس واحد وقد إشتراط فيمن يتولى مهمة التدريس بهذه المدرسة أن يكون ملماً بالفقهين معاً .

الخاتمة

سابعاً: إن الأيوبيين قد حاولوا توفير سبل الرعاية لتلك المدارس سواء منها الحكومية أو الأهلية بقصد الوصول بها إلى درجة عالية من الفاعلية، وقد ظل ذلك طوال العصر الأيوبي إلى نهايته، وهو ما يؤكد على حقيقة هامة مؤداها أن شبح الفكر الشيعي ظل مصدراً لإزعاج سلاطين الأيوبيين بمصر طوال عهدهم بها .

ثامناً: إن مدارس مصر كانت قد نظمت من الناحية المالية والإدارية على درجة عالية متكافئة مع مدارس العراق وفارس بصورة تدعو إلى الدهشة فقد ساهم في تلك النهضة الحضارية الملوك والوزراء والأمراء والعلماء والغرباء وعامة الشعب الذين بذلوا كل ما هو غال ورخيص في سبيل نجاح تلك النهضة التعليمية فقد وجدنا أنهم ضحوا بأموالهم وإقطاعاتهم، وفي بعض الأحيان بمنزلهم الخاصة لبناء مختلف المدارس التي أوقفوا عليها الأوقاف المناسبة بعد إعدادها إعداداً جيداً يكفل لها بقاءها وإستمرار عملها مدة طويلة وقد لاحظنا أن مؤسسى تلك المدارس قد وفروا بها المساكن والمكتبات وقاعات الدرس المناسبة وبيوت الصلاة والحمامات والمارستانات فجاءت مدارسهم على أكمل وجه من الناحية المعمارية كما رتبوا فيها المدرسين والمعنيين والموظفين والطلاب النظاميين بحيث تكون مؤهلة تمام التأهيل لأداء مهمتها التعليمية على أكمل وجه .

تاسعاً: إن تلك المدارس قد ساهمت مساهمة حقيقية في فك العزلة الثقافية التي فرضها الفاطميون على مصر إبان حكمهم بها فقد شجعت تلك المؤسسات الكثير من كبار علماء البلاد الإسلامية على القدوم إلى مصر للتدريس بمدارسها والإستماع إلى علماءها .

عاشراً: وقد أثرت تلك المدارس في إنتشار علوم أهل السنة من فقه وتفسير وحديث وقراءات بصورة منقطعة النظير كما لعبت تلك المدارس أدوراً سياسية وإجتماعية في مصر في العصر الأيوبي لا يمكننا تجاهلها .

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر العربية المخطوطة:

- ١ - (إبراهيم بن وصيف شاه. ت - ٥٩٩ هـ - ١٢٠٢ م)، تاريخ أخبار الديار المصرية وما فى ذلك من جواهر البحور ووقائع الأمور وعجائب الدهور - مخطوط بدار الكتب المصرية - ٩٨ ق - خط ١١١١ هـ - ١٩٦٩ م - تاريخ ٥٧.
- ٢ - الأصبهاني (محمد بن محمد بن حامد) - البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان - مخطوط بدار الكتب المصرية - جزءان فى ملجلدين - ١٠٩ ، ١٠٩ لوحة - عن نسخة مخطوطة ٧٤٤ هـ - ١٩٥٣ م - تاريخ ٢٢٨٧٨ .
- ٣ - ابن الأكفاني (شمس الدين محمد بن إبراهيم بن ساعدة الأنصاري ت ٧٤٩ هـ - ١٣٤٨ م) - إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد - ميكروفيلم رقم ٢ - معارف عامة - معهد المخطوطات العربية .
- ٤ - البيضاوى (ناصر الدين أبى سعيد عبد الله بن عمى - ت ٦٨٥ هـ - ١٢٨٦ م) تعريفات العلوم ومضروعاتها - ميكروفيلم رقم ٤ - معارف عامة. معهد المخطوطات العربية .
- ٥ - السلفى (أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم أبو الطاهر - ٤٧٥ هـ: ٥٧٦ هـ - ١٠٨٢ م: ١١٨٠ م) معجم السفر - مخطوط بدار الكتب المصرية - ٢٤٤ ، ٢٤٤ لوحة - تاريخ ٣٩٣٢ .
- ٦ - ابن الطولونى (حسن بن حسين بن أحمد - ٨٣٢ هـ: ٩٠٩ هـ - ١٤٢٨ م: ١٥٠٣ م) النزهة السنية فى أخبار الخلفاء والملوك المصرية - مخطوط بدار الكتب المصرية - ٢٥ ق. خط ٩٨٤ هـ - ١٤٧٠ م - مقطع - تاريخ ٢٢٥٣ . نسخة أخرى - ٤١ ق - خط ٩٩٤ هـ ١٥٩٨٥ م - تاريخ م ١١٥ .
- ٧ - العينى (بدر الدين محمود بن موسى بن أحمد. ت ٨٥٢ هـ - ١٤٤٨ م) عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان - مخطوط بدار الكتب المصرية - ٢٣ جزءاً فى ٦٩ مجلداً - تاريخ ١٥٨٤ . نسخه أخرى ٢٨٠ مجلد فى: ٢٢٦ ، ٤٢٤ ،

قائمة المصادر والمراجع

- ٥٠٠ ، ٥١١ ، ٥١٢ ، ٥٥١ ، ٥٥٤ ، ٥٨١ ، ٦٠٦ ، ٦٠٨ ، ٦١١ ، ٦١٦ ،
٦١٧ ، ٦٢٠ ، ٦٢٤ ، ٦٣٤ ، ٦٣٦ ، ٦٣٩ ، ٦٤٣ ، ٦٤٨ ، ٦٥٣ ، ٦٥٦ ،
٦٥٩ - تاريخ ٨٢٠٣ - نسخة أخرى ٦ مجلدات في ، ٧٠ ، ٨٣ ، ٨٨ ، ١٢٦ ،
١٣٠ ، ٢٠١ - خط ١١٢٩١ هـ ١٨٧٤ م. تاريخ ٧١ .
- ٨ - الفيومي (أحمد بن محمد بن علي الحموي أبو العباس - ت بعد ٧٧٠ هـ -
١٣٦٨ م). نشر الجمان في تراجم الأعيان - مخطوط بدار الكتب المصرية - ٣
قطع ، ٩٠ ، ٣٣٢ ، ٤٢٨ . ق خط ١٣٠٧ هـ - ١٨٩ م - الأولى تبدأ من أثناء
٥٣٣ هـ - ١١٣٨ م وتنتهي إلى أثناء ٥٦٧ هـ - ١٢٦٨ م - والثانية من أثناء
٦٢٣ هـ - ١٢٢٧ م وتنتهي إلى أثناء ٦٨٩ هـ - ١٢٩٠ م والثالثة تبدأ من أثناء
٧٠١ هـ - ١٣٠٦ م وتنتهي إلى قبل أواخر ، ٧٤٥ هـ - ١٣٤٤ م - تاريخ
١٧٤٦ .
- ٩ - الكرمي (مرعي بن يوسف بن أبي بكر المقدسي ت ١٠٣٣ هـ - ١٦٢٣ م). نزهة
الناظرين في تاريخ من ولي من الخلفاء والسلاطين - مخطوط بدار الكتب
المصرية - ٩٥ ق خط ١١٤٢ هـ - ١٧١٩ م - تاريخ ٢٠٧٦ .
- ١٠ - مؤلف مجهول - إنسان العيون في مشاهير سادس القرون - ٤٥٠ ق - خط
١٢٩٥ هـ - ١٨٦٨ م - تاريخ تيمور ٩١٩ .
- ١١ - مؤلف مجهول - جزء من صله التكملة - مخطوط بدار الكتب المصرية -
تاريخ ٢٩٨ .
- ١٢ - ابن واصل (محمد بن سالم بن نصر الله ابن سالم التميمي جمال الدين أبو
عبد الله (٦٠٤ : ٦٩٧ هـ - ١٢٠٧ : ١٢٩٧ م). تاريخ الواصلين في أخبار
الخلفاء والملوك والسلاطين - مخطوط بدار الكتب المصرية - مجلدان في :
٢٢١ ، ٢٢١ لوحة - تاريخ ٥٣١٩ - نسخة أخرى جزءان في مجلدين ، ٧٠٠ ،
٧٢١ ق - خط ١٣٦٦ هـ - تاريخ ١٠٠٤١ .

قائمة المصادر والمراجع

المصادر العربية المطبوعة :

- ١ - ابن أبى الوفاء القرشى (أبو محمد عبد القادر بن محمد بن محمد بن سالم ت ٧٧٥هـ-١٢٧٦م) الجواهر المضية فى طبقات الحنفية. تحقيق د/ عبد الفتاح محمد الحلو . مطبعة عيسى البابى الحلبي وشركاه، مكتبة الإيمان القاهرة. د. ت.
- ٢ - ابن الأثير (على بن أبى الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم، ت ٦٣٠هـ-١٢٣٢م).
- أ - التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية. تحقيق عبد القادر أحمد طليمات. دار الكتب الحديثة، القاهرة ١٩٦٣م.
- ب - الكامل فى التاريخ. دار صادر، بيروت للطباعة والنشر، بيروت- ١٣٨٦هـ-١٩٦٦م.
- ج - أسد الغابة فى معرفة الصحابة، دار التعاون، القاهرة - ط٤ - ١٩٦٤.
- ٣ - الإدفوى (أبى الفضل كمال الدين جعفر بن ثعلب ت ٧٤٨هـ-١٣٤٧م). الطالع السعيد الجامع لأسماء نجباء الصعيد. تحقيق/ سعد محمد حسن. الدار المصرية للتأليف والترجمة . القاهرة. ١٩٦٦م.
- ٤ - ابن أسعد اليافعى (أبو محمد عبد الله بن أسعد بن على بن سليمان ت ٧٦٨هـ-١٣٦٦م) مرآة الجنان وعبرة اليقظان فى معرفة مايعتبر من حوادث الزمان - مؤسسة الأعلمى للمطبوعات. بيروت - لبنان (١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م).
- ٥ - الإسنوى (جمال الدين عبد الرحيم ت ٧٧٢هـ - ١٣٧٠م) طبقات الشافعية. تحقيق/ كمال يوسف الحوت. دار الكتب العلمية بيروت. لبنان. الطبعة الأولى (١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م).
- ٦ - ابن إياس (أبو البركات محمد بن أحمد ت ٩٣٠هـ-١٥٢٣م) بدائع الزهور فى وقائع الدهور. الهيئة المصرية للكتاب. القاهرة. (١٤٠٢هـ-١٩٨٢م).

قائمة المصادر والمراجع

- ٧ - ابن أيبك الدوادارى (أبو بكر بن عبد الله ت ٧٣٦هـ - ١٣٣٥م). كنز الدرر وجامع الغرر. تحقيق/ سعيد عبد الفتاح عاشور. القاهرة. (١٣٩١هـ - ١٩٧٢م).
- ٨ - ابن أيبك الصفدى (صلاح الدين خليل ت ٧٦٤هـ - ١٣٦٢م). الوافى بالوفيات. ج٥، تحقيق س. د. يدرنخ، بيروت. ١٩٧٠م.
- ٩ - أبو بكر الطرطوشى (أبو بكر محمد بن الوليد الفهرى ت ٥٢٠هـ - ١١٢٦م سراج الملوك . الناشر دار الكتاب الإسلامى. القاهرة ١٤١٣هـ .
- ١٠ - البندارى (الفتح بن على البندارى ت ٦٤٢هـ - ١٢٤٤م) سنا البرق الشامى. تحقيق/ فتحة النبراوى، مكتبة الخانجى. القاهرة ١٩٧٩م.
- ١١ - ابن تغرى بردى (جمال الدين أبو المحاسن يوسف ت ٨٧٤هـ - ١٤٦٩م) .
- أ - المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى. حققه ووضع هوامشه محمد محمد أمين. تقديم سعيد عبد الفتاح عاشور. الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة ١٩٨٤م.
- ب - النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة. دار الكتاب. القاهرة. ١٩٣٩م.
- ١٢ - ابن جبير (أبو الحسن محمد بن أحمد الكنانى الأندلسى ت ٦١٤هـ - ١٢١٧م). رحلة بن جبير. دار مكتبة الهلال. بيروت ١٩٨١م.
- ١٣ - ابن الجزرى (شمس الدين أبى العز محمد بن محمد ت ٨٣٣هـ - ١٤٢٩م) غاية النهاية فى طبقات القراء - مكتبة الخانجى. القاهرة. سنة ١٣٥٢هـ - ١٩٣٣م).
- ١٤ - ابن جماعة (بدر الدين إبراهيم سعد الله ت ٧٣٣هـ - ١٣٣٢م) تذكرة السامع والمتكلم فى آداب العالم والمتعلم. تحقيق أحمد عبد الغفور عطار. بيروت. ١٩٦٧م.

قائمة المصادر والمراجع

- ١٥- ابن الجوزي (أبو الفرج عبد الرحمن بن محمد ت ٥٩٧هـ - ١٢٠٠م).
أ - صفوة الصفوة. ضبطها وكتبها هوامشها إبراهيم رمضان. وسعيد اللحام. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان ط ١. ١٩٨٩م.
- ب - المنتظم في تاريخ الأمم والملوك. تحقيق ودراسة محمد عبد القادر عطا - ومصطفى عبد القادر عطا. وراجعته نعيم زرزور. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان ط ١٩٨٩م.
- ١٦- ابن الحاج (أبو عبد الله محمد بن محمد ت ٨٣٧هـ - ١٤٣٣م) مدخل الشرع الشريف على المذهب. المطبعة المصرية بالأزهر. القاهرة. ١٩٤٩م.
- ١٧- ابن حجر العسقلاني (أحمد بن علي ت ٨٥٢هـ - ١٤٤٨م) رفع الأثر عن قضاة مصر. تحقيق حامد عبد المجيد ومحمد المهدي أبو سنة ومحمد إسماعيل. المطبعة الأميرية. القاهرة ١٩٥٧م.
- ١٨- الحسيني (أبي بكر بن هداية الله. ت ١٠١٤هـ - ١٦٠٥م) طبقات الشافعية. تحقيق عادل نويهض. دار الآفاق الجديد. بيروت ط ٢ ١٩٧٩م.
- ١٩- الحنبلي (أحمد بن إبراهيم ت ٨٧٦هـ - ١٤٧١م) شفاء القلوب في مناقب بني أيوب. تحقيق مديحة الشرقاوي. مكتبة الثقافة الدينية. القاهرة ١٤١٥هـ - ١٩٩٦م.
- ٢٠- ابن خلدون (عبد الرحمن بن خلدون المغربي ت ٨٠٨هـ - ١٤٠٥م) كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر. الكتاب اللبناني. بيروت. ١٩٦٨م.
- ٢١- ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد ت ٦٨١هـ - ١٢٨٢م) وفيات الأعيان. وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٤٩م.
- ٢٢- الدارودني (شمس الدين محمد بن علي بن أحمد ت ٩٤٥هـ - ١٥٤٢م) طبقات المفسرين. بيروت. لبنان ط ١ ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

قائمة المصادر والمراجع

- ٢٣- ابن دقماق (صارم الدين إبراهيم بن محمد بن أيمن ت ٨٠٩هـ - ١٤٠٦م).
أ - الانتصار لواسطة عقد الأمصار. بولاق. القاهرة. د. ت.
ب - الجواهر الثمين في سير الملوك والسلاطين. تحقيق محمد كمال الدين عز الدين على. عالم الكتب. بيروت ط ١ - ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
٢٤- الذهبي (شمس الدين محمد بن عثمان ت ٧٤٨هـ - ١٣٧٤م).
أ - تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير الأعيان. تحقيق بشار عواد معروف، وشعيب الأرناؤوط، وصالح مهدي عباس. مؤسسة الرسالة. بيروت ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
ب - تذكرة الحفاظ: دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان ١٣٧٧هـ - ١٩٥٨م) مؤسسة الرسالة. بيروت ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
ج - سير أعلام النبلاء. تحقيق بشار عواد معروف، ومحي هلال السرحان. مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
د - العبر في خبر من غبر. تحقيق أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول. ودار الكتب العلمية. بيروت. لبنان (د - ت).
٢٥- ابن رجب (زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين أحمد. ت ٧٩٥هـ - ١٣٩٢م) كتاب الذيل على طبقات الحنابلة. دار المعرفة بيروت- لبنان ١٣٧٢هـ - ١٩٥٣م).
٢٦- الزبيدي (المرتضى الزبيدي ت ١٢٠٥هـ - ١٧٩٠م) ترويح القلوب في ذكر الملوك بنى أيوب. حققه صلاح الدين المنجد. دار الكتاب الجديد. دمشق ط ١٩٦٩م.
٢٧- الزركشى (محمد بن عبد الله) ت ٧٩٤هـ - ١٣٩٠م). إعلام الساجد بأحكام المساجد. تحقيق فضيلة الشيخ أبو الوفا مصطفى المراغى. القاهرة. ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
٢٨- ابن الزيات (شمس الدين محمد) من وفيات القرن التاسع الهجرى الخامس عشر الميلادى الكواكب السيارة فى ترتيب الزيارة فى القرافتين الصغرى والكبرى. القاهرة. ١٩٠٧م.

قائمة المصادر والمراجع

- ٢٩- سبط بن الجوزى (شمس الدين أبى المظفر يوسف قزاوغلى التركى) ت ٦٥٤هـ-
١٢٥٦م) مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان. مطبعة مجلس دائرة المعارف
العثمانية حيدر آباد الدكرن. ط ١. ١٣٧٠هـ-١٩٥٠م.
- ٣٠- السبكى (تاج الدين أبو النصر عبد الوهاب ت ٧٧١هـ-١٣٦٩م).
أ - طبقات الشافعية الكبرى. تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو ومحسود الطناحى -
هجر للطباعة والنشر والتوزيع. ط ٢- القاهرة ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.
- ب - معيد النعم ومبيد النقم. تحقيق محمد على النجار وأبو زيد شلى ومحمد أبو
العيون. القاهرة ط ٢. ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.
- ٣١- السخاوى (أبى الحسن نور الدين ٩٠٢هـ-١٤٩٦م) تحفة الأحاب وبغية
الطلاب فى الخطط والمزارات والتراجم والبقاع المباركات. مكتبة العلوم.
القاهرة. ط ١، ١٣٥٦هـ-١٩٣٧م.
- ٣٢- ابن سعيد (إبن سعيد المغربى الأندلسى ت ٥٨٩هـ-١١٩٤م) النجوم الزاهرة
فى حلى حضرة القاهرة. تحقيق حسين نصار مطبعة دار الكتب. القاهرة.
١٩٧٠م.
- ٣٣- السلامى (أبى المعالى محمد بن رافع) منتخب المختار فى تاريخ علماء بغداد.
تحقيق عباس الفراوى - مطبعة الأهالى - بغداد ١٣٥٧هـ-١٩٣٨م.
- ٣٤- السمعانى (عبد الكريم بن محمد) ت ٥٦٢هـ-١١٦٦م).
أ - أدب الإملاء والاستملاء تحقيق مكى ويسولير ليدن ١٩٥٢م).
ب - الأنساب. تحقيق عبد الله عمر البارودى. دار الجنان. بيروت ط ١ ١٤٠٨هـ-
١٩٨٨م.
- ٣٥- السيوطى (الحافظ جلال الدين عبد الرحمن ت ٩١١هـ-١٥٠٥م).
أ - بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة. مطبعة عيسى البابى الحلبي وشركاه
حلب. ط ١ ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م.

قائمة المصادر والمراجع

- ب - حسن المحاضرة فى تاريخ مصر والقاهرة. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٨٠ م .
- ج - طبقات المفسرين. تحقيق على محمد عمر - مكتبة وهبة القاهرة ط ١ ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م .
- ٣٦ - ابن شاکر (محمد الکتبى ت ٧٦٤ هـ - ١٣٦٣ م) فوات الوفيات والذیل علیها. تحقيق إحسان عباس. دار الثقافة. بيروت. لبنان ١٩٧٣ م .
- ٣٧ - أبوشامة (عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسى. ت ٦٦٥ هـ - ١٢١٧ م) .
- أ - تراجم رجال القرنين تصحيح محمد زاهد بن الحسن الكوثرى وراجع أصله السيد عزت العطار الحسينى، دار الجيل. بيروت ط ١ ١٩٤٧ م .
- ب - الروضتين فى أخبار الدولتين. دار الجيل. بيروت ط ١ ١٩٤٧ م .
- ٣٨ - ابن الشحنة (أبو الفضل محمد. ت ٨٩٠ هـ - ١٤٨٥ م) الدر المنتخب فى تاريخ مملكة حلب. دار الكتاب العربى. دمشق ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م .
- ٣٩ - ابن شداد (القاضى بهاء الدين يوسف بن رافع ت ٦٣٢ هـ - ١٢٣٤ م) سيرة صلاح الدين المعروف بالنوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية. دار الفرجانى. القاهرة. ١٩٨٨ .
- ٤٠ - الشهرستانى (محمد بن عبد الكريم ت ٥٤٨ هـ - ١١٩٣ م) الملل والنحل تحقيق محمد سيد كيلانى، دار المعرفة للطباعة والنشر. بيروت ١٤٠٠ هـ .
- ٤١ - الضبى (أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة ت ٥٩٩ هـ - ١٢٠٢ م). بغية الملتبس فى تاريخ رجال أهل الأندلس. دار الكتاب العربى. دمشق ١٩٦٧ م .
- ٤٢ - الطبرى (أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى ت ٣١٠ هـ - ٩٢٢ م). تاريخ الرسل والملوك تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. دار المعارف. ط ٣ القاهرة، ١٩٧٩ م .
- ٤٣ - ابن ظهيرة، الفضائل الباهرة فى محاسن مصر والقاهرة، تحقيق مصطفى السقا، كامل المهندس، مركز تحقيق التراث وزارة الثقافة، القاهرة، ١٩٦٩ م .
- ٤٤ - ابن عبد الظاهر (محيى الدين بن عبد الظاهر ٦٩٢ هـ - ١٢٩٣ م) الروضة البهية الزاهرة فى الخطط المعزية القاهرة. تحقيق أيمن فؤاد سيد. مكتبة الدار العربية للكتاب. القاهرة د. ت .

قائمة المصادر والمراجع

- ٤٥- ابن العديم (كمال الدين عمر بن أحمد بن أبي جرادة. ت ٦٦٠ هـ ١٢٦١ م) بغية الطلب في تاريخ حلب - تحقيق سهيل زكار. دمشق ١٤٠٩-١٩٨٩ م.
- ٤٦- العماد الكاتب الأصفهاني (الفتح القسي في الفتح القدسي. ٥٩٧ هـ-١١٩٠ م) تم طبعه بمطبعة الموسوعات. القاهرة. ١٣٢١ هـ.
- ٤٧- ابن العماد (أبو الفلاح عبد الحى بن العماد الحنبلى ت ١٠٨٩ هـ-١٦٧٨ م) شذرات الذهب في أخبار من ذهب. القاهرة. ١٣٥٠ هـ.
- ٤٨- ابن العميد (المكين جرجس ت ٦٧٢ هـ-١٢٧٣ م) أخبار الأيوبيين. طبع المعهد الفرنسى. دمشق ١٩٥٨.
- ٤٩- العيني (بدر الدين محمد ت ٨٥٢ هـ-١٤٥١ م) عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان. تحقيق محمد محمد أمين. الهيئة العامة للكتاب. القاهرة ١٩٨٧ م.
- ٥٠- أبو الفدا (عماد الدين إسماعيل بن على ت ٧٣٢ هـ-١٣٣١ م) المختصر في أخبار البشر. القاهرة. ١٣٣٥ هـ.
- ٥١- ابن الفرات (ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم ت ٨٠٧ هـ-١٤٠٤ م) تاريخ الدول والملوك والمعروف بتاريخ ابن الفرات. تحقيق حسن محمد الشحات. البصرة ١٩٧٠ م.
- ٥٢- ابن فرحون (برهان الدين إبراهيم بن على بن محمد بن فرحون اليعمرى ت ٧٧٩ هـ-١٣٧٧ م) الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان. د. ت.
- ٥٣- الفيروز آبادى (مجد الدين محمد بن يعقوب الشيرازى ت ٨٠٣ هـ-١٤٠٠ م) القاموس المحيط. مؤسسة الحلبي للتوزيع والنشر القاهرة. د. ت.
- ٥٤- القلقشندي (شهاب الدين أحمد بن على ت ٨٢١ هـ-١٤١٨ م) صبح الأعشى في صناعة الإنشا. تحقيق محمد حسنين شمس الدين. دار الكتب العلمية. بيروت ط ١ ١٤٠٧ هـ-١٩٨٧ م.

قائمة المصادر والمراجع

- ٥٥- ابن كثير (عماد الدين أبو الفدا إسماعيل بن عمر بن كثير ت ٧٧٤هـ-١٣٧٢م).
- أ - البداية والنهاية. مكتبة المعارف. بيروت. ط ١ ١٩٦٦.
- ب - طبقات الفقهاء الشافعية. تحقيق أحمد عمر هاشم. ومحمد زينهم ومحمد عزب. مكتبة الثقافة الدينية القاهرة ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.
- ٥٦- المقدسى (شمس الدين أبو عبد الله محمد) أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم. ليدن ١٩٠٦.
- ٥٧- المقرئى (تقى الدين أحمد بن على ت ٨٤٥هـ-١٤٤٢م).
- أ - إتحاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء - نشر جمال الدين الشبال - القاهرة ١٩٤٨م.
- ب - السلوك لمعرفة دول الملوك. تصحيح محمد مصطفى زياد. مطبعة دار الكتب المصرية - القاهرة - ١٩٣٤م.
- ج - المقفى الكبير - تحقيق محمد البعلاوى - دار الغرب الإسلامى. القاهرة. ١٩٩٣م.
- د - المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار. دار الطباعة المصرية القاهرة ١٩٨٨م.
- ٥٨- ابن الملقن (نزهة النظر فى قضاة الأمصار). تحقيق وتعليق وتقديم مديحة محمد الشرقاوى - الناشر. مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة - ١٩٩٦م.
- ٥٩- المنذرى (زكى الدين أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوى. ت ٦٥٦هـ-١٢٥٨م) - التكملة لوفيات النقلة. تحقيق د/ بشار عواد معروف. مؤسسة الرسالة- بيروت- ط ٤ - ١٩٨٨. ٤ مجلدات.
- ٦٠- ابن منظور (جمال الدين محمد بن مكرم ت ٧١١هـ-١٣١١م) لسان العرب. المؤسسة المصرية العامة للتأليف. القاهرة. د. ت.

قائمة المصادر والمراجع

- ٦١- ابن ميسر (تاج الدين محمد بن على بن يوسف ت ٦٧٧هـ-١٢٧٨م) المنتقى من أخبار مصر - إنتقاه تقي الدين أحمد بن على المقرئ - سنة ٨١٤هـ- ١٤١١م. حققه وكتب مقدمته وحواشيه ووضع فهرسه. أيمن فؤاد سيد. المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية. بالقاهرة- ١٩٨١م.
- ٦٢- النابلسى (فخر الدين عثمان بن إبراهيم ت ٦٦٠هـ-١٢٦٢م) .
أ - تاريخ الفيوم وبلاده. دار الجيل. بيروت ١٩٧٤م.
ب - لمع القوانين المضية فى دواوين الديار المصرية - الناشر مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٩٨٧م.
- ٦٣- النعيمى (عبد القادر محمد الدمشقى ت ٩٢٧هـ-١٢٥٠م) الدارس فى تاريخ المدارس - تحقيق جعفر الحسينى. مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة- ١٩٨٨م.
- ٦٤- النويرى (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب) ت ٧٣٣هـ- ١٣٣١م)- نهاية الأرب فى فنون الأدب - تحقيق الباز العرنى- مكتبة دار الكتب - القاهرة ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.
- ٦٥- الهمذانى (رشيد الدين فضل الله ت ٧١٨هـ-١٣١٨م) تكملة تاريخ الطبرى تحقيق البريوسف كنعان- بيروت ١٩٦١م.
- ٦٦- الهمذانى (بديع الزمان ت ٣٩٨هـ-١٠٠٧م)، الرسائل. الطبعة الرابعة. مطبعة هندية بالموسكى- القاهرة- ١٣٣٩هـ - ١٩٢٨م.
- ٦٧- ابن واصل (جمال الدين محمد بن سالم ت ٦٩٧هـ-١٢٩٨م) مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب. نشر جمال الدين الشيال - القاهرة- ١٩٥٣م.
- ٦٨- ابن الوردى (زين الدين عمر بن الوردى ت ٧٥٠هـ-١٣٤٩م). تاريخ بن الوردى- مطبعة جمعية المعارف. القاهرة- سنة ١٢٨٥هـ-١٨٦٨م.

قائمة المصادر والمراجع

- ٦٩- ياقوت الحموى (إبن عبد الله الرومى ت ٦٢٦ هـ ١٢٢١ م) .
أ - معجم الأدباء - دار الفكر - القاهرة - ١٤٠٠ هـ - ١٩٧٩ م .
ب - معجم البلدان . دار صادر - بيروت - ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٦ م .
٧٠- أبويحيى (زكريا الأنصارى . ت ٩٢٦ هـ - ١٥١٨) - اللؤلؤ النظيم فى روم
التعلم والتعليم - القاهرة - ١٣١٩ هـ .
٧١- اليونينى (قطب الدين أبو الفتح موسى بن أحمد بن قطب الدين ت ٧٢٦ هـ -
١٣٢٤ م) زيل مرآة الزمان . دار الكتاب الإسلامى - القاهرة ١٤١٣ هـ -
١٩٩٢ م .

قائمة المصادر والمراجع

ثالثاً: المراجع العربية والمعربة :

- ١ - أبو أحمد محمود فرغلى . الدليل الموجز لأهم الآثار الإسلامية والقبطية فى القاهرة الدار المصرية اللبنانية- القاهرة. ط ١ . ١٤١١هـ- ١٩٩١م .
- ٢ - أحمد أحمد بدوى .
- أ - الحياة الأدبية فى عصر الحروب الصليبية بمصر والشام. دار نهضة مصر. القاهرة. ١٩٩٧م .
- ب - الحياة العقلية فى عصر الحروب الصليبية بمصر والشام. دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، ١٩٧٢م .
- ٣ - أحمد رمضان أحمد . الإجازات والتوقيعات المخطوطة فى العلوم النقلية والعقلية من القرن. ٤هـ : ١٠هـ - ١٠م : ١٦م سلسلة الثقافة الأثرية والتاريخية القاهرة د. ت .
- ٤ - أحمد شلبى. التربية الإسلامية، نظمها، فلسفتها، تاريخها، ط ٦. مكتبة النهضة المصرية، القاهرة. ١٩٧٨م .
- ٥ - أحمد عبد الحميد خفاجى. جوانب من الحياة الاجتماعية فى مصر فى العصر الأيوبى. دار الرشاد للطباعة والنشر. الاسكندرية، ١٩٨١م .
- ٦ - أحمد فكرى :-
- أ - خصائص عمارة القاهرة فى العصر الأيوبى. أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة. دار الكتب المصرية. القاهرة، ١٩٧٠م .
- ب - مساجد القاهرة ومدارسها. دار المعارف. القاهرة. ١٩٦٦م .
- ٧ - أحمد النجار . الإنتاج الأدبى فى العصرين الفاطمى والأيوبى فى مدينة الاسكندرية، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية. القاهرة. ١٩٦٤م .

قائمة المصادر والمراجع

- ٨ - أدام متز . الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى . نقله إلى العربية . محمد عبد الهادى أبو ريدة . الناشر دار الكتاب العربى . بيروت . لبنان . ط ٤ ، ١٩٦٧ م .
- ٩ - إستانلى لينبول ، سيره القاهرة ، ترجمة . جسن إبراهيم حسن وآخرون . مكتبة النهضة المصرية . القاهرة ، ١٩٥٠ م .
- ١٠ - أندريه ريموت . القاهرة تاريخ حاضرة . ترجمة . لطيف فرج . دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع . القاهرة . باريس . ١٩٩٤ م .
- ١١ - إيرالابيدوس . السياسة الدينية فى عهد الأيوبيين وتطور المذاهب الشرعية فى القاهرة . أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة . مطبعة دار الكتب . القاهرة . ١٩٧٠ م .
- ١٢ - أيمن فؤاد سيد :-
 - أ - الدولة الفاطمية فى مصر . الدار المصرية . اللبنانية . القاهرة . ط ١ . ١٩٩٢ م .
 - ب - المدارس فى مصر قبل العصر الأيوبى . أبحاث ندوة المدارس فى مصر الإسلامية . الهيئة المصرية العامة للكتاب . القاهرة . ١٩٩٢ م .
 - ١٣ - إميل فهمى . التعليم فى مصر . مكتبة الأنجلو المصرية . القاهرة . ١٩٧٥ م .
 - ١٤ - جمال الدين الشيال :-
 - أ - أعلام الاسكندرية فى العصر الإسلامى . دار المعارف المصرية . القاهرة . ١٩٦٥ م .
 - ب - الاسكندرية طبوغرافية المدينة وتطورها من أقدم العصور إلى الوقت الحاضر . مستخرج من مجلة الجمعية الملكية للدراسات التاريخية . العدد ٢ . دار المعارف بمصر . القاهرة . ١٩٤٩ م .

قائمة المصادر والمراجع

- ١٥- حسن أمين:
- أ - المعهد الأول للتعليم عند المسلمين. مجلة كلية الآداب. جامعة الاسكندرية. مطبعة جامعة الاسكندرية. العدد ٢٢-١٩٦٨ م.
- ب - المدرسة المستنصرية. مطبعة شفيق. القاهرة- ١٩٦٠ م.
- ١٦- حسن الباشا وآخرون. القاهرة تاريخها وفنونها وآثارها. - مراجعه. د. حسن الباشا. القاهرة. ١٩٧٠ م.
- ١٧- حسن عبد الوهاب. تاريخ المساجد الأثرية فى القاهرة. ج١. ط١. الدار العربية للكتاب. القاهرة. ١٩٤٦ م.
- ١٨- حسن عبد العال . التربية الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى. دار الفكر العربى. القاهرة- ١٩٧٧ م.
- ١٩- حسنين محمد ربيع. النظم المالية فى مصر زمن الأيوبيين . دار النهضة العربية. القاهرة. ١٩٩٠ م.
- ٢٠- حسين مؤنس. نور الدين محمود. الدار السعودية للنشر والتوزيع. ط٢. الرياض. ١٩٨٤ م.
- ٢١- خضر أحمد عطا الله . الحياة الفكرية فى مصر فى العصر الفاطمى. دار الفكر العربى. الطبعة الأولى. القاهرة. ١٩٨٩ م.
- ٢٢- خوليان ريبيرا، التربية الإسلامية فى الأندلس أصولها المشرقية وتأثيراتها الغربية. ترجمة الطاهر أحمد مكى. دار المعارف. القاهرة. ١٩٨١ م.
- ٢٣- دولت عبد الله. معاهد تزكية النفوس فى مصر فى العصر الأيوبي والملوكى. مطبعة حسان. القاهرة. ١٩٨٠ م.
- ٢٤- رضوان على الندوى. العز بن عبد السلام. دار الفكر. دمشق. د. ت .

قائمة المصادر والمراجع

- ٢٥- سعاد ماهر محمد: -
أ - مساجد مصر وأولياؤها الصالحون. مطابع الأهرام التجارية. القاهرة. ١٩٧٦م.
ب - تطاير العمائر الإسلامية بتطور وظائفها. المجلة التاريخية المصرية. مطابع سجل العرب. المجلد الثامن عشر. ١٩٧١م.
٢٦- سعيد إسماعيل على. معاهد التربية الإسلامية. دار الفكر العربي. القاهرة. د. ت.
٢٧- سعيد عبد الفتاح عاشور.
أ - صور من مجتمع القاهرة في العصور الوسطى المجلة التاريخية المصرية. مطابع سجل العرب. مجلد الثامن عشر. ١٩٧١م.
ب - العلم بين المسجد والمدرسة. أبحاث ندوة المدارس في مصر الإسلامية. الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة، ١٩٩٢م.
٢٨- السيد السيد النشار. تاريخ المكتبات في مصر في العصر المملوكي. الدار المصرية. اللبنانية. القاهرة ١٩٩٣م.
٢٩- السيد عبد العزيز سالم. تاريخ الاسكندرية وحضارتها في العصر الإسلامي. مؤسسه شباب الجامعة الاسكندرية. ١٩٨٢م.
٣٠- عبد الرحمن ذكي. نشأة القاهرة وإمتدادها في أيام الأيوبيين. المجلة التاريخية المصرية. مطابع سجل العرب. المجلد الثامن عشر. القاهرة ١٩٧١م.
٣١- عبد الغنى عبد العاطى. التعليم في مصر زمن الأيوبيين والمماليك. دار المعارف. القاهرة. د. ت.
٣٢- عبد القادر مصطفى المغربي. الاشتقاق والتعريب. مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر. القاهرة. ط ٢. ١٣٦٦هـ-١٩٤٦م.
٣٣- عبد اللطيف حمزه. الحركة الفكرية في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي الأول. دار الفكر العربي. القاهرة. ١٩٦٨م.

قائمة المصادر والمراجع

- ٣٤- عطيه القوصى. تاريخ دولة الكنوز الإسلامية. دار المعارف. القاهرة. ١٩٧٦م
- ٣٥- عفاف صبرة . المدارس فى مصر فى العصر الأيوبي. أبحاث ندوة المدارس فى مصر الإسلامية. الهيئة العامة للكتاب. القاهرة. ١٩٩٢م .
- ٣٦- علي البيومى . قيام الدولة الأيوبية بمصر. دار الفكر الحديث. القاهرة. ١٩٥٢م .
- ٣٧- على «باشا» مبارك . الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيره. الهيئة المصرية للكتاب. القاهرة. ١٩٨٧م .
- ٣٨- فتحية النبراوى. إنشاءات القاضى الفاضل. دار التوفيقية للطباعة بالأزهر. القاهرة. د. ت.
- ٣٩- كمال الدين سامح. العمارة الإسلامية بمصر. الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة. ١٩٩١م .
- ٤٠- محمد أحمد عبد المولى. القوى السنيه فى بلاد المغرب من قيام الدولة الفاطمية إلى قيام الدولة الزيرية. ٢٩٦هـ: ٣٦١هـ/ ٩٠٩هـ: ٩٧٢م. دار المعرفة الجامعية. الاسكندرية. ١٩٨٥م .
- ٤١- محمد زغلول سلام. الأدب فى عصر صلاح الدين الأيوبي. مؤسسه الثقافة الجامعية. الاسكندرية. ١٩٥٩م .
- ٤٢- محمد عبد الرحيم غنيمه. تاريخ الجامعات الإسلامية الكبرى. دار الطباعة المغربية تطوان. ١٩٥٣م .
- ٤٣- محسد محمد أمين على. الأوقاف والحياة الاجتماعية فى مصر دراسة تاريخية وثقافية. دار النهضة العربية. القاهرة- ١٩٨٠م .
- ٤٤- محمود إسماعيل . المالكية والشيعة بأفريقية إبان قيام الدولة الفاطمية). المجله التاريخية المصرية. المجلد الثالث والعشرون. القاهرة- ١٩٧٦م .

قائمة المصادر والمراجع

- ٤٥- محمود مصطفى. الأدب العربى فى مصر من الفتح الإسلامى إلى نهاية العصر الأيوبى. المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر. القاهرة. ١٩٦٧م.
- ٤٦- مصطفى عبد الله شيحة. الآثار الإسلاميه فى مصر من الفتح العربى حتى نهاية العصر الأيوبى. (٢٠هـ: ٦٤٨هـ-٦٤١م: ١٢٥٠م). مطبعة النهضة المصریه- ط١ القاهرة. ١٩٩٢م.
- ٤٧- مناهل فخر الدين. التعليم فى ظل المماليك. (٦٤٨هـ: ٩٢٣هـ- ١٢٥٠: ١٥١٧م) مجلة آداب الرافدين - العدد العاشر. ١٩٧٩م.
- ٤٨- ناجى معروف. تاريخ علماء المستنصرية. دار الشعب. القاهرة. ١٩٧٥م.
- ٤٩- ناظم رشيد. التعليم فى ظل الدولتين الزنكية والأيوبية فى الشام. مجلة آداب الرافدين. العدد العاشر. ١٩٧٩م.
- ٥٠- هاديه ديجانى. القاضى الفاضل عبد الرحيم البيسانى العسقلانى. ٥٢٦هـ: ٥٩٦هـ-١١٣١م: ١١٩٩م. مؤسسة الدراميات الفلسطينية. بيروت. ١٩٩٣م.

قائمة المصادر والمراجع

رابعاً: الرسائل الجامعية:

- ١ - أحمد عزت عثمان. التربية والمجتمع المصري فى العصر الأيوبي - رسالة دكتوراة. غير منشورة - كلية التربية جامعة أسيوط - ١٩٨٢ م.
- ٢ - أحمد عبد اللطيف. الجليات المغربيه والأندلسية فى العصر الفاطمى رسالة ماجستير غير منشورة - كلية الآداب - جامعة طنطا. ١٩٧٨ م.
- ٣ - أحمد فؤاد سيد. نظم الحكم والإدارة فى العصر الأيوبي بمصر. رساله دكتوراة غير منشورة - كلية الآداب - جامعة عين شمس، ١٩٨٣ م.
- ٤ - سعدية محمد على، أهل السنة فى مصر فى العصر الفاطمى. رسالة ماجستير غير منشوره. كلية البنات. جامعة عين شمس - ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م.
- ٥ - سهام مصطفى أبو زيد. الدعوة الاسماعيلية ومدى نجاحها فى مصر الإسلامية. رساله دكتوراة غير منشورة. كلية البنات - جامعة عين شمس - ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م.
- ٦ - صلاح السيد. نشأة المدارس وتطورها فى العالم الإسلامى. رسالة ماجستير - غير منشورة - كلية الآداب. جامعة الزقازيق. فرع بنها. ١٩٨٢ م.
- ٧ - عباس حلمى اسماعيل:
- أ - السياسة الداخلية للسلطان الملك العادل الأول الأيوبي. رساله ماجستير غير منشورة - كلية الآداب - جامعة القاهرة - ١٩٤٣ م.
- ب - السياسة الداخلية فى الدولة الأيوبية فى مصر بعد السلطان العادل. رسالة دكتوراة غير منشورة - كلية الآداب. جامعة القاهرة - ١٩٥٥ م.
- ٨ - ماجدة محمد حسن. الثقافة والتربية فى مصر على عهد بنى أيوب رسالة ماجستير غير منشورة - كلية التربية جامعة المنيا - ١٩٨٧ م.

قائمة المصادر والمراجع

- ٩- محمد الحاج محمود فليفل. علاقة الأيوبيين في مصر والشام بالخلافة العباسية في بغداد. رساله ماجستير - غير منشوره - كلية الآداب - جامعة القاهرة - ١٩٧٧ م.
- ١٠- محمد محمد أمين على. السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب. رسالة ماجستير غير منشورة - كلية الآداب - جامعة القاهرة. ١٩٦٨ م.

قائمة المصادر والمراجع

خامساً: المراجع الأجنبية:

- 1 - Behrens- Abouseif, Change In Function And Form of Mamluk Religious Institutions, Annales Islamologiques, Institut Francais D' Archeologie Orientale Du Caire, Tome XXI 1985.
- 2 - Creswell, K.A.C., The Muslim Architecture of Egypt, Oxford University press, London 1959.
- 3 - D'Avennes, Prisse, L'Art Arabe D'Apres les Monuments Du Kaire, Paris 1934.
- 4 - Devonshire, L'Egypte Musulmane, Maisonneuve frere, Paris 1926.
- 5 - Devonshire, Quatre-vingts Mosques Et Autres Monuments Musulmans Du Caire, De L'Institut Francais D'Archeologie Orientale pour la societe Royale De Geographie D'Egypte, Cairo 1924.
- 6 - Devonshire, Moslem Builders of Cairo, R.Schindler, Cairo 1943.
- 7 - Devonshire, Some Cairo Mosques And Their Founders, Constable Company limited, London 1921.
- 8 - Dimand, Ahandbook of Muhammadan Art, Hartsdale House, New York 1947.
- 9 - Encyclopaedia Britannica, Inc. William Benton, publisher, 1943-1973. Helen, Heming way Benton, Pwbnsner 1973-1974.
- 10 - Fahmy, A.H. The Educational Ideas of the Muslims In The Middle Ages. (Thesis for the M.A.) in Education, The University of Birmingham, October 1937.

قائمة المصادر والمراجع

- 11 - Hill, Derek. Islamic Architecture And Its Decoration, FABER and FABER, London 1958.
- 12 - Lane-Poole, A history of Egypt In The Middle Ages, Methuen and Co, London 1901.
- 13 - Lane -Poole, Saladin And The Fall of The Kingdom of Jerusalem, KHAYATS, BEIRUT 1964.
- 14 - Mahmud, Ahmed, Guide des Principaux Monuments Arabes Du Caire, Imprimeire Nationale, BulAK, Cairo 1939.
- 15 - Milad, Salwa Ali Ibrahim, Registres Judiaires Du Tribunal De la Salihyya Nagmiyya, Annales Islamologiques. Institute Francais D'Archeologie Orientale Du Caire, Tome XII, 1974.
- 16 - Ragib yusuf, sur Deux Monuments Funeraires Du Cimetiere D'Al-Qarafa Al-Kubra Au Caire. Institue Francais D'Archeologie Orientale Du Caire, Tome XII, 1974.
- 17 - Saladin, H. Manuel D'Art musulman, Paris 1907.
- 18 - Zaky, Hassan. Moslim Egypt And Its Contribution to Islamic Civilisation, Fouad I University Press 1949.

المحتويات

المقتويات

«المحتويات»

١	مقدمة
١٠	عرض لأهم مصادر البحث
١٨	تمهيد
١٩	- نشأة المدارس وتطورها في العالم الإسلامي
٢٢	أولاً: المسجد
٢٤	ثانياً: دور الكتب
٢٦	ثالثاً: دور العلم
٢٨	رابعاً: الخان
٣٠	خامساً: الخوانق
٣٣	سادساً: المدرسة
٤٨	الفصل الأول:
٤٩	- المدارس في مصر في العصر الفاطمي
٦٠	١- مدرسة أبو بكر الطرطوشي
٦٣	٢- مدرسة الحافظية (العوفية)
٦٦	٣- مدرسة الحافظ السلقى
٧٤	الفصل الثانى:
٧٥	أولاً: المدارس التى خصصت لتدريس المذهب الشافعى
٧٥	١- المدرسة الناصرية الأولى
٧٩	٢- المدرسة القطبية
٨٠	٣- مدرسة بن الأرسوفى
٨١	٤- المدرسة التقوية

المحتويات

٨٧	٥- المدرسة الناصرية الثانية
٩٠	٦- مدرسة المشهد الحسيني
٩١	٧- المدارس الشافعية بالفيوم
٩٢	٨- المدرسة السيفية
٩٤	٩- مدرسة أسوان
٩٥	١٠- المدرسة الهكارية
٩٥	١١- مدرسة الشريف فخر الدين بن ثعلب
٩٧	١٢- المدرسة الكاملية
٩٩	١٣- المدرسة القوصية
١٠٠	١٤- المدرسة الفائزية
١٠١	ثانياً: المدارس التي خصصت لتدريس المذهب المالكي
١٠١	١- المدرسة القمحية
١٠٣	٢- المدارس المالكية بالفيوم
١٠٣	٣- المدرسة النجيبية
١٠٤	٤- مدرسة منية بنى خصيب
١٠٤	٥- مدرسة ابن الأنجب
١٠٥	٦- مدرسة ابن شاس
١٠٧	٧- المدرسة الصاحبية
١٠٨	٨- مدرسة الزكي التاجر
١٠٩	٩- مدرسة ابن رشيق
١٠٩	١٠- مدرسة بنى حديد

المحتويات

١١١ ثالثاً: المدارس التى خصصت لتدريس المذهب الحنفى

١١١ ١- المدرسة السيوفية

١١٤ ٢- المدرسة الأذكشية

١١٥ ٣- المدرسة الغزنوية

١١٦ ٤- المدرسة العاشورية

١١٧ ٥- المدرسة الفخرية

١١٧ ٦- مدرسة جهازركس

١١٩ رابعاً: المدارس التى أعدت لتدريس مذهبين :-

١١٩ ١- المدرسية الفاضلية

١٢٢ خامساً: المدارس التى أعدت لتدريس أربع مذاهب :-

١٢٢ ١- المدرسة الصالحية

سادساً: المدارس التى لم يهتد إلى المذهب الذى خصصت من

١٢٧ أجله ..

١٢٧ ١- مدرسة المعظم توران شاه

١٢٧ ٢- مدرسة السيد

١٢٨ ٣- مدرسة الصيرمية

١٢٩ ٤- المدرسة المسرورية

١٣٠ الفصل الثالث:

التنظيمات المالية والإدارية للمدارس فى مصر فى العصر الأيوبرى ١٣١

١٣٢ أولاً: تمويل البناء

١٣٦ ثانياً: الأوقاف

١٤٢ التنظيمات الإدارية بالمدارس

المحتويات

١٤٢	أولاً: المدرسون
١٤٨	ثانياً: المعيدون
١٥٠	ثالثاً: الإمام
١٥١	رابعاً: القارئ
١٥١	خامساً: المؤذن
١٥٢	سادساً: الناظر
١٥٣	سابعاً: الخدم
١٥٣	ثامناً: موظفوا المكتبة
١٥٣	تاسعاً: طلاب المدارس
١٥٤	أ- طلاب منتظمون
١٥٥	١- فقهاء المدرسة
١٥٥	٢- المنتهى من الفقهاء
١٥٥	٣- المفيد
١٥٥	٤- شيخ الرواية
١٥٧	ب- طلاب غير منتظمين
١٥٧	(المنشآت الرئيسية بالمدرسة)
١٥٧	أولاً: قاعات الدرس
١٥٨	ثانياً: مساكن المدرسة
١٦٠	ثالثاً: مكاتب المدارس
١٦١	رابعاً: بيت الصلاة
١٦١	خامساً: الحمامات
١٦٢	سادساً: المارستان

المحتويات

١٦٣	الفصل الرابع :
١٦٤	الآثار العلمية والثقافية لمدارس مصر فى العصر الأيوبي
١٧٣	إحياء علوم أهل السنة
١٧٦	الفقه
١٨١	الحديث
١٨٣	القراءات
١٨٨	التفسير
١٨٩	النحو
١٨٩	الآثار الإجتماعية والسياسية
١٩٤	الخاتمة
٢٠١	ثبت المصادر والمراجع
٢٢٤	المحتويات



